سلسلة الدراسات الفكرية (4)

الحوار في الإسلام

حقائق ونتائج

د. عبد المحمود أبُو

الطبعة الثالثة

2025م

سلسلة الدراسات الفكرية (4)

الحوار في الإسلام
حقائق ونتائج

د. عبد المحمود أبُّو

الطبعة الثالثة
2025م

الحوار في الإسلام
حقائق ونتائج

د. عبد المحمود أبُّو

الإيداع القانوني

ISBN:978-1-988295-11-4

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:
الطبعة الثالثة – 2025م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلف والناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثالثة	7
المقدمة	9
مدخل	15
الفصل الأول: أساسيات الحوار	23
توطئة	25
المبحث الأول: مقدماته	27
المبحث الثاني: شروطه	37
المبحث الثالث: آدابه	57
المبحث الرابع: عوائقه	63
الفصل الثاني: مشروعية الحوار	71
تمهيد	73
المبحث الأول: الحوار في القرآن والسنة وفي سيرة السلف	75
المبحث الثاني: مكونات العقل السليم	93
الفصل الثالث: الحوار الداخلي	117
تمهيد	119
المبحث الأول: طبيعة الاختلاف داخل ملة الإسلام	121
المبحث الثاني: الحوار وأهميته بين المسلمين	133
الفصل الرابع: الحوار مع الآخر	141
المبحث الأول: مشروعية الحوار مع الآخر	143
المبحث الثاني: أهمية الحوار مع الآخر	149

الفصل الخامس: الإسلام بين الحوار والمواجهة	**165**
المبحث الأول: عوامل الصراع بين الإسلام والآخر	167
المبحث الثاني: منهجية جديدة للتفكير	175
المبحث الثالث: التواصل الإسلامي مع الآخر	183
الفصل السادس: وسائل بناء ثقافة الحوار	**193**
تمهيد	195
الوسيلة الأولى: معرفة أسباب التوتر والتخلص منها	197
الوسيلة الثانية: معرفة الذات ومعرفة الآخر	200
الوسيلة الثالثة: التربية	204
الوسيلة الرابعة: الإعلام الهادف	211
الوسيلة الخامسة: تبادل الزيارات	212
الوسيلة السادسة: الأنشطة المشتركة	213
الفصل السابع: من ثمرات الحوار في الدعوة والتربية والثقافة والإعلام	**217**
المبحث الأول: ثمرات الحوار في الدعوة	219
المبحث الثاني: ثمرات الحوار في التربية	245
المبحث الثالث: ثمرات الحوار في الثقافة والإعلام	253
خاتمة	259
المصادر والمراجع	261

مقدمة الطبعة الثالثة

هـذا الكتـاب ألفتـه في العـام 2009م وطبـع الطبعـة الأولى بمطبعـة المصابيـح في أم درمـان 2010م ونفـدت نسـخه، ثـم طبعتـه الطبعـة الثانيـة في بـيروت سـنة 2016م ميلاديـة، وهـا هـي الطبعـة الثالثـة طبعـت في جمهوريـة مـصر العربيـة في مطبعـة دار اللؤلـؤة للنـشر والتوزيـع.

موضـوع الكتـاب موضـوع مهـم يقـدم ثقافـة بديلـة لخطـاب الكراهيـة والعنـف، ونهجـا مغايـرا لنهـج الغلـو والتطـرف والـصراع، وفي هـذا العـصر الـذي توسـعت فيـه دائـرة العنـف التـي انتـشرت في رقعـة واسـعة مـن كوكبنـا وخلقـت جفـوة بـين النـاس تـزداد أهميـة الحـوار، لأنـه الأسـلوب الأفضـل لفـض النزاعـات ولمعالجـة الأزمـات.

الكتـاب محاولـة لتأصيـل الحـوار اسـتنادا عـلى الكتـاب والسـنة وسـيرة النبـي القـدوة صـلى اللـه عليـه وسـلم، أسـأل اللـه أن يجعلـه مفيـدا لـكل مـن قـرأه؛ فهـو مسـاهمة منـي لتجفيـف منابـع العنـف ونـشر ثقافـة السـلام.

عبد المحمود أبو إبراهيم

القاهرة: رمضان 1446هـ -مارس 2025م

المقدمة

الإنسان مدني بطبعه، هكذا قرَّر علماء الاجتماع؛ مما يُؤكِّداً أن الإنسان بحكم تكوينه لن يستطيع العيش منفصلاً عن مجتمعه البشري، هذه الخاصية جعلته يتميز عن المخلوقات الأخرى بصفات تقتضيها طبيعته الاجتماعية؛ مثل: احتياجه لبني جنسه، للحصول على الحاجات التي يعجز عن توفيرها منفردًا، والتخلص من الأشياء التي تزيد عن حاجته، ليقدمها لمن يحتاج إليها من أفراد المجتمع ـ أي تبادل المنافع ـ كذلك تميُّزه بالعقل، والحرية، والإرادة، والكرامة؛ جعله ينتهج نهجاً مغايراً لبقية المخلوقات في أسلوب حياته وفي تعامله مع الآخر. فهو يستخدم عقله في معظم تصرفاته ومواقفه ومعارفه، ليقوم بما يحقق له المصلحة ويتجنب ما يضره، كما أنه حرٌّ في تصرفاته، يفعل ما يريد، وإن لم يَشأْ فلا جبرية، والإرادة تمكنه من الإختيار فيأخذ ما تستلطفه نفسه ويدع ما يكره، وكرامته تجعله يشعر بالإهانة فيغضب، وبالإحترام فينتشي، تتصارع في داخله كل المتناقضات، ومن خصائصه أنه يتطلع لمعرفة المجهول، ولا تهدأ نفسه إلا لتبدأ من جديد ساعية للمعرفة.

كَأَنَّ عِدَّةَ أَرْوَاحٍ تَقُومُ بِهِ فَلَيْسَ يَهْدَأُ وَلَاتَهْدَأْ رَغَائِبُهُ[1]

إنه مخلوق عجيب لم يكتشف كُنه ذاته بالرغم من تقدمه في مجال العلم: (يقوده طموحه المعرفي لاستكشاف الفضاء المتناهي في الكِبَر، وجزئيات الذرة المتناهية في الصغر، ولكنه مع ذلك قليل المعرفة بذاته. إنه عرف نفسه كثيراً في المسائل الحسية، ولكن قليلاً في المسائل النفسية. وفي المجال النفسي أحاط الإنسان كثيراً بالأمور التي تتحكم فيها الغرائز، وتحكمها الهرمونات، ولكنه قليل الإحاطة بعقله الباطن) [2].

المجتمع الإنساني يختلف عن مجتمعات الأمم الأخرى في علاقاته؛ لأنه مجتمع عقلاء، أحرار، ذوي إرادة، وهذه الخصائص تنعكس آثارها على المجتمع

(1) الإمام الصادق المهدي؛ العلمانية جذورها وأبعادها؛ محاضرة قدمها في دار جامعة أم درمان الإسلامية سنة 1979م.

(2)) الإمام الصادق المهدى: نحو ثورة ثقافية، القاهرة -مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى 2006م، ص (19).

الإنساني، وتتعداه إلى الطبيعة، وإلى الكون الذي يضمه أرضاً وفضاء، وعندما أراد الله سبحانه وتعالى خلق البشر؛ خاطب الملائكة محاوراً لهم بأنه أراد إيجاد جنس مغاير للكائنات الحية؛ ليكون خليفة في الأرض، يعمرها ويستعمل عقله للإستفادة من النعم المُودعةِ فيها وينظم علاقته مع بني جنسه، ومع المخلوقات الأخرى، وَفْقَ المنهج الذي ارتضاه الله له، ينظمها بإرادته لا جبراً، فالخالق سبحانه وتعالى يرسل إليه الرسل ليرشدوه لطريق الحق ويبينوا له طريق الضلال، ومآلات كل طريق، وهو حر في اختيار الطريق الذي يسلكه وهنالك يوم للحساب تجزى فيه كل نفس ما كسبت.

تساءلت الملائكة ما الداعي لإيجاد هذا المخلوق؟ والكون كله يسبح بحمدالله ويقدسه، وذكروا خشيتهم أن يعيث هذا المخلوق في الأرض فساداً ويسفك الدماء، وجاء الجواب الإلهي قاطعاً منبهاً الملائكة أنه يعلم ما لا يعلمون. هذا الحوار بين الله والملائكة ذكره القرآن الكريم في أسلوب واضح قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة:30] ونلاحظ هنا أنَّ خَلْقَ الإنسانِ الأول ارتبط بحوار بين الله والملائكة، حول هذا المخلوق المكلف بعمارة الأرض والقيام بأمر الإستخلاف ، وبعد أن خلق الله الإنسان الذي تجسدت فيه خصائص التَّمَيُّزِ البشري، المعرفية، والإرادية، والوجدانية؛ علمه ربه الأسماء كلها، وسُنَنَ الحياة، وقوانين الطبيعة. ثم تجدد الحوار بين الله والملائكة في حضور الإنسان؛ ليبين الله للملائكة التكريم الذي اختص به البشر دون غيرهم؛ قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾[البقرة:31-33] وبعد هبوط الإنسان إلى الأرض، أرسل الله إليه الرسل ليعرفوه بخالقه، ويبينوا له هذا الوجود وأساسه وطبيعته ووظيفته ومآله، ومكانة الإنسان فيه. ويشرحوا له الوظيفة التي خلق لأجلها.

ثم استؤنف الحوار بين الله والرسل، وبين الرسل وقومهم، وبين الناس مع بعضهم بعضاً.

وجاءت الرسالة الخاتمة مصدقة للرسالات السابقة، ومؤكدة وحدة المصدر الديني السماوي، ووحدة الأصل الإنساني، مع الإقرار بالتعدد النوعي، والعقائدي، والفكري، والثقافي؛ وداعية للتواصل والتعاون والتبادل المعرفي والمصلحي بين الناس.

إنَّ وسائل التواصل الإنساني كثيرة؛ منها الناعمة ومنها الخشنة، ولكل وسيلة ظروفها ومبرراتها، والإسلام لم يمنع الوسائل الخشنة إذا توفرت أسبابها ومبرراتها العادلة، ولكنه شدد على استعمالها وفق ضوابط محكمة، تكاد تُلْغي خشونتها، وأمر ألا تُسْتَعْمَلُ إلا إذا استُنْفِدَت الوسائل الأخرى، وتظل الوسائل السلمية هي السائدة؛ لأن الإسلام دين السلام والتسامح والحوار.

إن مساحة الحوار في الإسلام كبيرة ومتنوعة، وقد تعرض البحث لحوار الذات، والحوار مع الآخر، بصورة مفصلة، وتأتي أهمية البحث في هذا الوقت الذي كثر فيه العنف حتى كاد أن يكون عاما، نتيجةً للغلو الداخلي، والاستبداد، والهيمنة الخارجية؛ مما يتطلب خارطة طريق ثالثة، تسلط الضوء على القواسم الإنسانية المشتركة، وتؤصل لثقافة الحوار في المجتمع. فالأوضاع الحالية أوضاع استثنائية لا بد من تجاوزها، غير أن الحوار يحتاج إلى خطوات يقوم بها المتحاورون تتمثل في الآتي: -

الخطوة الأولى: إيجاد قناعة لدى الأطراف الراغبة في التواصل أو التي لا تزال مترددة بأنه لا بديل عن التواصل والحوار. وفي هذا العصر-عصر انكماش المسافات، وعولمة وسائل الاتصال والمواصلات، وعولمة التقنية -لن يربح أحد من الحروب وعملية الزعزعة والتهديد، فالمنتصر هو أيضاً منهزم. إن الوعي بهذه الحقيقة سيكون الخطوة الأولى للحوار.

الخطوة الثانية: إنَّ ضبط وربطَ التواصل والحوار بأهداف وغايات، يضبطُ المسيرة ويوضح الدرب حتى ولو التوت السبل وتعرجت المسالك، وبالعكس؛ فإنَّ الحوار الهائمِ العائمِ، الذي ليس له هدف ولا غايةٌ، هو

حـــوار مـــن أجـــل الحـــوار، قـــد يكـــون مقبـــولاً في بدايـــات الطريـــق لاستكشـــاف ســـاحات التواصـــل واســـتيضاح مناحـــي المشـــاكل، ولكنّـــه لا يجـــوز أن يكـــون أبديـــاً بـــل لا بـــد أن يضـــع المتحـــاورون نصـــب أعينهـــم محطـــات يســـعون للوصـــول إليهـــا وتجذبهـــم إلى الأمـــام وتشـــدهم إلى الأهـــداف فتهـــون في ســـبيلها الصعـــاب وتذلـــل العقبـــات.

الخطـــوة الثالثـــة: الاعـــتراف بالاختـــلاف للوصـــول إلى التعـــارف والائتـــلاف، « إنَّ الاعـــتراف بالاختـــلاف يمثـــل أهـــم منطلـــق لحـــل الخـــلاف، ولهـــذا فقـــد يكـــون مـــن المناســـب الإشـــارة إلى بعـــض نقـــاط الاختـــلاف القِيَمـــي كاختـــلاف المصـــدر، واختـــلاف مفهـــومِ النظـــام العـــام، وهـــو المعـــروف أو العـــرف الـــذي يتلقَّـــى الرضـــا العـــامّ أو النكـــير المطلـــق في أيِّ مجتمـــع «[1].

إن المنـــاخ ملائـــم لتقديـــم بديـــل للعنـــف والعنـــف المضـــاد، فالإنســـانية تـــأذت كثـــيراً مـــن الحـــروب وآثارهـــا، والصراعـــات الدينيـــة والإثنيـــة، وصراعـــات المصالـــح؛ فهـــي تتطلـــع إلى عالـــم يســـوده الســـلام وتظللـــه المحبـــة، وتُحَـــلُّ نزاعاتـــه بوســـائل مرنـــة وناعمـــة، توفـــر المـــوارد والأنفـــس التـــي تبددهـــا الحروب-يؤكـــد ذلـــك كثـــرة المؤتمـــرات والملتقيـــات والمقـــالات الداعيـــة للتســـامح والتعايـــش الســـلمي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث للآتي:

(أ) دحـــض الإتهـــام الموجـــه ضـــد الإســـلام بأنـــه فـــرض عقائـــده وتعاليمـــه بالســـيف.

(ب) إبراز رؤية إسلامية بديلة لأطروحة صدام الحضارات.

(ج) رفد المكتبة الإسلامية بدراسة قابلة للتطبيق في أرض الواقع.

(د) نـــشر ثقافـــة إســـلامية تؤصـــل للتســـامح والحـــوار، في منـــاخ تنتـــشر فيـــه ثقافـــة العنـــف والتطـــرف.

---

(1) عبـد اللـه بـن بيـه رئيـس مجلـس الإمـارات للإفتـاء الشرعـي، ورئيـس منتـدى تعزيـز السـلم في المجتمعـات المسـلمة؛ ووزيرالعـدل الموريتانـي الأسـبق، صحيفـة الـشرق الأوسـط 30 مـارس 2006م

فرضيات البحث:

- الفرضيــة الأولى: أن الإســلام يعتــبر الإختــلاف بــين النــاس ضرورة إجتماعيــة، ومجــالا للتعــارف والتعــاون وليــس ســاحة للتعصــب والتقاطــع.
- الفرضيــة الثانيــة: إبــراز أن العلاقــة بــين الإســلام والرســالات الســابقة علاقــة تكامــل.
- الفرضيــة الثالثــة: أن الاجتهــاد في الإســلام ضرورة شرعيــة خاصــة في عالــم كثــرت فيــه النــوازل والمســتجدات.
- الفرضيــة الرابعــة: أن الحــوار وســيلة إســلامية أصيلــة في العلاقــات الإنســانية بــكل تنوعهــا واختلافــات أهلهــا.

إن هــذا البحــث لا يدّعــي الإحاطــة ولا الشــمول، ولكنــه مســاهمة متواضعــة في إبــراز مكانــة الحــوار في الإســلام، وعناويــن فصــول الكتــاب مأخــوذة بتــصرف مــن العناويــن التــي أعدتهــا جائــزة الشــيخ عــلي بــن عبــد اللــه آل ثانــي للعلــوم الشرعيــة والفكرالاســلامي.والله نســأل أن يجعلــه خالصــاً لوجهــه الكريــم وينفــع بــه كل مــن قــرأه، ويكــون زادا لكاتبــه يــوم لاينفــع فيــه مــال ولا بنــون إلا مــن أتــى اللــه بقلــب ســليم.

مدخل

تعريف الحوار:

الحـوار لغـة: أصلـه مـن الحـور (بفتـح الحـاء وسـكون الـواو) وهـو الرجـوع عـن الشـئ وإلى الشـئ.

قال لبيد بن ربيعة:

وَمَـا الْمَـرْءُ إِلَّا كَالشِّـهَابِ وَضَوْئِـهِ يَحُـورُ رَمَادًا بَعْـدَ إِذْ هُوَ سَـاطِعُ [1]

في معجـم مقاييـس اللغـة «لأبـي الحسـين أحمـد بـن فـارس بـن زكريّـا، وهـو مـن أمهـات كتـب فقـه اللغـة العربيـة» يعيـد الكاتـب الحـوار إلى جـذره الأسـاسي فعـل [2] «حَـوَرَ» ويقـول: الحـاء والـواو والـراء ثلاثـة أصـول: «أحدهـا لـون، والآخـر الرجوع، والثالـث أن يـدور الـشيء دوراً» فالحـوار شـدّة بيـاض العـين في شـدّة سـوادها. ويقـال لأصحـاب عيـسى عليـه السـلام الحواريـون لأنهـم كانـوا يحـوّرون الثيـاب أي يبيّضونهـا. وأحـوّر الـشيء أي أبيّضـه، وأمـا الرجـوع فيقـال حـار إذا رجـع. وكلُ رجـوع ونقـص فيـه حـور. وأعـوذ باللـه مـن الحـور بعـد الكـور. أي مـن النقـص بعـد الزيـادة. وثالثهـا إدارة الـشيء لاسـتقراره في مكانـه. وفي «محيـط المحيـط» للمعلـم بطـرس البسـتاني، حـار الرجـل يحـور حـوراً ومحـارة، رجـع، حـوّر الخبـزة ليضعهـا في مكانهـا. وحـاوره محـاورة جاوبـه وراجعـه في الـكلام. وتحـاور القـوم: تجاوبـوا وتراجعـوا الـكلام بينهـم [3].

يقـال: حـار، يحـور، حـوراً وحـؤوراً، ومنـه قوله تعـالى:﴿ **إِنَّـهُ ظَـنَّ أَن لَّـن يَحُورَ** ﴾ [الانشـقاق:14] أي يرجـع إلى ربـه وقوله صلى الله عليه وسـلم: (ومن دعـا رجلاً بالكفر، أو قـال: عـدو اللـه، وليس كذلـك إلا حارعليه) [4] وقـال النووي رحمه اللـه: « حار عليه،

---

(1)) لبيـد بـن ربيعـة بـن مالـك، أبوعقيـل العامـري، الشـاعر؛ معـدود مـن الصحابـة (ت41هــ)؛ ديـوان لبيـد بـن ربيعـة العامري، اعتنـى بـه: حمدو طمَّـس، القاهـرة – دار المعرفـة: الطبعـة الأولى: (1425هــ-2004م)، ص(56)

(2)) نبيـل خليفـة؛ مفهـوم الحـوار بـين الزعامـات القبليـة وفقـه اللغـة العربيـة؛ صحيفـة نـداء الوطـن اللبنانيـة، بتاريـخ (2023/9/14م).

(3)) أحمـد بـن فـارس بـن زكريـاء القزوينـي الـرازي، أبوالحسـين (ت395هــ)؛ معجـم مقاييـس اللغـة، تحقيـق: عبـد السـلام هـارون، بـيروت – دار الفكـر، طبعـة (1399هــ-1979م).

(4)) أخرجه البخاري رقم: (6045) ومسلم في كتاب الإيمان (61) عن أبى ذر رضى الله عنه.

وهـو معنـى رجعـت عليه : أي رجـع الكفر عليـه فباء وحار ورجـع بمعنى واحـد «[1] .

وأحـار عليـه جوابـه: رده وأحـرت لـه جواباً، ومـا أحـار بكلمـة والاسـم مـن المحاورة الحويـر تقـول: سـمعت حويرهمـا وحوارهمـا.

والمحـاورة: المجاوبـة والتحـاور: التجاوب وتقول: كلمتـه فما أحار إليَّ جواباً وما رجع إليَّ حويـراً، ولا حويـرة، ولا محورة، ولا حواراً، أي ما رد جواباً. واسـتحاره أي اسـتنطقه. وفي حديـث عـلي كـرم الله وجهه: يرجـع إليكما ابنـاً كما بحور مـا بعثتما بـه أي بجواب ذلك يقـال: كلمتـه فمـا رد إليَّ حوراً أي جوابـاً، وقيل: أرد بـه الخيبة والإحقـاق، وأصل الحور: الرجـوع إلى النقـص، ومنـه حديث عبادة: يوشـك أن يـرى الرجل من ثبج المسـلمين قراء القـرآن عـلى لسـان محمد، صـلى الله عليه وسـلم؛ فأعـاده وأبـدأه لا يحور فيكـم إلا كما يحـور صاحـب الحمار الميـت، أَي لا يرجـع فيكم بخـير ولا ينتفع بما حفظه مـن القرآن، كمـا لا ينتفـع بالحمـار الميـت صاحبه. وفي حديث سـطيح: فلم يُحِـرْ جواباً أَي لم يرجع ولـم يَـردَّ. وهـم يَتَحـاوَرُون أَي يتراجعون الـكلام والمُحـاوَرَةُ: مراجعة المنطـق والكلام في المخاطبـة، وقد حـاوره. والمَحُورَةُ: مـن المُحاوَرةِ مصدر كالمَشُـورَةِ من المُشـاوَرَة.[2].

والمحـاورة المجاوبـة. والتحاور: التجـاوب[3]. يقـال: تحـاوروا: تراجعوا الكـلام بينهم، وأحـار عليـه جوابه: رده، واسـتحاره: اسـتنطقه.

فالحوار إذاً في اللغة: هو الرجوع والمجاوبة.

مـن هـذه النصـوص المرجعيـة حـول فكـرة الحـوار يمكـن اسـتخلاص خمسـة معانٍ تتعلّـق بالحوار:

(أ) التعدّدية أي أنّه لكي يكون هناك حوار ينبغي أن يكون هناك أكثر من شخص واحد ليحاور الآخر وليس ليحاور نفسه.

---

(1) أبوزكريـا محيـي الديـن يحيـى بـن شرف الديـن النـووي (ت 676هـ)، المنهـاج شرح صحيـح مسـلم بـن الحجاج، بـيروت – دار إحيـاء الـتراث العربـي: (الطبعـة الثانيية(1392هـ)، الجـزء الثاني صفحـة (50).

(2) محمـد بـن مكـرم بـن عـلي، أبـو الفضـل، جمـال الديـن ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـي الإفريقـي (ت711هـ)، لسـان العـرب – بـيروت- دار صـادر: الطبعـة الثالثـة (1414هـ)، الجـزء الرابـع، ص(218).

(3) زيـن الديـن أبوعبداللـه محمـد بـن أبـي بكـر بـن عبـد القـادر الحنفـي الـرازي (ت666هـ) مختـار الصحـاح، المحقق: يوسـف الشـيخ محمـد، بـيروت – المكتبة العصريـة – الـدار النموذجية الطبعـة الخامسـة (1420هـ -1999م) ص(84).

(ب) معنى البياض إذ ارتبط معنى الحوار بفكرة البياض في الكون: الأجسام والأشياء والثياب وربّما النوايا.

(ج) الرجوع: إذ إنّ كل نقص ورجوع هو حور عند العرب ومنه المثل عند العرب: نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومعناه النقصان بعد الزيادة.

(د) وضع الشيء في مكانه كوضع الخبزة في آلة الفرن للاستواء.

(ه) الكلام المتبادل والمراجعة في الكلام إذ يقوم الحوار على تبادل الكلام بين المتحاورين بما يسمح لكل منهم بمراجعة كلامه ورأيه في ما يجري الحديث عليه وعنه.

يتبيّن ممّا تقدّم أنّ الحوار عمليّة فكريّة لغويّة لها أصولها التي ينبغي أن يتقيّد بها المتحاورون وإلا كان الحوار مجرّد نوازع شخصية غير خاضعة لقيم ومعايير فكرية وفلسفية واجتماعية، وكأن الحوار أشبه بملهاة منه بعملية بناء للعلاقات الاجتماعية السليمة والناجحة والناجعة[1].

وفي الإصطلاح: هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، ومنهم من عرفه بأنه: «نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، ويتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب»، وهو ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه [2].

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط:

أحدها: قوله تعالى:﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾[الكهف:34]

والثاني: قوله تعالى:﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾[الكهف:37]

والثالث: قوله تعالى:﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾[المجادلة:1].

(1)) نبيل خليفة؛ مفهوم الحوار بين الزعامات القبلية وفقه اللغة العربية؛ سابق.

(2)) يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة – دار التربية والتراث الدمام – رمادي للنشرالطبعة الأولى: (1414هـ -1994م) ص (22)

ومن المصطلحات القريبة من معنى الحوار:

(1) المجادلة:

أصلها من الجدل ومادة جدل في اللغة تدل على الشدة والقوة.

وقال: الرازى: الجدل: هو شدة الخصومة [1].

والجدل في الإصطلاح: هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة [2].

قال النووي رحمه الله: «الجدل والجدال والمجادلة: مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل، فإن كان للوقوف على الحق كان محمودا. قال الله تعالى:﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: 125]. وإن كان في مرافعة أو كان جدالا بغير علم، كان مذموما. قال الله تعالى:﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[غافر:4]. وأصله الخصومة الشديدة، وسُمِّيَ جدلا لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته'إحكاما بليغا على قدر طاقته، تشبها بجدل الحبل، وهو إحكام قتله، يقال جادله يجادله مجادلة وجدالا، وعلى هذا التفصيل الذي ذكرته يُنَزَّلُ ما جاء في الجدل من الذم والإباحة والمدح»[3].» ويكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الإستدلال «[4]. ولفظ الجدل ورد في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً كلها في سياق الذم إلا في ثلاثة مواضع [5].

أحدها: قوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾[النحل:125].

---

(1)) الرازي مختار الصحاح، سابق.

(2)) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت816هـ)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1403ه، -1983م)، ص (74)

(3)) أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت(676هـ) تهذيب الأسماء واللغات، بيروت – لبنان دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، الجزء الثالث: ص(48).

(4)) محمد أبوزهرة تاريخ الجدل، القاهرة – مصر -دار الفكر العربي، طبعة (2010م) ص (5)

(5)) فيصل بن عبده قائد الحاشري، فن الحوار – أصوله آدابه صفات المحاور، الإسكندرية-جمهورية مصر العربية: دار الإيمان للنشر والتوزيع، طبعة (2003م) تأليف فيصل الحاشرى، ص (16)

والثانـــي: قولـــه تعـــالى:﴿ **وَلَا تُجَادِلُـــوا أَهْـــلَ الْكِتَـــابِ إِلَّا بِالَّتِـــي هِـــيَ أَحْسَـــنُ**﴾ [العنكبوت:46].

والثالـــث: قولـــه تعـــالى:﴿ **قَـــدْ سَـــمِعَ اللَّـــهُ قَـــوْلَ الَّتِـــي تُجَادِلُـــكَ فِي زَوْجِهَـــا** ﴾ [المجادلـــة:1].

أمـــا في الســـنة فالأحاديـــث التـــي ورد فيهـــا لفظ الجـــدل على إطلاقـــه، فتدل عـــلى كراهيته، فمـــن ذلـــك حديـــث أبـــي أمامـــة رضي اللـــه عنـــه قـــال: قـــال رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عله وســـلم: (مـــا ضل قـــوم بعد هـــدى كانوا عليـــه إلا أوتـــوا الجدل)[1] ثـــم تلا رســـول الله صلى اللـــه عليه وســـلم هـــذه الآية:﴿ **مَـــا ضَرَبُـــوهُ لَكَ إِلَّا جَـــدَلًا بَلْ هُـــمْ قَـــوْمٌ خَصِمُونُ**﴾ [الزخرف:58].

فالجـــدل -إذا لـــم يؤمـــر بـــه ولم يمـــدح في الكتـــاب أو الســـنة على إطلاقـــه؛ بـــل الأصل فيه أنـــه مذمـــوم، ما لم يقيـــد بالحســـنى أو بالحق، كمـــا ورد في الآيتين الســـابقتين. « ومن ذلك يتبـــين الفـــرق بين الحـــوار والجدل، إذ أنهمـــا يلتقيـــان في كونهما حديثـــاً أو مراجعة للكلام بـــين طرفـــين، ويفترقـــان في أن الجدال فيـــه لدد في الخصومة وشـــدة في الكلام مع التمســـك بالـــرأي والتعصـــب لـــه. أما الحـــوار فهو مجـــرد مراجعة الـــكلام بين الطرفـــين دون وجود خصومـــة بالـــضرورة، بـــل الغالب عليـــه الهدوء والبعد عـــن التعصب ونحـــوه «[2].

(2) المناظرة:

المناظـــرة لغة مشـــتقة مـــن النظر، والنظر: تأمل الشـــئ بالعـــين. والتناظـــر: التقابل، يقال: تناظـــرت الـــداران تقابلتـــا ونظـــر إليـــك الجبـــل قابلـــك. والنظـــر: الفكـــر في الشـــئ تقدره وتقيســـه منك [3].

والمعنـــى الإصطلاحـــي للمناظـــرة: يرجـــع إلى النظـــير والمقابـــل في المخاطبـــة والـــكلام، أو إلى النظـــر بالبصـــيرة مـــن الجانبـــين في النســـبة بـــين الشـــيئين إظهـــاراً للصـــواب [4] وعـــلى

---

(1) رواه الترمـــذي برقـــم: (3253) واللفـــظ لـــه وقـــال: حســـن وابـــن ماجـــة رقـــم: (48)، وأحمـــد برقـــم(2264) عـــن أبـــي أمامـــة الباهـــلي رضي اللـــه عنـــه.

(2) فن الحوار لفيصل الحاشرى، ص (17) سابق.

(3) السابق، نفس الصفحة.

(4) التعريفات للجرجانى، ص (25)، سابق

هـذا المعنـى فهـي ممدوحـة وقريبـة مـن معنـى الحـوار، إلا أن المناظـرة أدل في النظـر والتفكـر، كمـا أن الحـوار أدل في مراجعـة الـكلام وتداولـه [1].

(3) المراء:

ورد المـراء في الـشرع عـلى معنـى المراجعـة، ومنـه قولـه تعـالى:﴿ **فَـلَا تُمَـارِ فِيهِـمْ إِلَّا مِـرَاء ظَاهِرًا**﴾[الكهـف:22].

كمـا ورد عـلى معنـى الجـدل بالظنـون الكاذبـة، والتخرّصـات الباطلـة ومنـه قولـه تعـالى:﴿ **ذَلِـكَ عِيـسَى ابْـنُ مَرْيَـمَ قَـوْلَ الْحَـقِّ الَّـذِي فِيـهِ يَمْـتَرُونَ** ﴾[مريـم:34].

والمـراء يطلـق ويـراد بـه الجـدال، إلا أن أغلـب اسـتعماله في اصطـلاح الأئمـة عـلى الجـدل المذمـوم، قـال أبـو بكـر بـن العربـي « أمـا المـراء: فهـو المجادلـة فيمـا تعلـم أنـه باطـل أو عـلى معنـى البدعـة «[2].

واسـتعمله بعـض العلمـاء فيمـن فسـد قصـده وغرضـه مـن الجـدال [3]. قـال ابـن مفلـح: « المـراء: اسـتخراج غضـب المجـادل، مـن قولهـم: «مَرَيْـتُ الشـاة» إذا اسـتخرجت لبنهـا «[4].

وقـال أبـو حامـد الغـزالي: « المـراء: طعـن في كلام الغـير، بإظهـار خلـل فيـه، مـن غـير أن يرتبـط بـه غـرض سـوى تحقـير الغـير، وإظهـار ميـزة الكياسـة «[5].

(4) المحاجة:

تطلـق المحاجـة لغـة وشرعـاً عـلى التخاصـم والجـدال، يقـال: رجـل محجـاج: أي جَـدِل، والتحـاج: التخاصـم [6]. والكثـير مـن المفسريـن يفـسر المحاجـة بالجـدل

(1)) فن الحوار لفيصل الحاشرى، ص (18) سابق.

(2)) القـاضي محمـد بـن عبـد اللـه أبوبكـر بـن العربـي المعافـري الإشـبيلي، المالكـي: (ت543هـ)، قانـون التأويـل، بـيروت-دار القبلـة للثقافـة الإسلامية-جدة-مؤسسـة علـوم القـرآن. الطبعـة الأولى: 1406هـ -1986م) ص (675).

(3)) حمـد بـن إبراهيـم العثمـان، أصـول الجـدل والمناظـرة في الكتـاب والسـنة، بـيروت – لبنـان-دار ابـن حـزم للطباعـة والنـشر والتوزيـع، الطبعـة الثانيـة: (1425هـ -2004م) ص (19)

(4)) شـمس الديـن محمـد بـن مفلـح المقـدسي الحنبـلي، (712 -763هـ)، أصـول الفقـه، تحقيـق وتعليـق وتقديـم: د. فهـد بـن محمـد العسَّـدحان، السـعودية-مكتبة العبيـكان، الطبعـة الأولى: (1420هـ -1999م)، المجلـد الثالـث: ص (/1416).

(5)) أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطوسي(ت505هـ)، إحيـاء علـوم الديـن، بـيروت – دار المعرفة-طبعـة: (1402هـ -1982م) الجـزء الثالـث ص(118)

(6)) لسان العرب: (2/ 226)، سابق.

والتخاصم، ففي قوله تعالى:﴿ **فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ** ﴾[آل عمران:20]؛ قال الطبري في معنى حاجوك: « أي خاصموك فيه بالباطل « وقال ابن كثير في الآية نفسها: « أي جادلوك في التوحيد «؛ وقال ابن الجوزي ـ أيضاً ـ في نفس الآية: «حاجوك: أي جادلوك وخاصموك «.

أما الحجة فتطلق على البرهان والدليل تقول: حاجه فحجة: أي غلبه بالحجة والصحيح أن الحجة: هي ما دفع به الخصم، سواءً أكان برهاناً صحيحاً، أو شبهة باطلة، وفي الحديث: (فحج آدم موسى)

والفرق بين الحجة والمحاجة: أن الحجة قد تمدح وقد تذم، وذلك بحسب إطلاقها، لأنها تطلق على البرهان الصحيح، كما تطلق على الشبهة الفاسدة، وأما المحاجة فإنها ـ في الغالب ـ مذمومة إذ القصد منها دفع الخصم ورده، لا لبيان الحق، وهي قريبة من معنى الجدل والمخاصمة [1].

(5) الخصومة:

ونسب النووي هذا الكلام للغزالي: ط وأما الخصومة فلجاج في الكلام، ليستوفي به مقصوده من مال أو غيره، وتارة تكون ابتداء، وتارة تكون اعتراضاً، والمراء لا يكون إلا اعتراضاً [2].

هذه التعريفات أغلبها منقول من كتاب فن الحوار أصوله وآدابه لأبي عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشري ـ بتصرف ـ ويتضح مما سبق أن أغلبها مذموم إذا استثنينا الجدل المُقَيَّد والحوار، وهذا البحث يختص بالحوار، الذي هو مطلب عصرنا هذا، وقد أوردنا هذه التعريفات لنميز بينها وبين الحوار حتى ينصرف الذهن إلى الحوار وحده، فقضايا عصرنا المعقدة؛ وواقعنا المأزوم، وعلو خطاب الكراهية والغلو، فضلاً عن التوجيهات الإسلامية؛ كل ذلك يتطلب حواراً مرناً يراعي الإختلاف والتعدد والتباين في المجتمع الإنساني.

---

(1) يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ص (31)، سابق.

(2) أبوزكرياء محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، الأذكار، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط (ت1425هـ)، بيروت – لبنان–دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة: (1414هـ -1994م)، ص (370)

الفصل الأول

أساسيات الحوار

- توطئة
- المبحث الأول : مقدماته
- المبحث الثاني : شروطه
- المبحث الثالث : آدابه
- المبحث الرابع: عوائق

توطئـة

النشـــاط الإنســـاني أنّـــى كان نوعـــه، يتوقـــف نجاحـــه عـــلى التخطيـــط الجيـــد، والتوقيـــت المناســـب، والبيئـــة الملائمـــة، والأهـــداف الواضحـــة، والمقدمـــات الســـليمة، وإزالـــة العقبـــات. والحـــوار نـــوع مـــن أنـــواع النشـــاط الإنســـاني؛ فهـــو كغـــيره يحتـــاج لمنهجيـــة واضحـــة، ومرنـــة، ومســـتوعبة لأغـــراضه، تصاحبـــه في كل مراحلـــه، مـــن مبتـــدأ التفكـــير فيـــه حتـــى منتهـــاه؛ لتكـــون نتائجـــه مثمـــرة، فليـــس القصـــد مـــن الحـــوار التلهـــي بالوقـــت، وإنمـــا الهـــدف هـــو التوصـــل إلى نتائـــج مقبولـــة للأطـــراف المتحـــاورة، مـــع عـــدم إهمـــال الخيـــارات المتاحـــة في حالـــة تعـــذر الإتفـــاق عـــلى الهـــدف المعلـــن، ولا يكـــون ذلـــك كذلـــك إلا إذا اعتبرنـــا الاشـــتراك في الحقيقـــة، والاشـــتراك في المعرفـــة، حقـــاً مكفـــولاً لـــكل النـــاس. قـــال تعـــالى : ﴿ **كُلاًّ نُّمِـــدُّ هَـــؤُلاء وَهَـــؤُلاء مِـــنْ عَطَـــاء رَبِّـــكَ وَمَـــا كَانَ عَطَـــاء رَبِّـــكَ مَحْظُـــورًا** ﴾ [الإسراء:20] فمنهـــج الحـــوار المحكـــم هـــو ذلـــك الـــذي يمكـــن الأطـــراف المتحـــاورة مـــن التوصـــل لأهـــداف الحـــوار، وبنـــاء عـــلى ذلـــك فهـــو يختلـــف باختـــلاف الأهـــداف التـــي يســـعى إليهـــا المتحـــاورون، فأطـــراف الحـــوار، وطبيعـــة الموضـــوع، وأغراضـــه، والظـــروف المحيطـــة بالأطـــراف؛ كل ذلـــك يســـاهم في تحديـــد معالـــم المنهجيـــة التـــي تُتَّبَـــع، ويختلـــف الحـــوار باختـــلاف أشـــخاصه وموضوعاتـــه، فهنـــاك حـــوار الـــذات، ومنـــه حـــوار النفـــس، وحـــوار الأسرة، وحـــوار المجتمـــع، وحـــوار الجماعـــات الإســـلامية مـــع بعضهـــا بعضـــاً، والحـــوار مـــع أصحـــاب الفكـــر العلمانـــي، والفكـــر القومـــي مـــن المســـلمين، وهنـــاك الحـــوار مـــع الآخـــر، ويشـــمل : حـــوار الأديـــان، وحـــوار الثقافـــات، وحـــوار الحضـــارات، وحـــوار المصالـــح ..الـــخ وكل واحـــد مـــن هـــذه الحـــوارات يتطلـــب منهجيـــة خاصـــة، تناســـبه وتتـــلاءم مـــع طبيعتـــه.

إن المقصـــود مـــن هـــذا البحـــث، هـــو أن يكـــون الحـــوار ثقافـــة راســـخة فى المجتمـــع فى كل أحوالـــه، ليصبـــح منهجـــاً متبعـــاً بديـــلاً عـــن أســـاليب العنـــف والتقاطـــع والتدابـــر، وإذا كان ذلـــك كذلـــك فـــإن التلقائيـــة يمكـــن أن تفيـــد مـــع العامـــة، لكـــن المعنيـــين خاصـــة فى مجـــال الأديـــان، والأفـــكار، والثقافـــات، والحضـــارات، مطالبـــون بالتخطيـــط والبحـــث لوضـــع آليـــات تجعـــل الحـــوار علمـــاً يقـــوم عـــلى

منهـــج واضـــح المعالـــم ، ذى وســـائل وأولويـــات وأهـــداف، وعالـــم اليـــوم يذخـــر بالمعـــارف التـــى تتعلـــق بفـــن التفـــاوض، والدبلوماســـية، والعلاقـــات الإنســـانية؛ فباســـتصحابها يمكـــن اســـتخراج منهـــج علمـــى خـــاص بالحـــوار، ومـــع كل الاعتبـــارات المذكـــورة فـــإن هنالـــك أركانـــاً عامـــة، يقـــوم عليهـــا منهـــج الحـــوار أذكـــر منهـــا الآتـــي:

المبحث الأول

مقدماته

1. سلامة البيئة:

الظروف المحيطة بالإنسان لها أثر كبير في تفكيره وفي مواقفه وفي أنشطته المختلفة ، وربما كانت عاملاً أساسياً في تشكيل شخصيته وتحديد مستقبله ، فالتاريخ يحدثنا : أن عنترة بن شداد كان منبوذاً من أبيه ومنكور النسب لسواد لونه ، فأصبح عبداً لشداد وليس ابنه ، هذه الأوضاع غطت على كل معاني النبل التي تكمن خلف هذا الجسد الأسود المنبوذ من المجتمع الذي وجد فيه ، وكان المتاح له في ظل هذه الظروف الإجتماعية الظالمة وظيفة الرعي فقط ، وظل كذلك حتى تعرض قومه لهجوم كسر شوكتهم ، وفرّ أبوه منهزماً فقال له : [كر ياعنترة] فقال عنترة : العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحلب والصر[1] فقال : كر وأنت حر، فكرّ وهو يقول :

أَنَا الْهَجِينُ عَنْتَرَةْ كُلُّ امْرِئٍ يَحْمِي حِرَهْ
أَسْوَدَهُ وَأَحْمَرَهْ وَالْوَارِدَتِ مَشْفَرَةِ
وَ ا لشَّعَرَا تِا لْمُشْعِر ةْ الْوَرِدَاتِ مِشْفَرَةْ[2]

كان لكلمات أبيه التي حررته من قيد الرق، أثر كبير في نفسه، فقد غيَّرت فيه الشعور بالدُّونية، وحركت فيه كل الطاقات الكامنة، فتفجرت شجاعة، وحكمة، وحباً، وعفة، وإباء، ونبلاً، فأتحف التاريخ بالْقِيمِ النبيلة، التي ارتبطت به، وصارت محل احتفاء حتى يومنا هذا! فهاهنا نجد أثر تغير البيئة كبيراً. فالحالة النفسية ـ التي هي نتاج للبيئة الإجتماعية الظالمة ـ عندما تغيرت؛ جعلت البيئة الجديدة تساعد في ظهور ما كان غيَّبه القهر. وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، تؤكد أثر البيئة على سلوك الإنسان، فعندما قرر القاتل التخلي عن سلوكه، سأل عن التوبة، فلما أجيب بأنه لا توبة له، قتل

(1) الصر: شد الضرع برباط، وفي النهاية [من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المراعي سارحة، ويسمون ذلك الرباط الصرار فإذا راحت عشيا حلت تلك الصرار وحلبت]

(2) أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، الشعر والشعراء، القاهرة-دار الحديث طبعة: (1423هـ) الجزء 1 ص (243)

المسئول فأكمل العدد مائة، وسأل شخصاً آخر فأخبره بإمكانية التوبه، لكنه محتاج لتغيير المكان الذي يقيم فيه، فعزم على الرحيل وهجر موقعه لموقع آخر، لكن الموت قد أدركه قبل الوصول، فغفر الله له! عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال :(كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمل به مائة! ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؛ فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة)[1]. وهذا معناه أن الإنسان من شأنه أن يتأثر بالبيئة التي تحيط به، وأن سلوكه سيتشكل حسب طبيعتها، والحديث الشريف أكّد هذا، وفي مجال آخر بينت السنة النبوية تأثر الإنسان بالوسط الذي يوجد فيه سلباً وإيجاباً، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة خبيثة) [2]. وفي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تشير إلى أثر البيئة على الإنسان ومواقفه وسلوكه ، ففي بعض المواقف فإن مجرد وجود الشخص في ساحة معينة، كفيل بإجراء الحكم عليه، وإن لم يشترك مع الذين مارسوا الأفعال المحرمة قال تعالى : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ**

(1) متفق عليه والرواية لمسلم صحيح مسلم رقم: (2766) – القاهرة -مكتبة الإيمان، ص: (1367) ورواه البخارى، صحيح البخارى، رقم: (3470) مكتبة الإيمان، ص (730).

(2) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (5534) ومسلم في صحيحه (2628)

آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[النساء:140] فالآية توضح أن من يجلس مع الذين يكفرون بآيات الله ويستهزءون بها سيكون حكمه مثل حكمهم، فكأنه بجلوسه قد شاركهم في خوضهم ، وفي سورة الأنعام جاء النهي قاطعاً بعدم مجالسة الذين يخوضون في آيات الله قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[الأنعام:68].

والحوار كنشاط إنساني غير مستثنى من تأثير المشاعر، فلكي يكون الحوار مجدياً ينبغي أن تكون الظروف ملائمة لأطراف الحوار المعنية، فلا جدوى لأي حوار يقوم في ظل أوضاع لا تسمح باستخدام العقل، والإنسان عموماً والشرقي على وجه الخصوص، تطغى عاطفته على عقله عندما يغضب ، أو يحب ، أو يكره ، فتكون أحكامه متأثرة بالظروف النفسية التي يعيشها، ولهذا السبب منع الشرع أن يحكم القاضي وهو غضبان ، كتب أبو بكرة إلى ابنه بسجستان بأن لا تقضي بين اثنين وأنت غضبان، فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان)[1] وعليه فحيثما كانت الظروف غير طبيعية، فإنها سوف تُلْقِي بظلالها على مجريات الحوار، والمناخ المأزوم يؤثر على الحوار وربما يفسده، فمثلاً إذا كان أحد الأطراف يشعر بأن الطرف الآخر لا يحترمه، أو لا يثق فيه، أو يتحامل عليه؛ فإن الحوار في ظل هذه الظروف لا يؤدي إلى النتائج المرجوة ، أيضاً إذا كانت الأجواء مشحونة بالغضب ضد الطرف الآخر، فلا جدوى من الحوار والحال كذلك ، وهذا ملاحظ في حالة الغضب التي يكون عليها الرأي العام في العالم الإسلامي ضد الغرب بسبب سياسات الولايات المتحدة الأمريكية ومواقفها من قضايا الأمة الإسلامية، ودعمها اللامحدود لإسرائيل المغتصبة لحقوق الشعب الفلسطيني، أو بسبب الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرت في بعض الصحف الغربية، ففي هذه الحالة لن يفيد الحديث عن

(1) أخرجه البخارى في كتاب الأحكام (7158) صحيح البخارى، ص (1429)

حـوار مـع الغـرب؛ بـل يتحـول المجتمـع إلى النقيـض نتيجـة لأجـواء السـخط التـي تخيـم عليـه. ذكـر مايـكل شـوير: المسـئول السـابق في الوكالـة المركزيـة للمخابـرات الأمريكيـة (سي آي ايـه) (. أن الغـزو الأمريكـي للعـراق وأفغانسـتان ودعـم واشـنطن الإقتصـادي والعسـكري لإسرائيـل المسـتبدة في العالـم الإسـلامي، شَـكَّل دعمـاً كبـيراً للقاعـدة. وأضـاف أن الأحـداث التـي وقعـت في العامـين الماضيـين بالـشرق الأوسـط [1] سـاعدت في زيـادة كراهيـة المسـلمين للأمريكيـين لمجـرد أنهـم أمريكيـون. وقـال إن مـن بـين تلـك الأحـداث فضيحـة تعذيـب معتقـلي سـجن أبـو غريـب، ومعاملـة المعتقلـين في غوانتانامـو، ونـشر الرسـوم الكاريكاتوريـة المسـيئة للنبـي محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم في صحـف أوروبيـة وأمريكيـة) [2]. كذلـك عندمـا تقمـع السـلطة الحاكمـة في دولـة مـا قـوى المعارضـة، وتـزج برموزهـا في السـجون والمعتقـلات، وتسـلط إعلامهـا الرسـمي لتشـويه صـورة خصومهـا السياسـيين، فـإن الحديـث عـن الحـوار تعتـبره المعارضـة خضوعـاً لمنطـق الغالـب وليـس حـواراً متكافئـاً ، وأيضـاً عندمـا تكـون الأجـواء متوتـرة بـين الجماعـات الدينيـة ، ويتطـور التعصـب إلى صراع دمـوي مسـنود بفتـاوى تكفيريـة، فالحديـث عـن الحـوار لا يجـد تجاوبـاً ، مـع أنـه في بعـض الأحيـان قـد تسـاعد الأزمـة عـلى إنجـاح الحـوار إذا كان الطرفـان يرغبـان في تجـاوز منـاخ الأزمـة تحقيقـاً لمصلحـة مشـتركة ، فالحـروب التـي تندلـع بـين أطـراف متصارعـة تلحـق بهـا خسـائر ماديـة وبشريـة فظيعـة ، وقـد يكـون مـن مصلحـة الجميـع إنهـاء الحـرب، فربمـا تسـاعد المشـاهد المروعـة للحـرب المتفاوضـين عـلى التوصـل إلى مـا يحقـق السـلام ويزيـل آثـار الحـرب ، ففـي التاريـخ القديـم والمعـاصر قامـت حـروب بـين الفرقـاء أضعفـت قـدرات المتحاربـين وأجبرتهـم عـلى إنهائهـا عـن طريـق الحـوار، تطلعـا للسـلم الـذي هـو في مصلحـة الجميـع، وحـرب البسـوس[3] خـير مثـال في التاريـخ القديـم، والحربـين العالميتـين مـن أبـرز أمثلـة التاريـخ المعـاصر . ولكـن يظـل الوضـع الطبيعـي أن منـاخ الأزمـة عائـق للحـوار. فالبيئـة السـليمة الصحيـة في مناحيهـا المتعـددة مقدمـة ضروريـة للحـوار المثمـر.

(1)) يقصد الغزو الأمريكي للعراق والأحداث التي ترتبت عليه.

(2)) صحيفة الأهرام بتاريخ 28 ابريل 2006م

(3)) هـي حـرب شـهيرة دارت بـين قبيلتـى بكـر وتغلـب بسـبب ناقـة قتلهـا كليـب زعيـم التغلبييـن وصاحبـة الناقـة إسـمها البسـوس خالـة جسـاس الـذي قتـل كليبـا انتصـارا لكرامتـه التـي انتهكـت ...

2. الإعتراف بالآخر:

القاعدة الأخلاقية العامة في الحياة الإجتماعية هي: أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك، والمجتمع الإنساني قائم على التعدد والتنوع وتداخل المصالح وتشابكها، فكل إنسان فيه يحب أن يعامل معاملة طيبة، تُحْتَرَمُ إنسانيتَهُ، وتُصان كرامته، وتحفظ خُصوصيته. هذه الحقوق تقابلها واجبات بنفس القدر تجاه الآخرين، والإسلام ربط هذا الأمر بالإيمان قال صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1] والإعتراف بالآخر يكفل له حقه في الإختلاف، وحقه في احترام معتقداته وشعائره وأفكاره ، ويحتفظ له بنسبة من الحقيقة ، فالحقيقة الكاملة لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى، وقد وزعها على عباده بنسب متفاوتة ليتكاملوا حتى وهم يتصارعون، فمن يظن أنه وحده يمتلك الحقيقة، سيُسْقط الآخر من ذهنه ويتمحور حول نفسه، ويحصر الحق في ذاته، فالمخالف له : هو كالعدم في مقابل الوجود، وكالكفر في مقابل الإيمان، وكالباطل في مقابل الحق .

إن التحاور مع الآخر يقتضي الإعتراف بوجوده ، وهذا الإعتراف مرتبط بحقوق إنسانية في الإطار الإنساني العام ، وحقوق دينية لأهل الأديان، وحق الإجتهاد للمسلم المخالف، فالحكمة الإلهية اقتضت وجود الإنسان بكل خصائصه على الأرض مستخلفاً فيها، وما دام عاقلاً حراً ، يتمتع بالإرادة والإختيار، فمن الطبيعي أن يحدث التباين والإختلاف، والتنوع في المعتقدات، والمفاهيم، والأفكار، والعادات، والأعراف، والثقافات، وينبغي أن يلاحظ أن الإسلام فرق بين إنحراف العقائد، ومعاملة معتقيها، فالإسلام سَفَّهَ عقائد المشركين، وأكد بطلانها بالرغم من اعترافه بها كواقع مشاهد قال تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾[الكافرون:6] فالإعتراف هنا إعتراف وجود وليس اعتراف صحة معتقد، ومع ذلك فإن الإسلام دافع عن حقهم في الحياة وفي حرية العبادة، وفي صيانة معتقداتهم ودور عبادتهم؛ بل نجد أن القرآن الكريم قدم المحافظة على دور عبادتهم على المساجد التي هي أماكن تعبد المسلمين قال تعالى : ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ**

(1)) رواه البخارى في كتاب الإيمان (13) صحيح البخارى مكتبة الإيمان القااهرة

﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[الحج:40]. وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبدأ في تأسيس الدولة الجديدة التي كانت تضم ديانات متعددة وقوميات متنوعة، وضع دستوراً لهذه الدولة نص على حقوق غير المسلمين وأصل للإعتراف بهم وبخصوصياتهم العقدية والثقافية والقانونية، والتزم الدستور بحمايتها من أي عدوان: (. وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف. وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف. إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته. وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم. وأن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الإثم، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم. وأن بطانة يهود كأنفسهم.)[1] هذا النهج الجديد المتمثل في الإعتراف بالآخر وكفالة حقوقه، لم تعرفه جزيرة العرب في ظل هيمنة المفاهيم الجاهلية، فقد كانت الهيمنة للغالب، ومنطق القوة هو السائد، وعلاقات القبائل قائمة على الحروب، والمغلوب مضطهد ومسترق، وحتى أصحاب الديانات لم يسلموا من التعصب؛ ففي داخل الملة الواحدة قامت حروب بين المذاهب، لقد أصّل الإسلام لحقوق الآخر، وأحل التسامح محل التعصب، واعتبر الإختلاف آية من آيات الله الكونية التي توجب الإعتبار : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[الروم:22] فاختلاف الألسنة يشمل اللغة والثقافة بكل أقسامها، واختلاف الألوان لا يقف عند لون البشرة، فاختلاف القسمات والهيكل والمقاس والبصمة وغيرها، مما يتميزبه كل شخص عن الآخر ، وما أبدع اللفتة القرآنية : ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:21] ورسخ الرسول صلى الله عليه وسلم ثقافة المحافظة على حق الآخر، وسار الخلفاء الراشدون على نهجه في الإعتراف

(1)) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبومحمد جمال الدين (ت213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، القاهرة- مصر – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية: (1375هـ -1955م) الجزء الأول صفحة:(503).

بالآخر الديني وحمايته من أي عدوان ، فالخليفة عمر بن الخطاب كتب عهدا لنصارى المدائن وفارس يحمي حقوقهم الإنسانية والدينية والمدنية من أي عدوان، ونصه : (هذا كتاب من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين : لأهل المدائن ، وبهرسير ، والجاثليق بها ، وقسانها ، وشمامسها . جعله عهداً مرعياً، وسجلاً منشوراً، وسنة ماضية فيهم، وذمة محفوظة لهم. فمن كان عليها كان بالإسلام متمسكاً، ولما فيه أهلا، ومن ضيعه ونكث العهد الذي فيه وخالفه وتعدى ما أمر به كان لعهد الله ناكثاً، وبذمته مستهيناً سلطاناً كان أو غيره من المسلمين. أما بعد: فإني أعطيتكم عهد الله وميثاقه وذمة أنبيائه ورسله وأصفيائه وأوليائه من المسلمين، على أنفسكم وأموالكم وعيالاتكم وأرجلكم، وأماني من كل أذى. وألزمت نفسي أن أكون من ورائكم، ذَاباً عنكم كل عدو يريدني وإياكم، بنفسي وأتباعي وأعواني والذَّابِّين عن بيضة الإسلام، وأن أعزل عنكم كل أذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة، فليس عليكم جبر ولا إكراه على شئ من ذلك. ولا يغير أسقف من أساقفتكم ولا رئيس من رؤسائكم، ولا يهدم بيت من بيوت صلواتكم، ولا بيعة من بيعكم، ولا يدخل شئ من بنائكم إلى بناء المساجد ولا منازل المسلمين، ولا يعرض لعابر سبيل منكم في أقطار الأرض، ولا تكلفوا الخروج مع المسلمين إلى عدوهم لملاقاة الحرب. ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية على الإسلام كرهاً لما أنزل الله في كتابه: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِ** ﴾[البقرة:256] ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[العنكبوت:46] وتكف أيدي المكروه عنكم حيث كنتم ، فمن خالف ذلك فقد نكث عهد الله وميثاقه، وعهد محمد صلى الله عليه وسلم، وخالف ذمة الله والعهد الذي استوجبوا به حقن الدماء، واستحقوا أن يُذَبَّ عنهم كل مكروه، لأنهم نصحوا وأصلحوا ونصروا الإسلام)[1] فماذا ترك هذا العهد للميثاق العالمي لحقوق الإنسان ؟! فميثاق حقوق الإنسان ينص على حقوق نظرية، ولكن عهد عمر يُلزم الدولة والمجتمع والأفراد بحماية الحقوق والدفاع عن الآخر ضد أي عدوان، وكف الأذى عنهم والإمتناع عن كل ما من شأنه أن يسئ إليهم، أو إلى معتقداتهم،

(1) محمد حميدالله الحيدر آبادي الهندي (ت1424هـ)مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت- دار النفائس، الطبعة السادسة: (1407هـ) ،ص (195 - 196).

ودور عبادتهم، وينهي عن التدخل في شئونهم الدينية؛ فهم أحرار في اختيار من يمثلهم. فَحَقُّ الآخر إذن مكفول ومصان بنصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، وموثق بعهود ملزمة، لا يجوز نقضها من الْخَلَفِ ، وكما كفل الإسلام حقوق الآخر الديني ، كفل حق الإجتهاد المختلف في داخل ملة الإسلام، وتأكيداً لإحترام الرأي الآخر استمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لآراء متباينة من صحابته فلم يعنفهم؛ بل تقبل ذلك برحابة صدر واحترام . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثتا الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم به ثم أضرمه عليهم ناراً . قال فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً . فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج عليهم فقال : إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[ابراهيم:36] ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[المائدة:118] وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿**رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾[نوح:26] وإن مثلك ياعمر كمثل موسى قال : ﴿ **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ [يونس:88] أنتم عالة فلايبقين أحد إلابفداء أوضربة عنق)[1] وما تقدم أبلغ دليل على جواز الإجتهاد واحترام إختلاف الرأي ومشروعيته ، فكلا المجتهدين مصيب ويعبر كل واحد منهما عن منهج يحتاج إليه المجتمع في جانب من جوانبه، وفي مرحلة من مراحله، وإذا كان هذا

(1)) عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المعروف ب (ابن كثير)، (ت774هـ)، البداية والنهاية، القاهرة – مطبعة السعادة، الطبعة الأولى: (1348 -1358هـ)، الجزء الثالث: ص (297)

جائـزاً في عهـد رسـول اللـه ففيمـا عـداه أكثـر جـوازاً لاحتيـاج النـاس لـه بسـبب المسـتجدات التـي تطـرأ في حياتهـم .

3. الإستعداد للحوار:

مـن المقدمـات الضروريـة لنجـاح أي حـوار اسـتعداد أطرافـه لـه ، فـإذا كان أحـد الأطـراف لا يؤمـن بجـدوى الحـوار ، أو يعتقـد أنـه سـيكون عـلى حسـاب حقـوق اكتسـبها وليـس لديـه اسـتعداد للتنـازل عنهـا فـإن الحـوار سـيكون مضيعـة للوقـت ، والذيـن يرفضـون الحـوار غالبـاً مـا يكونـون عاجزيـن أمـام مخالفيهـم بسـبب ضعـف منطقهـم وقـوة حجـة خصمهـم : ﴿ **وَقَـالَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا لَا تَسْـمَعُوا لِهَـذَا الْقُـرْآنِ وَالْغَـوْا فِيـهِ لَعَلَّكُـمْ تَغْلِبُونَ**﴾[فصلـت:26] أو بسـبب تعصبهـم للمألـوف وعـدم اسـتعدادهم للتخـلي عنـه حتـى في حالـة إثبـات بطلانـه قـال تعـالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ مَـا أَرْسَـلْنَا مِـن قَبْلِـكَ فِي قَرْيَـةٍ مِّـن نَّذِيـرٍ إِلَّا قَـالَ مُتْرَفُوهَـا إِنَّـا وَجَدْنَـا آبَاءنَـا عَـلَى أُمَّـةٍ وَإِنَّـا عَـلَى آثَارِهِـم مُّقْتَـدُونَ * قَـالَ أَوَلَـوْ جِئْتُكُم بِأَهْـدَى مِمَّـا وَجَدتُّمْ عَلَيْـهِ آبَاءكُـمْ قَالُـوا إِنَّـا بِمَـا أُرْسِـلْتُم بِـهِ كَافِـرُونَ** ﴾[الزخـرف:23-24] وهكـذا كان حـال أهـل مكـة مـع رسـول اللـه أعماهـم الركـون إلى المألـوف عـن رؤيـة الحـق الأبلـج، فرفضـوا دعـوة الحـق وعانـدوا وجحـدوا بهـا مـع أنهـم في قـرارة أنفسـهم مسـتيقنون بصدقهـا، عـن نافـع عـن ابـن عمـر ، عـن عمـر بـن الخطـاب في قولـه تعـالى : ﴿ **وَقَالُـوا قُلُوبُنَـا فِي أَكِنَّـةٍ مِّمَّـا تَدْعُونَـا إِلَيْهِ**﴾الآيـة قـال: «أقبلـت قريـش إلى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال لهـم : مـا يمنعكـم مـن الإسـلام فتسـودوا العـرب ؟ فقالـوا : يـا محمـد، مـا نفقـه مـا تقـول، ولا نسـمعه، وإن عـلى قلوبنـا لغلفـاً، قـال : وأخـذ أبـو جهـل ثوبـاً فمـد فيمـا بينـه وبـين النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقـال: يـا محمـد، قلوبنـا في أكنـة ممـا تدعونـا إليـه، وفي آذاننـا وقـر ومـن بيننـا وبينـك حجـاب، فقـال النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم: أدعوكـم إلى خصلتـين : أن تشـهدوا أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شريـك لـه، وأنـي رسـول اللـه، فلمـا سـمعوا شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه ولـوا عـلى أدبارهـم نفـوراً وقالـوا : ﴿ **أَجَعَـلَ الْآلِهَـةَ إِلَهًـا وَاحِـدًا إِنَّ هَـذَا لَـشَيْءٌ عُجَـابٌ** ﴾ وقـال بعضهم لبعـض: ﴿ **امْشُـوا وَاصْبِرُوا عَلَـى آلِهَتِكُـمْ إِنَّ هَـذَا لَشَـيْءٌ يُـرَادُ * مَـا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِي الْمِلَّـةِ الْآخِـرَةِ** ﴾ يعنـون النصرانيـة ﴿ **إِنْ هَـذَا إِلَّا اخْتِـلَاقٌ * أَأُنـزِلَ عَلَيْـهِ الذِّكْـرُ مِـن بَيْنِنَـا** ﴾[ص:5-8]

وهبط جبريل وقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ، ويقول : أليس يزعم هؤلاء أن على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر، فليس يسمعون قولك؟ كيف:﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾[الإسراء:46] لو كان كما زعموا لم ينفروا، ولكنهم كاذبون يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهية له»[1] . فهؤلاء منطقهم يقوم على العناد والمكابرة، واتباع الهوى حيث يريدون أن تأتى الرسالة مطابقة لهواهم، متغافلين عن أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وأنه لا يستشير عباده فيما يريد، ومع ركونهم إلى المألوف فإن الدعوة الجديدة بمفاهيمها حول التوحيد فى العقيدة، والمساواة بين الناس، وعدم التفاضل بينهم بسبب اللون أو التقسيم الطبقى الظالم، هذه المفاهيم تضر بمصالح المستفيدين من النظام الجاهلى، ولذلك هم يحاولون أن يتجنبوا السماع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن حديثه مقنع وحجته دامغة، ودعوته تزيل الغشاوة عن الأعين، وتحرر العقول من أسر الخرافة، ورغم هذا العناد فإن الحوار مع أهل مكة لم ينقطع . لقد جعل الإسلام الحوار وسيلة للإقناع وليس الإكراه، فالعقيدة التى تقوم على الاكراه لا تستمر، وإذا استمرت لا تكون صادقة؛ لأن المكره والحال هكذا يظهرخلاف ما يبطن، فبمجرد زوال عامل الاكراه فإنه سيتخلى عنها؛ لأنها لم تكن عن قناعة، فالحوار إذاً أقرب طريق لتوضيح معالم العقيدة الإسلامية، وهو مطلوب مع الجميع، ومما يؤكد ذلك أن الإسلام يناشد الآخر الملي ويدعوه بأسلوب حواري موضوعي أن يستجيب للمنطق الداعي للتوحيد ونفي الشرك والربوبية لغيرالله، قال تعالى : **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَئا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾**[آل عمران:64].

ولو كانوا منصفين لقبلوا هذه الدعوة التى لا تطالب بغير ما جاءت به الكتب السابقة. ومما تقدم يتضح أن تعاليم الإسلام تُولِي إهتماماً لسلامة البيئة، وتهيئ المسلمين للإعتراف بالآخر، وأن يكون لديهم استعداد للحوار.

(1)) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الدر المنثور، بيروت-دار الفكر: الجزء السابع ص(312-313).

المبحث الثاني

شروطه

1. التوازن النفسي:

بطبيعة الحال فإن الإنسان عندما يكون متوتراً أو خائفاً أو قلقاً ..الخ فإن حكمه على الأشياء سيكون متأثراً بالحالة النفسية التي يعيشها، والإنسان بحكم تكوينه (معرض لمشاكل نفسية حتمية: يأمل فيخيب أمله، ويحزن فيسود أفقه، ويكره فتضيق دنياه ، ويفرح فيطيش صوابه، ويحب فيهيم هياماً، ويسبح في الخيال فينسى واقعه، ويخلد لواقعه فيقتله الملل)[1] هذه الحالات النفسية تصبغ تصرفات الإنسان ومواقفه، فتأتي أحكامه متأثرة بالحالة النفسية التي يعيشها، والحوار يحتاج إلى اعتدال في المزاج، وتوازن في المشاعر، واستقرار نفسي، لتكون مواقف المحاور موضوعية تتحرى الصواب والحق دون ميل. إن تعرض المحاور لأيِّ هزة نفسية سيؤثر على أدائه، فإن كان حزيناً سوف ينظر بسوداوية للطرف الآخر، ويفسر كل موقف تفسيراً سلبياً، وإن كان خيالياً فسوف يعيش على أحلام وأوهام لا وجود لها في أرض الواقع، ومن أسباب الإضطراب عند الإنسان الفرح والحزن المبالغ فيهما، فإن فرح فرحاً شديداً فإنه يرى الكون كله من حوله جميلاً، وإن حزن أظلمت الدنيا في وجهه، ولعل بيت الشعر المشهور المنسوب للإمام الشافعي يمثل أفضل تلخيص لهذه الحالة:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكَنَّ عَيْنَ السَّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا [2]

والسنة النبوية أشارت إلى هذا المعنى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته.

(1)) الصادق المهدي: العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الإجتماعي الإسلامي ـ القاهرة منشورات الأمة ـ (1987م)، ص (30).

(2)) السيد الهاشمى، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، بيروت – لبنان-دارالمعرفة: الطبعة الأولى:(1426ه 2005م)، ص (913)

فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح) [1] هذا الإضطراب سببه الفرح المفاجئ، حيث يكون الشخص في حالة يأس لفقدانه عزيزاً لديه، وفجأة يجده فتختلط الكلمات في لسانه لتعدد المشاعر التي طرأت عليه. وعندما يكون الإنسان حزيناً يرى الأشياء بسوداوية متأثراً بالحالة النفسية التي تمر به، فتظلم الدنيا في وجهه، وتضيق عليه الأرض بما رحبت، وربما يتفوه بما لا ينبغي، وقد وصف القرآن حالة المسلمين عندما حاصرتهم الأحزاب في المدينة ، في غزوة الخندق قال تعالى : ﴿ **إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾[الأحزاب:10-12]. ودعوة الإسلام الوسطية تهدف إلى التوازن في حياة الإنسان، لذلك نجد القرآن الكريم يبين للمسلم أن كل ما يحدث في هذا الكون مكتوب ومقدر، فلا داعى للحزن على المصيبة، ولا للفرح الْمُبْطِرْعلى النعمة، قال تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾[الحديد:22-23] إن التوازن النفسي مهم في حياة الإنسان، وقد بين الإسلام طرق تحقيقه، أهمها : الإيمان بالقدر، فهنالك أشياء كتبت على الإنسان بصورة قدرية لا يمكنه التخلص منها، مثل الخلق وما يتعلق به من لون وطول وقِصَر وهوية ورزق ..الخ هذه الأشياء مكتوبة ومقدرة، فإذا أدرك المؤمن ذلك اطمأنت نفسه، وقابل النعمة بالشكر، والمصيبة بالصبر، ومن طرق تحقيق التوازن النفسي الإيمان بأن الله محيط بكل شيء، وأنه وحده القادر على فعل ما يريد، دون أن يعترضه عارض يعطل إرادته، هذه العقيدة تحقق التوازن النفسي، وتطمئن الإنسان بأن الخلق لا حول لهم ولا قوة، وهم غير قادرين على فعل أي شئ إلا بإذن الله. قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس : (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو

(1)) رواه مسلم (2747) صحيح مسلم، ص: (1358).

اجتمعت على أن ينفعوك بشئ، لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ، لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك؛ رُفِعَتِ الأقلام وجفت الصحف)[1] إذا ترسخ هذا المفهوم العقدي في وجدان الإنسان، لانصرف ذهنه للخالق لا للمخلوق، ولأدرك أن ما يراه يجري على أيدي الناس، هو من صنع الله القادر الحكيم، كذلك فإن ذكر الله واستحضار عظمته في القلب يحقق السكينة والطمأنينة قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[الرعد:28].

2. طلب الحق:

إن كان هدف الإنسان الوصول إلى الحقيقة، فإنه سيكون أهلاً للحوار؛ لأنه ينشد الحق فلا يضيره أن يجده عند غيره، قال الإمام الشافعي : (ما كلمت أحداً قط إلا وأحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أُبَالِ بَيَّنَ الله الحق على لساني أو لسانه)[2] قال الحافظ ابن رجب معلقاً على كلام الشافعي : « وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحق، ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه، ومن كانت هذه حاله، فإنه لا يكره أن يُرَدَّ عليه قوله، ويتبين له مخالفته للسنة لا في حياته ولا بعد مماته، وهذا هو الظن بغيره من أئمة الإسلام الذَّابِّينَ عنه، القائمين بنصره، من السلف والخلف، ولم يكونوا يكرهون مخالفة من خالفهم ـ أيضاً ـ بدليل عَرَضَ له ولو لم يكن ذلك الدليل قوياً عندهم؛ بحيث يتمسكون به، ويتركون دليلهم له »[3] فالمؤمن ينبغي أن يكون الحق مطلبه، أنى وجده أخذ به، ولا يستنكف من الخضوع له حتى وإن جاء من خصمه، فالتعصب للرأي مع مخالفته للصواب نهج مذموم، وسيرة السلف تذخر بشواهد تؤكد قبولهم للحق الصادر عن غيرهم، وتخليهم عن رأيهم حيثما تبين خطأوه. قال الغزالي رحمه الله : (التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات .. منها أن يكون

---

(1)) رواه الترمذى واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما، برقم (2516) وقال حديث حسن صحيح، وأحمد برقم: (2669).

(2)) ابن قتيبة، الفقيه والمتفقه (5/2). سابق.

(3)) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي (ت795هـ)، الفرق بين النصيحة والتعبير، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، عمان الأردن – دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: (1409هـ -1988م)، ص (10).

في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق. فهكذا كانت مشاورة الصحابة رضي الله عنهم، حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته إلى الحق وهو في خطبته على ملإ من الناس، فقال : أصابت إمرأة وأخطأ رجل : وسأل رجل علياً رضي الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال: أَصَبْتَ، وَأَخْطَأْتُ، وفوق كل ذي علم عليم)[1] هذا النهج لا شك أنهم تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يُعْرَفْ عن العرب قبل مجيء الإسلام أنهم كانوا موضوعيين في أحكامهم ومواقفهم؛ بل سجلت أشعارهم تعصباً للقبيلة، واعتداداً بالرأي مهما كان خطؤه، وقد سجل شاعرهم دريد بن الصمة ما سبقت الإشارة إليه بقوله :

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوِيتُ وَإِنْ تَرْشَدْ غَزِيَّةُ أَرْشَدُ[2]

وكان الصحابة رضي الله عنهم يتحاورون ويتشاورون بحثاً عن الحق ليتبعوه، فصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم جسّدت فيهم روح الإسلام؛ لأنهم عايشوا كيف كان الرسول يستشير أصحابه بالرغم من أنه مسدد بالوحي، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد ـ أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ـ فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم : خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال : « ارتفعوا عني» ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : « ارتفعوا عني « ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا

(1)) الغزالي، إحياء علوم الدين (1/47) سابق.

(2))ابن قتيبة، الشعر والشعراء، الجزء الثانى، ص (738) سابق

تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر رضي الله عنه في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر رضي الله عنه: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! -وكان عمر يكره خلافه-نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كانت لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان متغيباً في بعض حاجته فقال : إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سمعتم به بأرض ، فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) قال : فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه ثم انصرف)[1] فخليفة المسلمين استشار المهاجرين، واستشار الأنصار، فلما اختلفوا عليه استشار أهل الخبرة، فأخذ بإجماعهم الذي دعمه التشريع النبوي، وكان بإمكانه أن يُصْدِرَ قراره بالعودة دون الرجوع إليهم؛ لأن الضرر واقع لا محالة إذا دخلوا، ومبدأ المصلحة يعطيه هذا الحق، ولكنها التربية النبوية التي حرصت على الشورى في كل ما يتعلق بشئون الأمة؛ لتُرسى مبادئ الحكم الراش،د القائم على الشفافية والمشاركة. وأبوعبيدة -أمين الأمة -يُكن له خليفة المسلمين احتراماً خاصاً لمكانته في الإسلام، ولشهادة الرسول له بأنه أمين هذه الأمة؛ لذلك عندما اعترض لم يُعَنِّفْهُ عمر وإنما برر له موقفه بشئ من واقع الحياة.

إن معظم الحوارات التى اعتراها الإخفاق، كانت أسباب فشلها تعود إلى أن من يقومون بها ليست الحقيقة مطلبهم، وإنما يقصدون هزيمة خصومهم والتفوق عليهم، قال أبو حامد الغزالى: (فانظر إلى مناظري زمانك اليوم، كيف يَسْوَدُّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه ؟! وكيف يخجل به ؟! وكيف يجهد في مجاهدته ؟! وكيف يذم من أفحمه طول عمره ؟!)[2] قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ**

(1) متفق عليه: رواه البخارى برقم: (5729)، ومسلم برقم: (2219) والرواية لمسلم.

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين، (1/44) سابق.

فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾[البقرة:2044-2006]
إن الذين يجادلون إنتصاراً لأنفسهم ومواقفهم حتى وإن جانبها الصواب؛ لا يعترفون بالحق إذا جاء على لسان مخالفيهم، لقد رفض الإسلام هذا الأسلوب وطلب من المسلمين أن يخضعوا للحق مهما كان مصدره، قال صلى الله عليه وسلم : (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهوأحق الناس بها)[1] .

3. عدم تجريد الخصم من الفضائل:

الفضائل قيم إنسانية موجودة في كل المجتمعات البشرية، وهي محل حفاوة من العقلاء، وحتى المجتمعات الجاهلية لا تخلو من القيم الفاضلة، ونعرف من دراستنا للتاريخ أن العرب كانوا أهل كرم وشجاعة ونجدة ووفاء وحكمة، حتى قبل أن يأتيهم الإسلام، وبرز منهم حاتم الطائي، وعبد الله بن جدعان، وقس بن ساعدة، وأمية بن أبي الصلت، وزهير بن أبي سلمى، وآخرون وينسب إلى عنترة قوله:

حَتَّى أُوَقِّيَ مَهْرَهَا مَوْلَاهَا ... إِذْ اسْتَمْتُ[2] أُنْثَى نَفْسَهَا فِي مَوْطِنٍ
غَزَى فِي الْحَرْبِ لَا أَغْشَاهَا ... وَأَغُضُّ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِيَ جَارَتِي
حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مَأْوَاهَا ... وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِيَ جَارَتِي
أَتْبَعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا ... إِنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الْخَلِيقَةِ مَاجِدٌ

فالمخالف قد يكون ضال العقيدة، منحرف الفكر، لكنه لا يخلو من الفضائل، وكلام عنترة إن قيل دون سند؛ لظن السامع إنه من كلام الصحابة رضي الله عنهم، وقال ابن القيم: إن الشريعة لا ترد حقاً، ولا تكذب دليلاً، ولا تبطل أمارة صحيحة. وقد أمر الله سبحانه بالتَّثَبُّتِ وَالتَّبَيُّنِ في خبر الفاسق، ولم يأمر برده جملة. فإن الكافر الفاسق قد يقوم على خبره شواهد الصدق، فيجب قبوله والعمل به. وقد استأجر النبي صلى الله عليه وسلم في سفر الهجرة دليلاً مشركاً على دين قومه، فأمنه ودفع إليه راحلته[3]. وقد شهد رسول الله

---

(1)) رواه الترمذى

(2))ما استمت : أي لم أراودها عن نفسها

(3)) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (691-751هـ)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، حققه

صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حلف الفضول الذي أبرمته قريش لنصرة المظلوم وردع الظالم فقد قال صلى الله عليه وسلم : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت ، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلوماً)[1] وقد سئل احد الحكماء : الحق مع من ؟ قال : مع كل الناس، أي أن كل إنسان لا يخلو من معرفة؛ بل إن الآخر قد يرجع له الفضل في إبراز ما ليس عندك، وربما تكون لديك عيوب لا تراها إلا من خلاله، فالإنسان عادة لا ينظر إلى الجانب السلبي من حياته، وإنما يحاول في الغالب إبراز الإيجابيات، واخفاء السلبيات، فكأنه ينسى حقيقته البشرية المجبولة على الخير والشر، ورحم الله ابن الخطاب الذي قال : (رحم الله امرءا أهدى إليَّ عيوبي)[2] والحكمة العربية تقول: « وبضدها تتبين الأشياء «. بعض الناس يجردون خصومهم من أية فضيلة، ويرمونهم بكل قبيح، وهو نهج يرفضه الإسلام قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[المائدة:8] فالموضوعية في التناول، والإعتراف للآخر بالإحسان إذا أحسن، نهج إسلامي له أثره النفسي لدى المتحاورين، فهو يجعل الخصم مطمئناً لعدالة مُحَاوِرِهِ، ومن ثم يسهل التفاوض وَيُؤْتِي ثماره .

4. المرونة وعدم التعصب:

التطرف، والغلو، والتعصب، والتشدد، عبارات متقاربة المعنى، وهي مواقف وممارسات تنمو في تربة البيئة المأزومة. وهي تعكس حالة أصحابها النفسية أكثر من كونها التزاما بتعاليم دينية، فالإسلام جاء بالوسطية في العقيدة، وبالتيسير في العبادات، وبالتدرج في الأحكام، وبمراعاة المصلحة في المعاملات، وبالتسامح في الفكر، وبالإحسان في التعامل. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا

وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون، دمشق – الجمهورية العربية السورية-مكتبة دار البيان. الطائف -المملكة العربية السعودية-مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى: (1410هـ -1989م) ص (23).

(1) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 2 / ص 270) سابق.

(2) الغزالي؛ إحياء علوم الدين، ص (764) سابق.

غَلَبَـهُ، فَسَـدِّدُوا وَقَارِبُـوا وَأَبْـشِرُوا، وَيَـسِّرُوا، وَاسْـتَعِينُوا بِالْغَـدْوَةِ وَالرَّوْحَـةِ وَشَيْءٍ مِـنَ الدُّلْجَـةِ) [1] وهـذا مـا يخالفـه المتشـددون؛ فإنهـم بنهجهم المتشـدد يرهقون أنفسـهم، فتعجـز عـن المواصلـة، فيلجـأون إلى العزلـة هروبـاً، أو يتنحـرون يأسـاً، أو ينفسـون غضبهـم عنفـا ضـد الآخريـت بالقـول والفعـل. وعندمـا بـرزت مظاهـر الغلـو في بداية الدعـوة، صححهـا رسـول اللـه حتـى لا تكـون منهجـاً إسـلامياً في المسـتقبل. عـن أنـس بـن مالـك رضي اللـه عنـه قـال: جـاء ثلاثـة رهـط إلى بيـوت أزواج النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، يسـألون عـن عبـادة النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فلمـا أُخْـبِرُوا كَأَنَّهُـمْ تَقَالُّوهَـا [أي قالـوا هـذه العبـادة بالنسـبة لنـا قليلـة] فقالـوا أيـن نحـن مـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـد غُفـر لـه مـا تقـدم مـن ذنبـه ومـا تأخـر. قـال أحدهـم: أمـا أنـا فإنـي أصـلي الليـل أبـداً، وقـال آخـر: أنـا أصـوم الدهـر ولا أفطـر، وقـال آخـر: أنـا أعتـزل النسـاء فـلا أتـزوج أبـداً؟ فجـاء رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسـلم فقـال: (أأنتـم الذيـن قلتـم كـذا وكـذا؟ أمـا واللـه إنـي لأخشـاكم للـه وأتقاكـم لـه؛ لكنـي أصـوم وأفطـر، وأصـلي وأرقـد، وأتـزوج النسـاء، فمـن رغـب عـن سـنتي فليـس منـي) [2] هكـذا اجْتَـثَّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بـذور التطـرف قبـل أن تنبـت وتنمـو فتنحـرف بعقيـدة المسـلمين نحـو الغلـو. لأن الإسـلام ديـن الوسـطية، قـال تعـالى:﴿ **وَكَذَلِـكَ جَعَلْنَاكُـمْ أُمَّـةً وَسَـطًا لِّتَكُونُـواْ شُـهَدَاء عَـلَى النَّـاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُـولُ عَلَيْكُـمْ شَـهِيدًا.** ﴾[البقـرة:143] وبعـد أن ابتعـد النـاس مـن منبـع النبـوة الصـافي، أطلـت ظاهـرة الغلـو مـرة أخـرى، خاصـة في عهـد الفتنـة الـذي قُتِـلَ فيـه الخليفـة عثمـان بـن عفـان رضي اللـه عنـه، والأحـداث التـي أعقبـت ذلـك، فكانـت مآلاتهـا قواصـم لظهـر أمـة الإسـلام. حيـث ظهـر الغلـو أول مـا ظهـر عـلى أيـدي الخـوارج، الذيـن كفّـروا جميـع المسـلمين الذيـن خالفوهـم الـرأي! وعـلى رأسـهم أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبـي طالـب رضي اللـه عنـه؛ لأنـه قَبِـلَ التَّحْكِيـمَ مـع معاويـة وقالـوا: «لا حكـم إلا اللـه»!! ـ والتـي رد عليهـا عـليٌّ قائـلا: «إنهـا كلمـة حـق أريـد بهـا باطـل، لكـم علينـا ثـلاثٌ: لا نمنعكـم مسـاجد اللـه أن تذكـروا فيهـا اسـم اللـه، ولا نبدؤكـم بقتـال، ولا نمنعكـم الفـيء مـا دامـت أيديكـم معنـا» [3]. لقـد كان

(1) رواه البخارى برقم:(39).

(2) متفق عليه : رواه البخارى (1151) ومسلم (1401).

(3) أبوالحسـن عـلي بـن محمـد بـن حبيـب البـصري البغـدادي، الشـهير بالماوردي(374-450هـ)، الأحـكام السـلطانية، تحقيـق: أحمـد جـاد -القاهـرة، دار الحديث: سـنة الطبـع: (1427هـ -2006م) ص (100).

الخـوارج أهـل صيـام وصـلاة، كمـا وصفهـم الشهرسـتاني؛ إلا أنهـم كانـوا غـلاة في أفكارهـم، فاعتـبروا مرتكـب الكبـيرة كافـراً، وخرجـوا عـلى أئمتهـم للهفـوة الصغـيرة، وتشـدد كثـير منهـم في النظـر إلى مخالفيهـم مـن المسـلمين، فيعدونهـم كفـاراً[1] بـل كانـوا يعاملونهـم بمـا هـو أقـسى مـن معاملـة الكفـار. وقـد تنبـأ بهـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ففـي الصحيحـين، عـن أبـي سـعيد الخـدري رضي اللـه عنه، قـال: بينمـا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يَقْسِـمُ، جـاء عبـد اللـه ذو الخويـصرة التميمـي، فقـال: اعـدل يارسـول اللـه! فقـال: «وَيْلَـكَ وَمَـنْ يَعْـدِلُ إِذَا لَـمْ أَعْـدِلْ؟ قـال عمـر بـن الخطـاب : دعْنِـي أَضْرِبْ عُنُقَـهُ، قَـالَ: دَعْـهُ، فَـإِنَّ لَـهُ أَصْحَابًـا، يَحْقِـرُ أَحَدُكُـمْ صَلَاتَـهُ مَـعَ صَلَاتِـهِ، وَصِيَامَـهُ مَـعَ صِيَامِـهِ، يَمْرُقُـونَ مِـنَ الدِّيـنِ كَمَـا يَمْـرُقُ السَّـهْمُ مِـن الرَّمِيَّـةِ، يُنْظَـرُ فِي قُـذَذِهِ فَـلَا يُوجَـدُ فِيـهِ شَيْءٌ، ثُـمَّ يُنْظَـرُ فِي نَصْلِـهِ فَـلَا يُوجَـدُ فِيـهِ شَيْءٌ، ثُـمَّ يُنْظَـرُ فِي رِصَافِـهِ فَـلَا يُوجَـدِ فِـهِ شَيْءٌ، ثُـمَّ يُنْظَـرُ فِي نَضِيِّـهِ فَـلَا يُوجَـدُ فِيـهِ شَيْءٌ، قَـدْ سَـبَقَ الْفَـرْثَ وَالـدَّمَ، آيَتُهُـمْ رَجُـلٌ إِحْـدَى عَضُدَيْـهِ، مِثْـلُ ثَـدْيِ الْمَـرْأَةِ، أَوْ قَـالَ: مِثْـلُ الْبَضْعَـةِ تَـدَرْدَرُ، يَخْرُجُـونَ عَـلَى حِـينِ فُرْقَـةٍ مِـنَ النَّـاسِ» قـال أبوسـعيد: أشـهد أنـي سـمعت مـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأشـهد أن عليـا قتلهـم، وأنـا معـه، جـيء بالرجـل عـلى النعـت الـذي نعتـه النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: فنزلـت فيـه: ﴿ وَمِنْهُـم مَّـن يَلْمِـزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾[التوبـة:58]) [2]. فهـؤلاء عبـاد زهـاد ولكنهـم لـم يكونـوا مـن أهـل الفقـه والحكمـة فانحرفـوا عـن الـصراط المسـتقيم.

ويـروى أن واصـل بـن عطـاء زعيـم المعتزلـة وقـع في أيـدي الخـوارج، فادّعـى أنـه مـشرك مسـتجير! ورأى أن هـذا ينجيـه منهـم أكثـر ممـا تنجيـه دعـواه أنـه مسـلم مخالـف لهـم، قـال المدائنـي : (أقبـل واصـل بـن عطـاء في رفقـة فلقيهـم نـاس مـن الخـوارج فقالـوا لهـم : مـن أنتـم ؟ قـال لهـم واصـل : مسـتجيرون حتـى نسـمع كلام اللـه، فأعرضـوا علينـا، فعرضـوا عليهـم فقـال واصـل : قـد قبلنـا قالـوا : فامضـوا راشـدين . قـال واصـل : مـا ذلـك لكـم حتـى تبلغـون مأمننـا . قـال تعالـى : ﴿ **وَإِنْ أَحَـدٌ مِّـنَ الْمُشْرِكِـينَ اسْـتَجَارَكَ فَأَجِـرْهُ حَتَّـى يَسْـمَعَ كَلاَمَ اللّـهِ ثُـمَّ أَبْلِغْـهُ**

(1)) أبوالفتـح محمـد بـن عبـد الكريـم بـن أبـي بكـر أحمـد الشهرسـتاني (ت548هـ) الملـل والنحـل، القاهـرة، مؤسسـة الحلبـي وشركاه: سـنة النـشر (1387هـ-1968م) ص (114 ومابعدهـا).

(2)) رواه البخاري برقم: (3610)، ومسلم برقم: (1064).

مَأْمَنَهُ﴾[التوبة:6] فأبلغونا مأمننا ، فجاءوا معهم حتى بلغوا مأمنهم[1]. وافترق الخوارج أنفسهم إلى عشرين فرقة ومن أفكارهم أنهم كفّروا جميع المسلمين الذين يخالفونهم! وبالتالي لا يلبون دعوتهم، ولا يأكلون ذبائحهم، ولا يتزوجون نساءهم، ولا يزوجونهم، ويحلون قتل أطفالهم ونسائهم. كذلك ظهر غلاة التشيع في تلك الفترة كرد فعل للاضطهاد والظلم الذي وقع على آل البيت من بني أمية أولاً، ومن بني العباس لاحقاً، وهم أنفسهم اختلفت تصوراتهم حول التشيع؛ فبعضهم يعتبره عقيدة دينية خالصة، وحجتهم في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علي: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) [2] وبعضهم يرى أن التشيع فكرة سياسية خالصة، ويستدلون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟) [3] وآخرون يرون التشيع وجداناً عاطفياً، ويستدلون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: (لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق) [4]. تلك الظروف التي مرت بالمسلمين، أخرجت بعضهم عن نهج الإعتدال والوسطية، إلى نهج التطرف والتكفير، ودافعهم في ذلك تعزية النفس عما لحق بها من ظلم، والدافع الآخر هوانتصار للذات وللفكر وليس إنتصاراً للإسلام. فالإمام الغزالي في رسالته بعنوان : « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة « يقول : (الكفر : هو تكذيب الرسول في شئ مما جاء به، والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به ... إلى أن يقول : اعلم أن الذي ذكرنا مع ظهوره تحته غور؛ بل تحته كل الغور، لأن كل فرقة تُكَفِّرُ مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام : فالحنبلي يكفر الأشعري، زاعماً أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعماً أنه مشبه، وكذب الرسول في أنه [تعالى] : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:11] والأشعري يكفر المعتزلي، زاعماً

---

(1)) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، بيروت -دارالكتب العلمية: سنة النشر (1418هـ)، الجزء الأول، ص: (293).

(2)) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (109/ 9) عن حبشي بن جنادة السلولي، وأخرجه ابن ماجة برقم (116) وأحمد برقم (18502) بألفاظ متقاربة.

(3)) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة بالرقم: (2404).

(4)) رواه مسلم برقم(78).ا

أنـه كـذب الرسـول في جـواز رؤيـة اللـه تعـالى، وفي إثبـات العلـم والقـدرة والصفـات لـه، والمعتـزلي يكفـر الأشـعري، زاعمـاً أن إثبـات الصفـات [تكثـير][1] للقدمـاء، وتكذيـب للرسـول في التوحيـد، يقـول الغـزالي : ولا ينجيـك مـن هـذه الورطـة، إلا أن تعـرف حـد التكذيـب والتصديـق وحقيقتهمـا فيـه، فينكشـف لـك غلـو هـذه الفـرق وإسرافهـا في تكفـير بعضهـا بعضـاً.. وحقيقـة [التصديـق] الاعـتراف بوجـود مـا أخـبر الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم عـن وجـوده. إلا أن للوجـود خمـس مراتـب، ولأجـل الغفلـة عنهـا نسـبت كل فرقـة مخالفهـا للتكذيـب.

[فالوجـود]: ذاتـي وحـسي وخيـالي وعقـلي وشـبهي) [2] وبـإدراك حقيقـة كل مرتبـة يعـرف الإنسـان أن كل مخالـف ذهـب مذهبـاً نظـر فيـه إلى الأمـر مـن جانـب وأغفـل الجوانـب الأخـرى، ولـو نظـروا للأشـياء بهـذا العمـق لالتمسـوا الأعـذار لبعضهـم بعضـاً واتهمـوا أنفسـهم بالتقصـير.

إن ظاهـرة التطـرف أطلـت مـن جديـد في هـذا العـصر، فالفتـاوى التـي تكفـر الأفراد والجماعـات مـن المسـلمين تصـدر كل يـوم بسـبب مواقـف اتخذوهـا تخالـف منهـج صاحـب الفتـوى، أو يكفرونهـم للمعصيـة الصغـيرة مـع أن الإسـلام نهـى عـن ذلـك، قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (لا تكفـروا واحـداً مـن أهـل القبلـة بذنـب وإن عملـوا بالكبائـر وصلـوا مـع كل إمـام وجاهـدوا مـع كل أمـير) [3]. ولا يتـورع بعـض الذيـن نصبـوا أنفسـهم دعـاة دون تأهيـل أن يكفـروا كل مـن خالفهـم الـرأي، وبالطبـع فإن الحـرب أولهـا كلام، فمـن كفّـر اليـوم يمكـن أن يتبـع قولـه بالفعـل غـداً، فيقتـل من حكـم عليـه بالكفـر، والرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم حـذر مـن تكفـير المسـلمين وبَـيَّنَ أَنَّ مَـن كَفَّـرَ أَخَـاهُ المسـلمَ فَسَـيَرْجِعُ الْكُفْـرُ إِلَيْـهِ إن كان مـن رمـاه بالكفـر بريئـاً؛ قـال يحيـى بـن يحيـى: أخبرنـا إسـماعيل بـن جعفـر عـن عبـد اللـه بـن دينـار أنـه سـمع ابـن عمـر يقـول: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: (أيمـا امـرئ قـال لأخيـه: يـا كافـر. فقـد بـاء بهـا أحدهمـا؛ إن كان كمـا قـال؛ وإلا رجعـت

(1) في الأصل: (تكفير) ولعل الصواب تكثير

(2) أبوحامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطـوسي، مجموعـة رسـائل الإمـام الغـزالي، بـيروت –دارالفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع طبعـة: (2006م)، ص: (239 – 240).

(3) أبوالحسـن نورالديـن عـلي بـن أبـي بكـر بـن سـليمان الهيثمـي (ت807هـ)، مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائـد، تحقيـق: حسـام الديـن القـدسي، القاهرة–مكتبـة القـدسي عـام النـشر (1414هـ –1994م)، عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا: (1 / 107).

عليـه) [1].

إن أخطـر مـا في ظاهـرة التكفـير، هـوأن التكفيريـين يعتقـدون أنهـم عـلى حـق وغيرهـم عـلى باطـل، وينزلـون أنفسـهم أو جماعتهـم منزلـة الفرقـة الناجيـة، وأنهـم يتقربـون إلى اللـه سـبحانه وتعـالى بقتـل مخالفيهـم! فعندمـا قَتَـلَ عبـد الرحمـن بـن ملجـم عـلي بـن أبـي طالـب رضي اللـه عنـه، وهـو في المحـراب يـؤم المصلـين في صـلاة الصبـح؛ كان يعتقـد أنـه يتقـرب إلى اللـه سـبحانه وتعـالى بقتلـه، وامتـدح فعلـه هـذا عمـران بـن حطـان أحـد علمـاء الخـوارج: قائـلاً:

يَـا ضَرْبَـةً مِـنْ تَقِـيٍّ مَـا أَرَادَ بِهَـا ... إِلَّا لِيَبْلُـغَ مِـنْ ذِي الْعَـرْشِ رِضْوَانَـا
إِنِّـي لَأَذْكُـرُهُ يَوْمًـا فَأَحْسَـبُهُ ... أَوْفَى الْبَرِيَّـةِ عِنْـدَ اللـهِ مِيزَانَـا [2].

فكيـف يتقـرب الإنسـان إلى اللـه سـبحانه وتعـالى بقتـل أخيـه المسـلم! ناهيـك عـن كـون المقتـول أمـير المؤمنـين، وأول مـن آمـن بالإسـلام مـن الصبيـان، فممـا لا ريـب فيـه أنَّ هـذا انحـراف لا دواء لـه إلا الإسـتئصال. وقـد رد عـلى عمـران بـن حطـان الفقيـه الطـبري أبـو الطيـب طاهربـن عبـد اللـه الشـافعي فقـال:

إِنِّـي لَأَبْـرَأُ مِمَّـا أَنْـتَ قَائِلُـهُ ... عَـنْ ابْـنِ مُلْجَـمِ الْمَلْعُـونِ بُهْتَانَـا
يَـا ضَرْبَـةً مِـنْ شَـقِيٍّ مَـا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَهْـدِمَ مِـنْ ذِي الْعَـرْشِ بُنْيَـانَ
إِنِّـي لَأَذْكُـرُهُ يَوْمًـا فَأَلْعَنُـه دُنْيَـا ... وَأَلْعَـنُ عِمْرَانَـا بـنَ حِطَّانَـا
عَلَيْـهِ ثُـمَّ عَلَيْـهِ الدَّهْـرُ مُتَّصِـلًا ... لَعَائِـنُ اللـهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًـا
فَأَنْتُمَـا مِـنْ كِلَابِ النَّـارِ جَـاءَ بِـهِ ... نَـصُّ الشَّرِيعَـةِ بُرْهَانًـا وَتِبْيَانًـا [3].

إن للتطـرف والتشـدد عوامـل كثـيرة نفسـية واجتماعيـة وفكريـة واقتصاديـة وغيرهـا وسـأذكر هنـا العوامـل الآتيـة:

أولاً: الفهـم الخاطـئ للديـن: فالإسـلام ديـن الرحمـة، والتسـامح، والإعتـدال؛ غير أن هنالـك بعـض النـاس يغلبـون جانـب العـذاب عـلى الرحمـة، والعقوبـة عـلى المغفـرة، والمظهـر عـلى الجوهـر، ويجعلـون الاختـلاف الاجتهـادي بـين المسـلمين -وهـو اختـلاف نوعـي -اختـلاف تضـاد. ومنهـم مـن لا ينظـرو إلا إلى الجانـب العقابـي

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان (115) سابق.
(2) الشهرستاني، الملل والنحل، ص(144) سابق.
(3) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء(9) ص(53) سابق.

في الإسلام، ويغض الطرف عن المغفرة مع أن الله سبحانه وتعالى يقول:﴿ **مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾ [النساء:149] وبعض الناس يتشددون في النوافل حتى وإن أدى ذلك لضياع الواجبات، وما ذلك إلا من قلة فقههم، وفهمهم المنحرف للدين. لقد استفتى أحد الفقهاء فقيل له أدرك المصلين في المسجد، فإنهم كادوا أن يقتتلوا !! قال فيم ؟! قيل: إن بعضهم يقول إنَّ صلاة التراويح عشر ركعات، وآخرون قالوا عشرين ركعة، وهم الآن ينتظرون منك الفتوى؛ قال الفتوى عندي أن يغلقوا المسجد ويتركوا صلاة التراويح! قالوا كيف يكون ذلك يا شيخنا؟ قال: إن صلاة التراويح لا تعدوا أن تكون نافلة، ووحدة المسلمين واجبة، فلا قامت نافلة تبطل واجباً !! فالفهم الصحيح للدين الإسلامي، من مصادره الصحيحة هو العاصم من هذا الإنحراف.

ثانياً: النزعة التسلطية: من عوامل التشدد إدعاء معرفة الحق المطلق وحصره في الذات، وهو نهج فرعوني قال تعالى:﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾[غافر:29]. فبعض الناس غير مستعدين لقبول الرأي الآخر؛ بل يعتبرون كل من خالفهم هو عدو! ومرجع ذلك نزعة نفسية تسلطية تتحكم عليهم، ولإعطاء شرعية لمواقفهم، يبحثون عن تبرير فيلجأون إلى الدين لا لمعرفة الحق فيتبعوه، وإنما تصيداً للآيات والأحاديث التي توافق هواهم، وهؤلاء ضلوا وأضلوا، فلو أراد الله لأحد من البشر أن يتسلط لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ غير أن الله سبحانه وتعالى قال له : ﴿ **لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ** ﴾[الغاشية:22] وقال : ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** ﴾ [الكهف:29] وقال : ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** ﴾[يونس:99] فهذه النصوص تؤكد حرية الإنسان وتنفي أية وصاية عليه، وتبين أن العقيدة لا تكون بالإكراه، وإنما بالإقتناع واختيار الإنسان الحر هو ما تقتضيه عدالة المحاسبة .

ثالثاً: عبء أثقال الماضي: بعض الناس يطاردهم الماضي الذي ارتكبوا فيه الموبقات التي تسبب لهم عُقَداً نفسية تلاحقهم من وقت لآخر، فعندما يذكرون

ماضيهم يشعرون بالصَّغَار! ولكي يصرفوا الناس عن ماضيهم يتشددون في مواقفهم ويغالون في عبادتهم، ويتطرفون في أفكارهم ، ودافعهم في كل ذلك هو أن يُنسوا الناس ماضيهم المنحرف ، هؤلاء سيظل ماضيهم يطاردهم ويكونون أسرى للهواجس فلا يصلحون للحوار ، فشرط المحاور أن يكون معتدل المزاج متجرداً ، ولو فهم هؤلاء الإسلام فهماً صحيحاً لأدركوا أن التوبة تجب ما قبلها ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)[1] ، وربما يكون التائبون توبة نصوحاً عند الله أفضل من الذين لم يقعوا في المعصية؛ لأن من قلت معصيته ربما يكون عرضة للإعجاب المبطر، والإعجاب محبط للعمل كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وأما التائبون فهم أقرب إلى الانكسار والتواضع واتهام النفس بالتقصير فى جنب الله فيجتهدون لإرضاء خالقهم، ولا يتطاولون على خلقه .

رابعاً : العيش في ظل الاستبداد السياسي : مناخ الكبت والقهر والخوف والإرهاب، من شأنه أن يُوَلِّد الإحباط، والتطرف، والهروب من الواقع، والخوف من المستقبل؛ فالضغط النفسي الناشئ عن تلك الأسباب، يمكن أن ينفجر في شكل ممارسات عنيفة، موجهة ضد الأبرياء والضعفاء، كما هو مشاهد في عالم اليوم، قال عالم الاجتماع: عبد الرحمن الكواكبي : (ومن غريب الأحوال أن الأُسَرَاء [المقهورين] يبغضون المستبد، ولا يَقْوُونَ على استعمالهم معه البأس الطبيعي الموجود في الإنسان إذا غضب، فيصرفون بأسهم في وجهة أخرى ظلماً : فيعادون من بينهم فئة مستضعفة، أو الغرباء، أو يظلمون نساءهم، ونحو ذلك. ومثلهم في ذلك مثل الكلاب الأهلية، إذا أريد منها الحراسة والشراسة، فأصحابها يربطونها نهاراً ويطلقونها ليلاً، فتصير شرسة عقورة، وبهذا التعليل تُعَلَّلُ جسارة الأسراء أحياناً في محارباتهم، لا أنها جسارة عن شجاعة. وأحياناً تكون جسارة الأسراء عن التناهي في الجبانة أمام المستبد، الذي يسوقهم إلى الموت فيطيعونه انذعاراً كما تطيع الغنمة الذئب فتهرول بين يديه إلى حيث يأكلها)

(1)) رواه مسلم في كتاب التوبة رقم: (2759)

[1] لقد شخَّص هذ العالم الحالة أبلغ تشخيص، وهو ما يفسر قسوة المتطرفين تجاه مخالفيهم، فنراهم يبتسمون وهم ينظرون إلى ضحاياهم يتأوهون من الألم؛ بل ربما يتناولون طعامهم وهم يجلسون على جثث ضحاياهم، ومن ناحية أخرى نجد أعوان المستبدين الذين يمثلون أياديهم الباطشة، يستأسدون على الضعفاء ويتنمرون، وعندما يواجهون مواقف تستدعي البسالة والصمود، يهرولون هرباً! قال عمران بن حطان مُعَيِّراً الحجاج عندما فَرَّ هارباً في بعض حروبه من غزالة زوجة شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي :

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتْخَاءُ[2] تَنْفِرُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ
هَلَّا كَرَرْتَ عَلَى غَزَالَةَ فِي الْوَغَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَوَانِحِ طَائِرِ[3]

لذلك حرص الإسلام على توفير مناخ الحرية والأمان والتفاؤل؛ لأن المناخ السليم في ظله يولد الإبداع، والتفاؤل، والاعتدال في المواقف، والوسطية في الأفكار، فمناخ الاستبداد والخوف أسوأ عدو للإنسان؛ لأنه يُفسد الأمزجة ويشوه الطبائع، ويشوش التفكير. يقول الكواكبي: (وقد يبلغ فعل الإستبداد بالأمة أن يُحَوِّلَ مَيْلَهَا الطبيعي من طَلَبِ التَّرَقِّي إلى طلب التَّسَفُّلِ، بحيث لو دُفِعَت إلى الرِّفْعَةِ لَأَبَتْ وتألمت كما يتألم الأجهرُ من النور، وإذا أُلْزِمَتْ بالحرية تَشْقَى، وربما تَفْنَى كالبهائم الأهلية إذا أُطْلِقَ سَرَاحُها . وعندئذ يصيرالإستبداد كالعِلْقِ [4] يَطِيبُ له المقام على امتصاص دم الأمة، فلا ينفكُّ عنها حتى تموت ويموت هو بموتها) [5]؛ هذا العالم كأنه يقرأ حال أمتنا في عصرها الحاضر! فقد قتل الإستبداد فيها روح الإبداع والمقاومة وأفسد مزاجها، وانفرط عقدها، وهزمت في كل المعارك التي خاضتها مع عدو احتل ثالث مقدساتها وشرد أهلها، والمدهش حقا، أن العدو تحيط به الدول العربية الإسلامية، إحاطة السوار بالمعصم؛ ولو توزع المسلمون الذين يجاوِرون العدوَّ، بحيث يكون كل ألف شخص ضد واحد من أفراد العدو، عسكريين ومدنيين؛ لخرج بعضهم دون نصيب!! ومع

(1)) عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة، تحقيق: الدكتور محمد عمارة، القاهرة-دار الشروق، سنة النشر(2007م)، ص (503).

(2)) فتخاء: مسترخية مفاصلها

(3)) ابن قتيبة، عيون الأخبار، الجزء الأول، ص (263) سابق.

(4)) العِلْق: دود أسود يمتص الدم. يكون في الماء الآسن إذا شربته الدابة علق بحلقها. مفرده: علقة بفتح العين واللام

(5)) الأعمال الكاملة للكواكبى، ص (506) سابق.

كل هـذا التَّفَـوُّقِ البـشري لصالـح الأمـة؛ إلا أنهـا هزمـت في كل المعـارك التـي خاضتها مـع العـدو باسـتثناء حـرب أكتوبـر 1973 وحـرب تمـوز يوليـو 2006م التـي انتـصرت فيهـا المقاومـة اللبنانيـة! إنـه الهـوان الـذي تنبـأ بـه رسـول اللـه صـلى الله عليـه وسـلم. عـن ثوبـان قـال: قال رسـول اللـه صلـى اللـه عليه وسـلم: (يوشـك أن تداعـى عليكـم الأمـم، كمـا تداعـى الأكلـة إلى قصعتهـا، فقـال قائـل: أمـن قلّـة نحـن يومئـذ؟ قـال: بـل أنتـم يومئـذ كثـير، ولكنّكـم غثـاء كغثـاء السّـيل، ولينزعـنّ اللـه مـن صـدور عدوّكـم المهابـة منكـم، وليقذفـنّ في قلوبكـم الوهـن، فقـال قائـل: يـا رسـول اللـه ومـا الوهـن؟ قـال: حـبّ الدنيـا وكراهيـة المـوت) [1]. فالاسـتبداد مـع قتلـه لـروح المقاومـة، فإنـه يغـرس عوامـل الخـوف والاحبـاط فى تفـوس المقهوريـن، وإذا فقـد الانسـان الأمـل أصبـح عرضـة للتطـرف وأقـرب للعنـف.

إن التطـرف، والغلـو، والتشـدد؛ ظواهـر غـير طبيعيـة، لا يمكـن أن تكـون دينـاً يتعبد بـه النـاس، ولا تصلـح مناهـج لرسـالة هـي خاتمـة الرسـالات، جـاءت لـكل العالمـين. إن مـن شرط المحـاور الناجـح أن يتخلـص مـن هـذه الأمـراض حتـى يتمكـن مـن محـاورة الآخـر.

5. معرفة طبيعة المحاور:

إن معرفـة النـاس وطبائعهـم وعاداتهـم، علـم يتعلـق بالأحـوال، يحتـاج إليـه كل مـن يريـد التعامـل معهـم، حتـى لا يقـع في أخطـاء تـضر بعلاقتـه بهـم، وتتأكـد هـذه المعرفـة للذيـن تكـون طبيعـة أعمالهـم متصلـة بالبـشر، كالدعـاة والحـكام وأمثالهـم، وتراثنـا حافـل بنمـاذج مـن الذيـن برعـوا في هـذا الجانـب، أي معرفـة النـاس، روى ابـن قتيبـة: (أن محمـد بـن عـلي بـن عبـد اللـه بـن عبـاس قـال: لرجـال الدعـوة حـين اختارهـم للدعـوة، وأراد توجيههـم: أمـا الكوفـة وسـوادها، فهنـاك شـيعة عـلي بـن أبـي طالـب. وأمـا البـصرة، فعثمانيـة تديـن بالكـف، وتقـول كـن عبـد اللـه المقتـول ولا تكـن عبـد اللـه القاتـل. وأمـا الجزيـرة فحروريـة مارقـة، وأعـراب كأعـلاج، ومسـلمون في أخـلاق النصـارى. وأمـا أهـل الشـام فليـس يعرفـون إلا آل أبـي سـفيان، وطاعـة بنـي مـروان، عـداوة لنـا راسـخة وجهـلاً متراكمـاً. وأمـا

(1)) رواه أبوداود عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (2497).

أهـل مكـة والمدينـة فقـد غلـب عليهمـا أبـو بكـر وعمـر، ولكـن عليكـم بخراسـان؛ فـإن هنـاك العـدد الكثـير والجلـد الظاهـر، وصـدوراً سـليمة، وقلوبـاً فارغـة، لـم تتقسـمها الأهـواء، ولـم تتوزعهـا النِّحـل، ولـم تشغلهـا ديانـة، ولـم يتقـدم فيهـا فسـاد، وليسـت لهـم اليـوم همـم العـرب، ولا فيهـم كتحـازب الأتبـاع بالسـادات، وكتحالـف القبائـل، وعصبيـة العشـائر، ولـم يزالـوا يدالـون، ويمتهنـون ويظلمـون ويكظمـون، ويؤملـون الـدول. وهـم جنـد لهـم أجسـام وأبـدان، ومناكـب وكواهـل، وهامـات ولحـى وشـوارب، وأصـوات هائلـة، ولغـات فخمـة، تخـرج مـن أفـواه منكـرة) [1] لا شـك أن بنـي العبـاس قـد أهلـوا أنفسـهم تأهيـلاً جيـداً، وأعدوهـا قبـل حركتهـم التـي قضـوا بهـا عـلى ملـك الأمويـين. ويؤكـد ذلـك مـا قالـه أبـو مسـلم الخراسـاني، قاهـر عدوهـم ومُوَطِّـدُ دولتهـم:

أَدْرَكْتُ بِالْحَـزْمِ وَالْكِتْمَانِ مَاعَجَزَتْ ... عَنْـهُ مُلُـوكُ بَنِي مَـرْوَانَ إِذْ حَشَـدُوا
مَازِلْـتُ أَسْـعَى بِحَهْـدِي فِي دَمَارِهُمُ ... وَالْقَـوْمُ فِي غَفْلَـةٍ بِالشَّـامِ قَـدْ رَقَدُوا
حَتَّـى ضَرَبْتُهُمُوا بِالسَّـيْفِ فَانْتَبَهُوا ... مِـنْ نَوْمَـةٍ لَـمْ يَنَمْهَـا قَبْلَهُـمْ أَحَـدُ
وَمَـنْ رَعَـى غَنَمًـا فِي أَرْضِ مَسْـبَعَةٍ ... وَنَـامَ عَنْهَـا تَـوَلَّى رَعْيَهَـا الْأَسَـدُ[2]

إنَّ معرفـة الخصـم أو المخالـف لهـا أهميـة في تحقيـق الهـدف، وكثـير مـن الحـوارت يصيبهـا الفشـل بسـبب عـدم معرفـة المتحاوريـن لبعضهـم بعضـاً، كأشـخاص، وكأفـكار، ومعلـوم أن معرفـة الطـرف الآخـر تسـهل مهمـة المتحاوريـن، حتـى لا يضيـع جـل وقتهـم في التعـرف عـلى تفاصيـل مـا يتحـاورون عليـه.

إنَّ معرفـة المنطلقـات الفكريـة، والمفاهيـم العقديـة، والموروثـات الثقافيـة، والمصالـح الضروريـة للأطراف المتحـاورة؛ تعتـبر ضرورة مـن ضرورات الحوار، والتاريـخ يحدثنا عـن الحـوار الذي جـرى بـين النجاشي ملـك الحبشـة، وجعفر بـن أبي طالـب رضي الله عنـه، عندما حـاول عمرو بن العاص الإيقاع بالمسـلمين، كيف اسـتطاع جعفر أن يكسـب الجولـة بحسـن التفـاوض؛ لأنه كان عـلى علم بمـا يدين به النجـاشي، فخاطبه بأسـلوب دفعـه دفعـاً للتجاوب معـه، وقبول حجتـه. ولنترك التاريـخ يتحدث: عن أم سـلمة رضي

(1) أحمـد أمـين إبراهيـم الطبـاخ (ت1373هـ)، موسـوعة الحضـارة الإسـلامية، بـيروت – لبنـان-دار نوبليـس للنـشر والتوزيـع، الطبعـة الأولى(2006م)، (2/20)

(2) محمـد بـن مـوسى بـن عيـسى بـن عـلي الدمـيري أبوالبقـاء، كنـال الديـن الشـافعي المتوفى(808هـ)، حيـاة الحيـوان الكـبرى، بـيروت – لبنـان، دارالفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع، الطبعـة الأولى (1425هـ) الجـزء الأول، ص (14).

اللـه عنهـا قالـت: (لمـا ضاقت مكـة وأوذي أصحـاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، وفتنـو، ورأوا مـا يصيبهم مـن البلاء والفتنـة في دينهم، وأن رسـول الله لا يسـتطيع دفع ذلـك عنهـم. فقـال لهم رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: إن بـأرض الحبشـة ملكاً لا يظلـم أحـد عنـده، فالحقوا ببـلاده حتى يجعـل الله لكـم فرجاً ومخرجـاً مما أنتـم فيه، فخرجنـا إليهـا أرسـالاً حتـى اجتمعنـا بهـا، فنزلنا بخـير دار إلى خـير جـار، آمنين على ديننـا، ولـم نخـش فيهـا ظلمـاً. فلمـا رأت قريش أنـا قـد أصبنـا داراً وأمناً، غـاروا منا، فاجتمعـوا عـلى أن يبعثـوا إلى النجـاشي فينـا ليخرجونا من بـلاده وليردنا عليهـم، فبعثوا عمـرو بـن العاص وعبـد الله بن أبـي ربيعة، فجمعـوا له هدايـا ولبطارقته. فلمـا أدخلوا عليـه قالوا لـه: أيها الملـك: إن فتية منا سـفهاء، فارقوا ديـن قومهم ولم يدخلـوا في دينك، وجـاءوا بديـن مبتـدع لا نعرفـه، وقد لجـأوا إلى بـلادك، وقد بعثنـا إليك فيهم عشـائرهم وآباؤهـم وأعمامهـم وقومهـم لتردهم عليهـم، فإنهم أعلى بهـم عيناً، فإنهم لـن يدخلوا في دينـك فتمنعهـم لذلـك، فغضب ثم قـال: لا لعمر اللـه! لا أردهـم حتى أدعوهـم، فأكلمهم وأنظـر مـا أمرهـم، قوم لجـأوا إلى بلادي، واختـاروا جواري عـلى جوار غيري، فـإن كانوا كمـا يقولـون رددتهـم عليهم، وإن كانـوا على غير ذلـك منعتهم ولم أدخل بينكـم وبينهم، ولـم أنعـم عينـا ـ وذكـر موسى بـن عقبـة أن أمـراءه أشـاروا عليه بـأن يردهـم إليهم ـ فقـال: لا واللـه! حتـى أسـمع كلامهـم وأعلم أي شيء هـم عليه؟ فلمـا دخلوا عليه سـلموا ولـم يسـجدوا له، فقـال: أيهـا الرهـط ألا تحدثونـي مالكم لا تحيونـي كمـا يحييني من أتانـا مـن قومكـم؟ فأخبروني مـا تقولـون في عيسى ومـا دينكم؟ أنصـارى أنتـم؟ قالوا: لا. قـال: أفيهـود أنتـم؟ قالـوا: لا. قـال: فعلى ديـن قومكم؟ قالـوا : لا . قـال : فما دينكم ؟ قالـوا : الإسـلام . قـال : ومـا الإسـلام ؟ قالـوا : نعبـد الله لا نشرك به شـئاً . قـال : من جاءكـم بهـذا ؟ قالـوا : جاءنـا بـه رجـل مـن أنفسـنا، قـد عرفنـا وجهـه ونسـبه، بعثه اللـه إلينـا كما بعث الرسـل إلى من قبلنـا، فأمرنا بالـبر والصدقـة، والوفـاء وأداء الأمانة، ونهانـا أن نعبـد الأوثـان، وأمرنـا بعبادة اللـه وحده لا شريك لـه، فصدقنـاه وعرفنا كلام اللـه وعلمنـا أن الـذي جـاء به من عنـد الله، فلما علمنـا ذلك عادانـا قومنا، وعـادوا النبي الصـادق وكذبـوه وأرادوا قتلـه، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنـا إليـك بديننا ودمائنا مـن قومنـا. قـال : والله إن هـذا لمن المشـكاة التي خـرج منها مـوسى. قال جعفـر : وأما التحيـة فـإن رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم، أخبرنـا أن تحية أهـل الجنة السـلام، وأمرنـا بذلـك فحيينـاك بالـذي يحيـى بعضنـا بعضـا. وأمـا عيسى بـن مريم فعبـد الله

ورسـوله، وكلمتـه ألقاها إلى مريـم، وروح منـه، وابن العـذراء البتول. فأخذ عـوداً وقال: واللـه مـا زاد ابـن مريـم عـلى هـذا وزن هـذا العـود. فقـال عظمـاء الحبشـة: والله لئن سـمعت الحبشـة لتخلعنـك. فقـال واللـه لا أقـول في عيسى غـير هذا أبـداً. وما أطـاع الله النـاس فيَّ حـين رد عـلى ملكـي فأطع النـاس في دين اللـه. معـاذ الله من ذلـك) [1] .

هـذه القصـة تبـين بجلاء الأثـر الـذي أوجده الإسـلام في نفـوس المسـلمين، فجعفر رضي اللـه عنـه كان بارعـاً في المحـاورة، عـرف كيـف يكسـب النجـاشي إلى صفـه وأصحابـه، وتحـدث بما عرفـه عن قصة المسـيح عليه السـلام، التي تختلـف عما يعتقـده النصارى، فلـم يداهـن مـن أجـل مصلحـة، فبالصـدق والحكمة جعـل النجـاشي يؤيده فيمـا ذهب إليـه، كمـا أنه كان حصيفـاً في إبطال دهـاء عمرو بن العـاص، وهذا إن دل على شـئ إنما يـدل عـلى أن رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم تمكن مـن إحـداث تحول كبـير في حياة المسـلمين، بالرغـم مـن قصر المـدة، فهجرة الحبشـة كانـت في أيـام الدعـوة الأولى، ومن جانـب آخـر تُبَيِّنُ القصـة أهمية معرفة المحـاور للمنطلقـات العقدية والفكريـة لمحاوره، حتـى لا يقـع في أخطـاء تُلحق بـه الـضرر وبموضوعه .

واشـتهر عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه، بمعرفة النـاس وطباعهـم وهـو القائل: (لسـت بخـبٍ والخِـبُّ لا يخدعنـي)[2] عن خرشـة ابـن الحر، قال : شـهد رجـل عند عمر بـن الخطـاب شـهادة، فقـال لـه : (لسـت أعرفـك، ولا يـضرك أن لا أعرفـك، إيـت بمن يعرفـك، فقـال رجـل مـن القـوم : أنا أعرفـه، قـال : بـأي شيءٍ تعرفـه؟ قـال : بالعدالة والفضـل، قـال : فهـو جـارك الأدنـى الـذي تعـرف ليلـه ونهـاره، ومدخلـه ومخرجه ؟ قـال : لا. قـال : فعاملـك بالدينـار والدرهـم الذيـن بهما يسـتدل عـلى الورع ؟ قـال : لا. قـال : فرفيقـك في السـفر الذي يسـتدل بـه على مـكارم الأخلاق ؟ قـال : لا . قال : لسـت تعرفـه، ثـم قـال للرجل : إيـت بمن يعرفـك)[3] وكان رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم مـن أعـرف الناس بطبائـع البشر، وسـيرته تبين كيـف أنـه كان يتعامل مع كل شـخص بالأسـلوب الـذى يلائمـه، وهذا يفـسر لنا اختـلاف الردود عن سـؤال واحد، فليـس هنالك

(1)) البداية والنهاية لابن كثير (ج 2 / ص 70 ـ 71) سابق، والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الأول (205 – 208) سابق.

(2)) أبوعمـر شـهاب الديـن أحمـد بـن محمـد بـن عبـد ربـه ابـن حبيـب ابـن حدبـر بـن سـالم المعـروف بابـن عبـد ربـه الأندلسي،(ت328هـ) العقـد الفريـد، بـيروت – دار الكتـب العلميـة الطبعـة الأولى: (1404هـ)، الجـزء الخامـس، ص (23).

(3)) أخرجـه البيهقـى في السـنن (10/ 125) خديجـة النـبراوى، موسـوعة أصـول الفكـر السـياسي والاجتماعـي والاقتصـادي مـن نبـع السـنة الشريفـة وهـدي الخلفـاء الراشـدين، القاهـرة-دار السـلام للطباعـة والنـشر والتوزيـع والترجمـة، سـنة الطبـع: (2008م) المجلـد الثالـث، ص (1431)

تناقـض، وإنمـا هنالك اختـلاف أحوال، فالجـواب الذى يصلـح لهذا قـد لا يصلح للآخر. جـاء أعرابـي يطلب من رسـول الله شـيئاً، فأعطـاه ما تيسر في يـده ثم قال لـه في هدوء: (أأحسـنت إليـك يـا أعرابي؟) فرد الرجـل مندفعـاً: لا ولا أجملت! وهـو رد أحمق لا يواجه بـه صاحب عطـاء، فغضب المسـلمون وهمـوا به، ولكن الرسـول أشـار إليهم في ابتسـام فهـدأوا. ثـم اتجـه إلى منزلـه الشريـف ونـادى الأعرابـي في تلطف وابتسـام وأعطـاه، ثم قـال: (أأحسـنت إليـك؟) قـال: نعـم وجزاك اللـه من أهل وعشـيرة خـيراً، فقال لـه النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: (إنـك قلـت مـا قلـت وفي نفـس أصحابي شـئ مـن ذلـك، فإذا أحببـت فقـل بـين أيديهم مـا قلت بين يـدي حتى يذهـب مِن صدورهـم ما فيهـا عليك)؛ قـال: نعـم. فلمـا كان الغـداة جاء الأعرابي إلى مسـجد رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم وهـو بـين أصحابـه، فقال صلى اللـه عليه وسـلم : (إن هـذا الأعرابي قال ما قـال فزدناه فزعـم أنـه رضي) وتوجـه إلى الأعرأبـي بالنظـر ، فقـال الأعرأبـي : نعم فجـزاك الله من أهـل وعشـيرة خـيراً ، فقال صـلى الله عليـه وسـلم : (إن مثلي ومثـل هذا الأعرابـي كمثل رجـل كانـت لـه ناقة شردت عليـه فتبعهـا الناس فلـم يزدهـا إلا نفـوراً فناداهم صاحب الناقـة : خلـوا بينـي وبـين ناقتـي فإنـي أرفـق بهـا وأعلـم، فتوجه لهـا صاحـب الناقة بـين يديهـا وأخذ لها مـن قمـام الأرض فردها هونـاً هوناً حتى جاءت فاسـتناخت وشـد عليهـا رحلها واسـتوى عليهـا ولو أنى تركتكـم حيث قال الرجـل ما قـال فقتلتموه دخل النـار)[1] بهـذا النهـج تربع رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عـلى قلوب النـاس محبة وتوقـيراً وإجـلالاً ؛ كيـف لا وهو صاحـب الخلـق العظيم وهـو الرحمة المهـداة. ويوضح هـذا الحديـث أهميـة مراعـاة الأحوال، فليـس يصلح حكم واحـد لكل الظـروف، ومن هنا يتضـح أن كثـيرا من الأخطاء وقعت بسـبب عدم معرفـة الواقع، أو التعامل معه بأسـاليب غـير صالحـة، فالمعرفة التى تنحـصر فى النصوص وحدهـا، لاتؤهل صاحبهـا للفتوى، ولا للتعامـل مـع الواقع، فلا بد أن تشـمل المعرفـة الأشـخاص، والأحوال، والظـرف الزمانى، والبيئـة المحيطـة، إضافـة إلى النصوص حتـى تتنزل الأحـكام على أحداثها كـى لايحصل التناقـض وتـؤدى الأحكام إلى خـلاف المقصود.

(1)) رواه ابن كثير برقم (179/4) عن أبي هريرة، وغيره من الرواة بسند ضعيف.

المبحث الثالث

آدابه

1. الإبتعاد عن السخرية:

الإنسان السوي يحترم الآخرين ويقدرهم؛ لأنه يحترم نفسه، ويعامل الناس كما يحب أن يعاملوه، فكما أنه لا يقبل الذلة والمهانة والإساءة لنفسه، مطلوب منه ألا يسيء للآخرين، ولا يهينهم ولا يذلهم ، وقد نهى الإسلام عن كل ما من شأنه أن يحط من كرامة الإنسان، وفي القرآن الكريم صور كثيرة من استهجان السخرية بالإنسان. قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ** ﴾[المطففين:29-33] وكان المنافقون يسخرون من ضعفاء المسلمين الذين تصدقوا بكل ما عندهم بالرغم من حوجتهم إليه، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال : لما أمرنا بالصدقة كنا نحامل [أي : نحمل على ظهورنا بالأجرة ونتصدق بها] فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون : إن الله غني عن صدقة هذا، وما فعل الآخر هذا إلا رياء، فنزلت ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [التوبة:99] يستهزءون بالفقراء احتقاراً لما جاءوا به، ويعدونهم من المجانين والحمقى[1]، إن الذين يسخرون من الناس لديهم مركب نقص يغطونه بالإساءة للآخرين . وفي مجال الحوار ينبغي أن يحترم كل طرف الآخر، ولا يسخر من كلامه، ولا من ثقافته، ولا من عشيرته، ولا من معتقداته، فإنه من مفسدات الحوار قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[الأنعام:108] فبعض الناس عندما يعجز عن مواجهة خصمه، بسبب قوة حجته، يلجأ لاستفزازه بالحديث

(1)) محمد محمود حجازي، التفسيرالواضح، بيروت – دار الجيل الجديد، الطبعة العاشرة (1413هـ) المجلد الأول ص (913).

عن مواضيع جانبية لا علاقة بينها وبين موضوع الحوار، مثل أن يسخر من شكله، أو من طريقة كلامه، أو من أي شئ يستفزه به، حتى يصرفه عن جوهر الموضوع، وكذلك نهج العاجزين فهم دائماً يواجهون الحجة الدامغة بالإستهزاء والسخرية، هكذا واجه الأقدمون رسل الله، فعندما حاج موسى عليه السلام فرعون، واجه الحجة بقضايا انصرافية، قال تعالى : ﴿ **وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** ﴾ [الزخرف:51-53] وأهل مكة لم يكونوا بدعاً ممن سبقوهم، فقد سخروا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه، ومن الدعوة التي جاء بها، وكان صلى الله عليه وسلم يحزنه ذلك فقال له ربه: ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** ﴾[الحجر:95-97] وروى البيهقي عن ابن اسحق أنه قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان . فقال أبوجهل: هذا نبيكم يا بني عبد شمس؟! فقال أبوسفيان: وتَعْجَبُ أن يكون منا نبي؟ فالنبي يكون فيمن أقل منا وأذل. فقال أبوجهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع. فأتاهما فقال: (أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت، ولكنك حميت للأصل؛ وأما أنت يا أبا الحكم فوالله لتضحكنّ قليلاً ولتبكينّ كثيراً) فقال: بئسما تعدني يا ابن أخي من نبوتك[1]. وتوعد الله سبحانه وتعالى أبا جهل وأضرابه بأنهم سيرون عاقبة كلامهم هذا:﴿ **وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[الفرقان:41-42]. فعلى المحاور ألا يسخر من محاوره، لأن ذلك من شأنه أن يضع حاجزا بينه وبينه، اضافة إلى أن السخرية صفة لاتليق بمن يحترم نفسه.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 3 / ص 63) سابق.

2. حسن الإستماع وعدم المقاطعة:

الإستماع الجيد للخصم أو للطرف الآخر من أهم عوامل نجاح الحوار، فإضافة لتمكين المفاوض من معرفة غرض نظيره معرفة دقيقة، فإنه يكسب جانبه ويؤثر فيه نفسياً، وينتزع منه الإحترام انتزاعاً، قال ابن عباس : (لجليسي عَلَيَّ ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا تحدث)[1] وهي صفات من تحلى بها كسب احترام جليسه، وقال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما لابنه : (إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الإستماع، كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثا وإن طال حتى يمسك)[2] إنها حكم من التزم بها ساد قومه، وازداد معرفة. وقال معاذ بن سعد الأعور: (كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح، فحدث رجل بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه، قال: فغضب، وقال: ما هذه الطباع ؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه كأني لا أحسن شيئاً)[3] إنه دهاء وقمة في الأدب، فمن ناحية يستوثق مما سمع، وربما استفاد زيادة تفاصيل تعينه على الإحاطة، ومن ناحية أخرى فإنه لا يحرج جليسه بإخباره أنه يعلم ما يقوله، وقال المدائني : (أوصى خالد بن يحيى ابنه فقال : يا بني، إذا حدّثك جليسك حديثاً فأقبل عليه ، وأصغ إليه ، ولا تقل : قد سمعته ، وإن كنت أحفظ منه ، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك)[4] وقال ابن المقفع : (إذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته ، أو يخبر خبراً قد سمعته ، فلا تشارك فيه ، ولا تتعقبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته ، فإن ذلك خفة وشحا، وسخفاوسوء أدب وسخف)[5] فمقاطعة المتحدث إضافة إلى أنها غير لائقة، فإنها تضعف صاحبها أمام محدثه، وتحرمه من معرفة أشياء كثيرة

(1)) ابن قتيبة، عيون الأخبار (425/1)، سابق.

(2)) وائل حافظ خلف، كتاب المنتخب من وصايا الآباء للأبناء، الإسكندرية، طبع بدار جنا-ودار الدعوة بمحرم بك-ودار ابن القيم بالإسكندرية، بدون تاريخ. ص(32).

(3)) أبونعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، -مصر-مطبعة السعادة، عام النشر (1394هـ -1974م) الجزء الثالث: ص(311)

(4)) أبوعمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت463هـ) بهجة المجالس وأنس المجالس، دار الكتب العلمية، سنة الطبع: (2008م) (43/1)

(5)) عبد الله بن المقفع، (ت142هـ)، الأدب الصغيروالأدب الكبير، بيروت – دار صادر، الطبعة الرابعة: (2019م) ص (103).

قد يحجم الطرف الآخر عن البوح بها، قال الخطيب البغدادي في ذكر أدب الجدل والمناظرة: (وإذا وقع له شئ في أول كلام الخصم ، فلا يعجل بالحكم عليه ، فربما كان في آخر كلامه ما يبين أن الغرض بخلاف الواقع له ، فينبغي أن يتثبت إلى أن ينقضي الكلام ؛ وبهذا أدّب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:114] ويكون نطقه بعلم وإنصاته بحلم ، ولا يعجل إلى جواب ، ولا يهجم على سؤال ، يحفظ لسانه من إطلاقه بما لا يعلم ، ومن مناظرته فيما لا يفهم ، فإنه ربما أخرجه ذلك إلى الخجل والإنقطاع) ثم قال : (وينبغي أن يكون كل واحد من الخصمين مقبلاً على صاحبه بوجهه في حال مناظرته ، مستمعاً كلامه إلى أن ينهيه ، فإن ذلك طريق معرفته ، والوقوف على حقيقته ، وربما كان في كلامه ما يدل على فساده ، وينبه عواره ، فيكون ذلك معونة له على جوابه) إلى أن قال : (وليتق المناظر مداخلة خصمه في كلامه ، وتقطيعه عليه ، وإظهار التعجب منه ، وليمكنه من إيراد حجته ، فإنما يفعل ذلك المبطلون والضعفاء الذين لا يحصلون)[1] . وفي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نماذج كثيرة في هذا الصدد، فقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة ومثالاً في فن المحاورة، وما كان يقاطع محاوره وإن أتى بألفاظ لا تليق! كيف لا وقد قال فيه ربه:﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[القلم:4]. وأشير هنا إلى موقف واحد من مواقفه الكثيرة مع أهل مكة: عن جابر بن عبد الله قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا؛ فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة[2] قط أشام على قومه منك، فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا،

(1)) ابن قتيبة، الفقيه والمتفقه (2/ 31 – 35) سابق.

(2)) سخلة: الولد المحبب إلى ولديه

وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وإن في قريش كاهناً ، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى : أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً وإن كان إنما بك الباه فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فرغت) ؟ قال : نعم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ﴿ **حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** ﴾ إلى أن بلغ : ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾[فصلت:1-13] فقال عتبة : حسبك ما عندك غير هذا ؟ قال لا ! فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا فهل أجابك؟ فقال نعم! ثم قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة [1]. ففي هذا الموقف نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقاطع عتبة بالرغم من الهمز واللمز والتعريض الذي ورد في كلامه. وفي رواية أخرى قال: زياد بن إسحاق فقال عتبة: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه إياها ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون. فقالوا بلى: يا أبالوليد! فقم إليه وكلمه. فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم! فاسمع مني حتى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال رسول

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج 2 / ص 60-61) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام الجزء الأول ص (178 – 179)، سابق.

الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا الوليد أسمع) قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه ـ أو كما قال له ذلك ـ حتى إذا فرغ عتبة ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أفرغت يا أبا الوليد) قال : نعم ! قال : (أسمع مني) قال : أفعل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمداً عليهما ليسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجدها ثم قال : (سمعت يا أبا الوليد)؟ قال : سمعت . قال : (فأنت وذاك) ثم قام عتبة إلى أصحابه وفي رواية أخرى فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ؛ فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة ، يا معشر قريش أطيعوا واجعلوها بي ؛ خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم[1] ..

(1)) ابن كثير، البداية والنهاية، (ج 2/ ص 61-62) السابق.

المبحث الرابع

عوائقه

تناقض المنطلقات التصورية للمتحاورين:

علماء الأصول يقولون : "الحكم على الشئ فرع عن تصوره" ، ويعنون بذلك : أن الإحاطة بالموضوع تعطي الفقيه صورة مكتملة له، حتى يتمكن من إصدار الحكم المناسب للواقعة المعروضة عليه، وهذا الأمر ينسحب على كل الفنون، ويعنينا هنا موضوع الحوار، فكل ما كان الموضوع واضحاً ومحدداً ، جاء الحوار مثمراً ، وحتى إذا لم يؤد إلى النتيجة المستهدفة، فإن الْمُحَاوِرَ يكون قد خطا خطوات مرسومة تتحقق فيها بعض الأهداف المرحلية؛ بحيث تمكنه من مراجعة وسائله وأساليبه وأولوياته، وعندما يستأنف الحوار يبدأ من النقطة التي توقف عندها ولا يكرر نفسه، عليه ينبغي أن يكون الموضوع المتحاور عليه محدداً منذ البداية ، وواضحاً للأطراف المتحاورة حتى لا يضيع وقتهم في توضيح معاني الكلمات . وقد يلاحظ المهتمون بموضوع العلاقة مع الآخر أن كثيرا من أسباب الخلاف والصراع، تعود إلى عدم فهم الفرقاء لبعضهم بعضاً؛ فالدين مثلا: هنالك تباين في تصوره بين الإسلاميين والعلمانيين، لأن الدين استغل في أوروبا القرون الوسطى لدعم السلطان الظالم، ولمحاربة العلم والتطور، ومصطلح رجال الدين في أوربا مُشَبَّعٌ بمآسي تاريخية ارتبطت بالكنيسة وقادتها، الذين كانوا سيفاً مسلطاً على رقاب العلماء التجريبيين، وعلى المفكرين، وعلى المنادين بالإصلاح، فقد احتكر رجال الدين المعرفة، وحصروها في مقولاتهم وتفسيراتهم للظواهر الطبيعية، والمظاهر الكونية التي تناقضت مع التجارب العلمية، وفي ظل هيمنتهم نشأت محاكم التفتيش، التي تخصصت في محاكمة المفكرين الذين يأتون بأفكار تتعارض مع تصورات رجال الدين، ووقفت الكنيسة ضد الإصلاح، متمسكة بنظم ومفاهيم طاردة، كذلك فإن التحالف الآثم بين رجال الدين وبين الإمبراطور، عطل التطور السياسي، وجعل الدين أداة لتبرير ممارسات السلطان الظالم. «لقد انتهي الصراع السياسي في أوروبا القديمة إلى قيام امبراطورية كبيرة، ضمت بعد فتوحات الإسكندر الغرب وجزءاً

كبيراً من الشرق، وكانت رومانية الحكم والإدارة، يونانية الفكر والثقافة. وعبر قرون طويلة أرهق الفكر اليوناني نفسه في تفسير الوجود، ومكانة الإنسان فيه؛ بدأ مسيرته من أصول دينية، ثم استقل عنها، ثم عاد إليها في شكل الفيثاغورية الجديدة، والأفلاطونية الجديدة، هذا التوجه نحو معانٍ دينية، لفت النظر لعقائد الشرق كاليهودية، والغنوصية، والمانوية، والمسيحية، وقد استطاعت المسيحية أن تنطلق من أصولها اليهودية المحنطة، وتَتَشَرَّبُ فكراً يونانياً، وتقتبس تنظيماً رومانياً محكم الحلقات، فأقامت دولة داخل الدولة الرومانية المتآكلة، مما دفعها للأمام فانتصرت وهيمنت على أوروبا هيمنة تامة، منذ أن اعترف بها قسطنطين في 313م حتى القرون الوسطى الأوروبية»[1] واستخدم الدين ضد العلم وكرامة الإنسان؛ مما جعله مناقضاً للحداثة، وللإصلاح ، فقامت ثورة الإصلاحيين ساخطة على رجال الدين، وامتد السخط إلى كل من له علاقة بالدين، ونودي بإبعاد الدين عن الدولة، مما تبلور أخيراً في مفهوم العلمانية. «لقد كان أول تحد لسلطان الكنيسة داوياً على لسان أولئك المفكرين الذين اطلعوا على الفكرالإسلامي، وعبره اطلعوا على تراث الإنسان العقلي، فمضوا ينهلون من الفكر الإسلامي، ويلمون بالفكر اليوناني القديم، مما أدى للحركة المسماة بالإنبعاث أو المولد الجديد. كذلك اطلع الأوروبيون في احتكاكهم بالعالم الإسلامي على نظام ديني لا توجهه سلطة بابوية دينية مركزية، مما أطلق حركة داخل الكنيسة تنادي بأن يكون التدين ضميرياً، غير خاضع لوصاية البابا، قاد هذا إلى حركة الإصلاح في الكنيسة. وأدى التطور السياسي في أوروبا إلى نضج الوعي القومي، وإحساس الدولة في الأقطار الأوروبية المختلفة بكينونتها، واطلع بعض القادة والأمراء أثناء الحروب الصليبية، على أوضاع العالم الإسلامي، فشهدوا ملوكاً وأمراء لا تقيدهم إدارة بابوية، فشجع هذا على استقلال كيان الدولة في الأقطار الأوروبية من وصاية الكنيسة)[2] هذه التطورات خاصة بالمجتمع الأوروبي ، غير أننا نجد معظم دعاة العلمانية في العالم الإسلامي أسقطوا مفهوم الدين في الغرب على الإسلام ونادوا بالفصل بين الدين والدولة في البلدان الإسلامية دون دراسة موضوعية للإسلام ليتعرفوا

(1)) الإمام الصادق المهدى: نحوثورة ثقافية، القاهرة-مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى (2006م) ص (202).

(2)) السابق: ص: (103)

مـن نصوصـه هـل يتفـق مـع المفاهيـم التـي سـادت في الكنيسـة في الغـرب أم لا؟! وهـل مبـادئ الإسـلام تناقـض العلـم أم داعمـة لـه؟ هـذا السـبب يجعـل الحـوار بينهـم وبـين الإسـلاميين في الغالـب غـير مثمـر؛ لأنهـم يهاجمـون الإسـلام منطلقـين مـن مواقـف رجـال الديـن في القـرون الوسـطى، ويعتـبرون كل دعـوة تنطلـق مـن الديـن - أي دينـة - هـي دعـوة إلى التخلـف والتسـلط ومحاكـم التفتيـش، وعـودة رجـال الديـن الذيـن يتحكمـون في مصائـر النـاس، وقـد أكـدت ممارسـات بعـض المنتسـبين للإسـلام هـذه الإفتراضـات؛ فتسـمية العنـف الموجـه ضـد الأبريـاء جهـاداً، ورفـض الإقتبـاس مـن النظـم السياسـية الحديثـة، ومحاربـة كل جديـد، والتصـادم مـع حقـوق الإنسـان، واضطهـاد المـرأة، وغيرهـا مـن الممارسـات التـي يقـوم بهـا المتطرفـون الإسـلاميون، تدعـم حجـج العلمانيـين، مـع أن الإسـلام لا يعـرف مصطلـح رجـال الديـن، ويقـر مصـادر المعرفـة، ويدعـو للتسـامح، وليسـت لديـه أشـكال سياسـية محـددة ملزمـة للحكـم، وإنمـا هنالـك مبـادئ سياسـية مرنـة تلائـم كل الظـروف، ومـتروك للمسـلمين أن يؤطروهـا فى نظـم تلائـم ظروفهـم وأوضاعهـم والإسـلاميون ينظـرون إلى العلمانيـة بمفهومهـا الفلسـفي التاريخـي، الـذي ينكـر كل مـا غـاب عـن الحـواس، في حـين أن كثـيراً مـن دعـاة العلمانيـة في العالـم الإسـلامي، يقصـدون الجانـب السـياسي الـذي يرفـض تحنيـط النظـم السياسـية في قوالـب تاريخيـة معينـة، وينـادون بحريـة البحـث العلمـي، ويرفضـون الدولـة الدينيـة التـي يتحكـم فيهـا رجـال الديـن، وتميـز بـين مواطنيهـا عـلى أسـاس دينـي. فلـو حُـرِّرَت المصطلحـات وَحُـدِّدَت مضامينهـا لانحـصر الحـوار في القضايـا التـي سـيجد الطرفـان أن الخـلاف حولهـا ليـس كبـيراً في الغالـب ، وقياسـاً عـلى ذلـك فـكل حـوار يقـوم وأطرافـه غـير متفقـين عـلى مضامـين المصطلحـات، سـيؤدى إلى التباعـد ، وقـد تعـرض القـرآن لمواقـف المخالفـين الذيـن يجادلـون بغـير علـم، منتقـداً عـدم تدقيقهـم في المصطلحـات قـال تعـالى : ﴿ **وَلَمَّـا ضُرِبَ ابْـنُ مَرْيَـمَ مَثَـلًا إِذَا قَوْمُـكَ مِنْـهُ يَصِـدُّونَ * وَقَالُـوا أَآلِهَتُنَـا خَـيْرٌ أَمْ هُـوَ مَـا ضَرَبُـوهُ لَـكَ إِلَّا جَـدَلًا بَـلْ هُـمْ قَـوْمٌ خَصِمُـونَ * إِنْ هُـوَ إِلَّا عَبْـدٌ أَنْعَمْنَـا عَلَيْـهِ وَجَعَلْنَـاهُ مَثَـلًا لِّبَنِـي إِسْرَائِيـلَ** ﴾[الزخـرف:57-59] والسـبب في ذلـك كمـا ذكـر ابـن إسـحاق : (أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم جلـس يومـاً مـع الوليـد بـن المغـيرة في المسـجد، فجـاء النضر بـن الحـارث حتـى جلـس معهـم، وفي المجلـس غـير واحـد مـن رجـال قريـش، فتكلـم

رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر، فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ** ﴾ [الأنبياء:98-100] ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل عبد الله بن الزَّبَعْرَي السهمي حتى جلس ؛ فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ؛ فقال عبد الله بن الزبعري : أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً أكل من نعبد من دون الله حصب جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيراً ،والنصارى تعبد عيسى؛ فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعري، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فَذُكِرَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (كل من أحب أن يعبد من دون الله، فهو مع من عبده في النار، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته) فأنزل الله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ** ﴾[الأنبياء:101-102] أي عيسى وعزير ومن عبد من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله تعالى؛ ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ** ﴾[الأنبياء:26] ونزل في إعجاب المشركين بقول ابن الزبعرى : ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** ﴾ ـ الآيتين السابقتين ـ وهذا الجدل الذي سلكوه باطل، وهم يعلمون ذلك، لأنهم قوم عرب ومن لغتهم أن «ما» لما لا يَعْقِل فقوله : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾[الأنبياء:98] إنما أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام، ولا يتناول ذلك الملائكة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصور ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ، ولا أحداً من الصالحين ، لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى)[1]. فالتناقض في المنطلقات التصورية للمتحاورين، يعرقل التفاوض ويعيق مسيرته، فإذا حددت مضامين

(1) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 3 / ص 86 ـ 87) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص (8 – 9) سابق.

العبـارات المتداولـة، وبُـيِّنَ مقصودهـا، تيـسر الحـوار واختفـت كثـير مـن مظاهـر الـصراع الـذي يغذيـه سـوء الفهـم.

انعدام الثقة :

توفـر الثقـة بـين المتحاوريـن مـن أهـم عوامـل نجـاح المفاوضـات ، فـإذا كان أحـد الأطـراف يشـك في نوايـا الطـرف الآخـر فـإن ذلـك يعتـبر مـن مُعِيقَـاتِ الحـوار ، وأعنـي بالثقـة الإطمئنـان للنوايـا، وعـدم الخـوف مـن الخـداع، فـإن الشـك سـيجعل الحـوار غـير مجـد، والرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم في أول موقـف لإبـلاغ الدعـوة، حـرص عـلى التأكـد مـن ثقـة المخاطبـين فيـه، قـال الإمـام أحمـد : حدثنـا عبـد اللـه بـن نمـير عـن الأعمـش عـن عمـرو بـن مـرة عـن سـعيد بـن جبـير عـن ابـن عبـاس قـال : لمـا أنـزل اللـه : ﴿ **وَأَنـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْرَبِـينَ** ﴾[الشـعراء:214] أتـى النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم الصفـا فصعـد عليـه ثـم نـادى : (يـا صباحـاه) فاجتمـع النـاس إليـه بـين رجـل يجـئ إليـه وبـين رجـل يبعـث رسـوله؛ فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم : (يـا بنـي عبـد المطلـب يـا بنـي فهـر، يـا بنـي كعـب أرأيتم لـو أخبرتكـم أن خيـلاً بسـفح هـذا الجبـل تريـد أن تغـير عليكـم أصدقتمونـي)؟ قالـوا نعـم ! قـال : (فإنـي نذيـر لكـم بـين يـدي عـذاب شـديد)[1] ؛ الشـاهد هنـا أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قبـل أن يبلغهـم رسـالة ربـه أراد أن يعـرف موقفهـم منـه وثقتهـم فيـه، وتقـول روايـة أخـرى أنـه عندمـا سـألهم قالـوا لـه ـ نعـم مـا جربنـا عليـك كذبـاً ـ والثقـة تترسـخ بالثبـات عـلى المبـادئ، والصـدق في القـول، والإلتـزام بالعهـود والمواثيـق، وقـد شـدد الإسـلام عليهـا قـال تعـالى : ﴿ **يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ أَوْفُـواْ بِالْعُقُودِ..**﴾[المائـدة:1] وقـال تعـالى: ﴿**وَأَوْفُـواْ بِالْعَهْـدِ إِنَّ الْعَهْـدَ كَانَ مَسْـؤُولاً** ﴾[الإسراء:34] وكان أهـل مكـة يثقـون في رسـول اللـه ثقـة كبـيرة بالرغـم مـن عـدم إيمانهـم بالرسـالة، حتـى أنهـم كانـوا يأتمنونـه على الأشـياء الثمينـة التـي يخشـون مـن ضياعهـا فيودعونهـا عنـده، وقـد روت السـيرة أنـه عندما أراد الهجـرة خَلَّـفَ عـلي ابـن أبـي طالـب وراءه لـيرد الودائـع إلى أهلهـا ، فهـم يثقـون في أمانتـه وصدقـه ولكـن يصعـب عليهـم التخـلي عـن عقائـد آبائهـم قـال تعـالى : ﴿.. **فَإِنَّهُـمْ لاَ يُكَذِّبُونَـكَ وَلَكِـنَّ الظَّالِمِـينَ بِآيَـاتِ اللّـهِ يَجْحَـدُونَ** ﴾[الأنعـام:33]

(1)) ابن كثير: البداية والنهاية (ج 2 / ص 37) السابق.

ومما يؤكد ثقتهم فيه أنهم قبلوا حكمه بالإجماع عندما اختلفوا حول وضع الحجر الأسود بعد إعادة ترميم الكعبة.

عدم التكافؤ:

الحوار المفيد لا بد أن تكون أطرافه متكافئة، وإلا لا يصبح حواراً، لأن الطرف الأقوى سيفرض شروطه، ويملي رغباته، فالتكافؤ يحقق أهداف الأطراف المتحاورة بصورة عادلة، هذا إذا كانت أطراف الحوار تسعى للوصول إلى هدف فيه مصلحة مشتركة، وهذا يحدث في مجال المصالح المادية، وفي مجال العلاقات بين الدول والكيانات الإجتماعية والسياسية والمؤسسات الإقتصادية، أما الأديان فمصلحتها تتحقق في ظل التعايش المشترك القائم على السلام والتسامح، اللهم إلا تلك الأديان التي يضعفها نشاط الآخرين بسبب عجزها وتناقض تعاليمها التي يكشفها تماسك تعاليم الديانات المنافسة. وليس بالضرورة أن يكون التكافؤ متماثلاً فقد يتفوق طرف في مجال بينما يتفوق الطرف الآخر في مجال آخر، كأن يمتلك طرف من الأطراف عناصر القوة المادية، مثل التفوق الإقتصادي والعسكري والتقني، بينما يتفوق الطرف الآخر في مجال المعلومات والدعاية والإعلام، وآخر تكمن عناصر قوته في الجوانب الروحية والثقافية والفكرية. وهكذا فكل منهم محتاج إلى ما عند الآخرين، وعالم اليوم مصالحه متشابكة لا يستغنى طرف بما عنده دون أن يكون محتاجاً للآخرين، فهنالك تكافؤ في الإحتياجات لكل الأطراف.

تناقض الخطاب داخل أطراف الحوار:

الملاحظ أن مبدأ الحوار مع الآخر ليس محل اتفاق بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، كما أنه مختلف عليه داخل مؤسسات الآخر الملي والآخر الحضاري والآخر الدولي، مما يعتبر عائقاً من عوائق الحوار، فالمتوقع من المتحاورين أنهم يمثلون جميع الذين يشاركونهم في المعتقد أو الثقافة أو الحضارة ، ولكننا في الواقع نجد جماعات إسلامية هنا وهناك تتبع نهجاً يدعولاستئصال الآخر وتدميره ، ورفض أي حوار معه ، ونجد في الطرف الآخر جماعات رافضة للحوار مع المسلمين وتدعو للقضاء عليهم ، وينبغي التركيز هنا على الجانب الإسلامي؛

لأن البحث أصلاً يسعى لاستكشاف مبدأ الحوار في الفكر الإسلامي والتأصيل له؛ فالمطلوب أن يسبق الحوار مع الآخر حواراداخلي، يتفق فيه المعنيون على خطاب موحد، بحيث لو قام به أي واحد منهم يعتبر ممثلاً للجميع . والواقع أنه منذ الغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك، فقد المسلمون، عاملاً من عوامل الوحدة، فالخلافة ـ بالرغم من عِلَّاتها ـ كانت تمثل قيادة للمسلمين في كل أنحاء العالم فبإلغائها فقد المسلمون أهم مظهر سياسى من مظاهر الوحدة، وأما المسيحيون فإنهم بالرغم من إلغاء دور الكنيسة السياسي، إلا أنهم لديهم قيادة روحية يلتفون حولها ويحترمون أوامرها، مع العلم أنهم ينقسمون إلى ثلاث طوائف رئيسية هي الكاثوليكية والأورثوذوكسية والأنجليكانية ولكل طائفة من هذه الطوائف قيادة دينية تلتزم الطائفة بأوامرها.

أما المسلمون فقد انقسموا إلى دول وجماعات وفقدوا القيادة الموحدة، مما أفقدهم الاتفاق على خطاب موحد فى التعامل مع الآخر، فهنالك من يقر الحوار وينشط فيه، وهنالك من يرفضه ويصدرالفتاوى لعرقلته مما يتعذر معه التوصل إلى حوار جاد مع الآخر، فالمطلوب التوصل إلى خطاب متفق عليه من المسلمين أو من الناشطين منهم يبين منهج التعامل مع الآخر، حتى يزول التناقض بين خطابات الإسلاميين فى هذا المجال.

وخلاصة القول في هذا الفصل: أن الحوار الناجح هو ذلك الذي يقوم على أرضية مشتركة تتمثل في المقدمات السالف ذكرها، وتتوفر شروطه على النحو المبين، مع مراعات آدابه وإزلة معوقاته.

الفصل الثاني

مشروعية الحوار

- تمهيد
- المبحث الأول : الحوار في القرآن والسنة وفي سيرة السلف
- المبحث الثاني : مكونات العقل السليم

تمهيد

القرآن والسنة هما المصدران الأساسيان للتشريع في الإسلام، وقد تضمنا أحكام العبادات، والمعاملات، وكل ما يتعلق بحياة المسلم، في كافة المجالات الروحية، والأسرية، والإجتماعية، والإقتصادية، وغيرها، ولو امتثل المسلمون لهما امتثالاً حقيقياً، لتجنبوا كثيراً من الهزائم النفسية، والمادية، ولأصبحوا نموذجاً يحتذ.

ينبغي أن يكون حكم الكتاب والسنة هو المطلب الذي يسعى إليه المسلم؛ لأنه خُلِق للقيام بهذا التكليف، وهو تطبيق منهج الله وفق مراد الله، فعندما يقف المسلم على الحكم الشرعي المسنود بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة، ما عليه إلا الإمتثال بكامل الرضا. وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الإستمساك بالكتاب والسنة يعصم من الضلال، ويجنب من مهاوي الردى. قال صلى الله عليه وسلم : (إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تخافون من أعمالكم فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً؛ كتاب الله وسنة نبيكم، إن كل مسلم أخو المسلم، المسلمون إخوة، ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نف ، ولا تظلموا، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[1] يتضح مما سبق وبمفهوم المخالفة، أن عدم الإعتصام بالكتاب والسنة يوقع في الضلال، وينقض عُرَى الأخوة، فتسود المجتمع مظاهر البغضاء والإحن، وهي مقدمات للحروب والدمار.

لقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تؤكد وجوب الإحتكام لكتاب الله ولسنة نبيه الكريم، قال تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾[النساء:65] وفي آية أخرى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**

(1) أخرجه أحمد في مسنده (2 / 368) والمنذري في الترغيب والترهيب (1 / 41)

وَمَـــن يَعْـــصِ اللَّـــهَ وَرَسُـــولَهُ فَقَـــدْ ضَـــلَّ ضَـــلَالًا مُّبِينًـــا ﴾[الأحـــزاب:36]
وفيمـــا يتعلـــق بموضـــوع البحـــث ـ الحـــوار ـ فـــإن لـــه تأصيـــلاً محكمـــاً في الكتـــاب والســـنة، وفي المبـــادئ الإســـلامية المســـتنبطة منهمـــا، وفي الواقـــع العمـــلي الـــذي جســـدته ســـيرة الرســـول صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم، وخلفائـــه الراشـــدين، والمصلحـــين مـــن أمتـــه، كمـــا ســـيتبين في هـــذا الفصـــل .

المبحث الأول

الحوار في القرآن والسنة وفي سيرة السلف

اولاً: الحوار في القرآن:

في مراجعة دراسية لآيات القرآن الكريم المتعلقة بالحوار بصورة عامة. نجد أن القرآن الكريم تضمن أنواعاً متعددة من الحوارات:

- حوار الله مع الشيطان.
- حوار الله مع الأنبياء.
- حوار الله مع عباده يوم القيامة.
- حوار الأنبياء مع الناس.
- حوار الناس مع الناس.

في ضوء ذلك يمكن إبراز الإحصاءات القرآنية الآتية:

وردت كلمة (قال) ومشتقاتها (1713) مرة، منها(549) مرة كلمة (قال) و(355) مرة كلمة (قالوا).

وردت كلمة (جادل) ومشتقاتها (29) مرة.

وردت كلمة (فكر) ومشتقاتها (18) مرة.

وردت كلمة (فقه) ومشتقاتها (18) مرة.

وردت كلمة (حاج) (يحاجج) (13) مرة.

وردت كلمة (حوار) ثلاث مرات [1].

مما سبق يتضح أن الحوار له أهمية كبيرة في الإسلام، فإضافة إلى حوارات الله مع الملائكة، ومع إبليس، والأنبياء؛ هنالك حواره مع عباده، وحواره مع الكون،

(1) محمد السماك، مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي، بيروت – لبنان، دار النفائس، طبعة: (1988م) ص (77)

ومـع الطبيعـة، ومـع كثـير مـن مخلوقاتـه، كذلـك فـإن سِـيَرَ الأنبيـاء مـع قومهـم كانـت جلهـا حـوارات، تهـدف لإقناعهـم بوحدانيـة اللـه وبطـلان مـا هـم عليـه مـن الـشرك، ومـن فسـادٍ في الأخـلاق، وانحـرافٍ في القيـم، ونالـت قصـص بنـي إسرائيـل الجـزء الأكـبر مـن قصـص القـرآن الكريـم ، قـال تعـالى : ﴿ **إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ يَقُـصُّ عَـلَى بَنِـي إِسْرَائِيـلَ أَكْثَـرَ الَّـذِي هُـمْ فِيـهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[النمـل:76] ومـن المناسـب هنـا ذكـر بعـض الحـوارات التـي وردت في القـرآن الكريـم لتأكيـد أن الحـوار هـو وسـيلة مـن وسـائل الإسـلام لإقنـاع النـاس بحقائـق الديـن ولإقامـة الحجـة عليهـم ، بـل هـو الأبـرز بالنسـبة لوسـائل الإسـلام الأخـرى :

1. حوار الله سبحانه وتعالى مع ابليس:

ورد الحـوار الـذي دار بـين اللـه سـبحانه وتعـالى وبـين إبليـس في القـرآن الكريـم بصيـغ متنوعـة ، ففـي سـورة الأعـراف بـدأ بصيغـة : ﴿ **قَـالَ مَـا مَنَعَـكَ أَلاَّ تَسْـجُدَ إِذْ أَمَرْتُـكَ...** ﴾ [الأعـراف:12] وفي سـورة الحجـر : ﴿**قَـالَ يَـا إِبْلِيـسُ مَـا لَـكَ أَلاَّ تَكُـونَ مَـعَ السَّـاجِدِينَ** ﴾[الحجـر:32] وفي سـورة ص : ﴿ **قَـالَ يَـا إِبْلِيـسُ مَـا مَنَعَـكَ أَن تَسْـجُدَ لِمَـا خَلَقْـتُ بِيَـدَيَّ أَسْـتَكْبَرْتَ أَمْ كُنـتَ مِـنَ الْعَالِـينَ** ﴾[ص:75] وفي سـورتي الأعـراف وص كان رد إبليـس : ﴿ **قَـالَ أَنَـاْ خَـيْرٌ مِّنْـهُ خَلَقْتَنِـي مِـن نَّارٍ وَخَلَقْتَـهُ مِـن طِـينٍ** ﴾[الأعـراف:12] وفي سـورة الحجـر جـاء رده بصيغـة مختلفـة : ﴿ **قَـالَ لَـمْ أَكُـن لِّأَسْـجُدَ لِبَـشَرٍ خَلَقْتَـهُ مِـن صَلْصَـالٍ مِّـنْ حَمَـإٍ مَّسْـنُونٍ**﴾ [الحجـر:33] فاسـتحق اللعنـة لعـدم امتثالـه لأمـر اللـه، ولاسـتعماله القيـاس فيمـا لا يجـوز فيـه القيـاس، قـال الشهرسـتاني (اعلـم أن أول شـبهة وقعـت في الخليقـة « شـبهة ابليـس « لعنـه اللـه ومصدرهـا اسـتبداده بالـرأي في مقابلـة النـص، واختيـاره الهـوى في معارضـة الأمـر، واسـتكباره بالمـادة التـي خلـق منهـا، وهـي النـار عـلى مـادة آدم عليـه السـلام وهـي الطـين، وتشـعبت مـن هـذه الشـبهة سـبع شـبهات؛ وسـارت في الخليقـة، وسرت في أذهـان النـاس حتـى صـارت مذاهـب بدعـة وضـلال .. والشـبهات السـبعة هـي: الأولى: لـم خلقنـي اللـه وهـو يعلـم مـا يصـدر منـي؟ والثانيـة: لـم كلفنـي وهـو لا ينتفـع بطاعـة ولا يتـضرر بمعصيـة؟ والثالثـة: لـم كلفنـي بطاعـة آدم؟ والرابعـة: لـم لعننـي وطردنـي وأنـا لـم أزد عـلى قـولى: لا أسـجد إلا لـك؟ والخامسـة: مـا الحكمـة مـن تمكينـي مـن دخـول الجنـة لإغـواء

آدم؟ والسادسة: لم سلطني على بني آدم بحيث أراهم ولا يروننني، وتؤثر فيهم وسوستي؟ والسابعة: لم استمهلني إلى يوم يبعثون مع أن في هلاكي مصلحة للعالم؟ فكان الرد الإلهي : أنه أوحى للملائكة بأن يقولوا له : إنك في تسليمك الأول أني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص، إذ لو صدقت أني إله العالمين ما احتكمت إلي بـ لِم ؛ فأنا الله الذي لا إله إلاأنا، لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون)[1] ومما تجدر الإشارة إليه أن أبليس بالرغم من فداحة جرمه ووسائل إغوائه غير العادية المتمثلة في تعرضه للبشر من كل الإتجاهات ، وقدرته على الوسوسة ، وتمكنه من الإنسان حتى أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق ـ مع كل ذلك ـ فإن الله سبحانه وتعالى أبقاه إلى يوم البعث، وأعطاه حرية التعبير عن أهدافه ونشر أفكاره، مما ينفي أي زعم بأن الإسلام ضد الحريات بكل أنواعها، ولنتدبر هذا الحوار بين الله وإبليس بكل تمعن : ﴿ **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[الأعراف:13-18]. هذا الحوار نستنتج منه الآتي:

أولاً: أن الحكمة من وجود إبليس في حياة الناس، هي الإختبار، فلولا الإختبار لادعى كثير من الناس الإيمان والإلتزام بأحكام الشرع، ولكن الإختبار هو الذي يبين معادن الناس، ويُصَدِّقُ هذا ما ورد في القرآن بشأن تحريم صيد البر للمحرم. قال تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[المائدة:94].

ثانياً: أن الكفر والعصيان لا يحرمان المخلوق من حقوقه، بدليل أن الله سبحانه وتعالى لم يسلب إبليس الحياة لعصيانه؛ بل أبقاه إلى يوم يبعثون.

(1)) الشهرستاني، الملل والنحل للشهرستانى [بتصرف] ص (7 – 8) سابق.

ثالثـاً: أن الحريـة في الإسـلام لا حـدود لهـا، بدليـل أن أبليـس أعلـن عـن منهجـه، ووسـائل إغوائـه المتفوقـة، فلـم يمنعـه اللـه مـن عـرض أفـكاره؛ بـل هيـأ لـه كل الأجـواء للتعبـير عمـا يريـد. وأن حريـة التبشـير مكفولـة لـه، فإبليـس بَـيَّنَ أنـه يسـعى لـصرف النـاس عـن الـصراط المسـتقيم، ومع ذلـك أبقـاه اللـه إلى يـوم البعث، ونسـتخلص مـن ذلـك أن الذيـن يرفضـون لأصحـاب الديانـات الأخـرى وأصحـاب النظريـات [الهدامـة]؛ بـأن لا ينـشروا أفكارهـم، قـد جانبـوا الصـواب؛ فالإسـلام لا يُضْعِفُـهُ نشـاط الآخريـن، فحجتـه دامغـه، وأسسـه متينـة؛ بـل إن وجـود الفكـر الآخـر، والمعتقـد الآخـر، يتيـح للنـاس المقارنـة، وعندهـا سيكتشـفون الفـرق بـين يقدمـه الإسـلام ومـا تقدمـه العقائـد والنحـل الأخـرى.

2. حوار الله مع الأنبياء:

ذكـر القـران الكريـم عـدة حـوارات بـين اللـه والأنبيـاء والرسـل ، تتنـاول عـدة مواضيـع نختـار منهـا مـا يتسـع المقـام لذكـره ، ففـي حـوار اللـه مـع نـوح نذكـر مـا يتعلـق بشـأن ابنـه الـذي غـرق لرفضـه الركـوب في السـفينة ، فلمـا يئـس نـوح عليـه السـلام مـن اسـتجابة قومـه ودعـا عليهـم الدعـاء المشـهور الـوارد في سـورة نـوح، أبلغـه اللـه بـأن قومـه لـن يؤمـن منهـم إلا مـن قـد آمـن، وأنـه قـد حكـم عليهـم بالغـرق، ثـم أمـره ببنـاء السـفينة التـي سـتحمل مـن كل زوجـين إثنـين، إضافـة لأهـل نـوح والمؤمنـين معـه، فلمـا ركبـوا في السـفينة طلـب نـوح مـن ابنـه أن يركـب معـه ولكنـه رفـض قائـلاً: سـآوي إلى جبـل يعصمنـي مـن المـاء، والنتيجـة أنـه غـرق قـال تعـالى : ﴿ **وَهِـيَ تَجْـرِي بِهِـمْ فِي مَـوْجٍ كَالْجِبَـالِ وَنَـادَى نُـوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْـزِلٍ يَـا بُنَـيَّ ارْكَـب مَّعَنَـا وَلاَ تَكُـن مَّـعَ الْكَافِرِيـنَ * قَـالَ سَـآوِي إِلَى جَبَـلٍ يَعْصِمُنِـي مِـنَ الْمَـاء قَـالَ لاَ عَاصِـمَ الْيَـوْمَ مِـنْ أَمْـرِ اللّـهِ إِلاَّ مَـن رَّحِـمَ وَحَـالَ بَيْنَهُمَـا الْمَـوْجُ فَـكَانَ مِـنَ الْمُغْرَقِـينَ * وَقِيـلَ يَـا أَرْضُ ابْلَعِـي مَـاءكِ وَيَـا سَـمَاء أَقْلِعِـي وَغِيـضَ الْمَـاء وَقُضِيَ الأَمْـرُ وَاسْـتَوَتْ عَـلَى الْجُـودِيِّ وَقِيلَ بُعْـداً لِّلْقَـوْمِ الظَّالِمِـينَ** ﴾[هـود:42-44] وخاطـب نـوح عليـه السـلام ربـه بشـأن ابنـه الـذي غـرق وهـو مـن أهلـه، فبـين لـه اللـه سـبحانه وتعـالى أن علاقتـه بابنـه قـد انقطعـت؛ لأن طريقيهمـا مختلفـان، وأن أواصر الرحـم لا تفيـد فى هـذا المجـال. قـال تعـالى : ﴿ **وَنَـادَى نُـوحٌ رَّبَّـهُ فَقَـالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِـي مِـنْ أَهْـلِي وَإِنَّ وَعْـدَكَ**

الْحَـقُّ وَأَنـتَ أَحْكَـمُ الْحَاكِمِـينَ ۞ قَـالَ يَـا نُـوحُ إِنَّـهُ لَيْـسَ مِـنْ أَهْلِـكَ إِنَّـهُ عَمَـلٌ غَـيْرُ صَالِـحٍ فَـلاَ تَسْـأَلْنِ مَـا لَيْـسَ لَـكَ بِـهِ عِلْـمٌ إِنِّـي أَعِظُـكَ أَن تَكُـونَ مِـنَ الْجَاهِلِـينَ ۞ قَـالَ رَبِّ إِنِّـي أَعُـوذُ بِـكَ أَنْ أَسْـأَلَكَ مَـا لَيْـسَ لِي بِـهِ عِلْـمٌ وَإِلاَّ تَغْفِـرْ لِي وَتَرْحَمْنِـي أَكُـن مِّـنَ الْخَاسِرِيـنَ ۞ قِيـلَ يَـا نُـوحُ اهْبِـطْ بِسَـلاَمٍ مِّنَّا وَبَـرَكَاتٍ عَلَيْـكَ وَعَـلَى أُمَـمٍ مِّمَّـن مَّعَـكَ وَأُمَـمٌ سَـنُمَتِّعُهُمْ ثُـمَّ يَمَسُّـهُم مِّنَّـا عَـذَابٌ أَلِيـمٌ ﴾ [هـود:45-48] فالعلاقـة الإيمانيـة مقدمـة عـلى العلاقـة الرحميـة عنـد اللـه .

وأبـو الأنبيـاء إبراهيـم عليـه السـلام حـاور ربـه مسـتفسراً عـن كيفيـة إحيـاء الموتـى : ﴿ **وَإِذْ قَـالَ إِبْرَاهِيـمُ رَبِّ أَرِنِـي كَيْـفَ تُحْيِـي الْمَوْتَـى قَـالَ أَوَلَـمْ تُؤْمِن قَـالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَـئِنَّ قَلْبِـي قَـالَ فَخُـذْ أَرْبَعَـةً مِّـنَ الطَّـيْرِ فَصُرْهُـنَّ إِلَيْـكَ ثُـمَّ اجْعَـلْ عَـلَى كُلِّ جَبَـلٍ مِّنْهُـنَّ جُـزْءًا ثُـمَّ ادْعُهُـنَّ يَأْتِينَـكَ سَـعْيًا وَاعْلَـمْ أَنَّ اللّـهَ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ**﴾[البقـرة:260] فالشـك يقـود إلى اليقـين ، ويطـرد الأوهـام والوسـاوس التـي هـي مـن نواقـض العقيـدة ، فمـن شروط العقيـدة أن تُبْنَـى عـلى ثبـات لا تزحزحـه الرِّيَـبُ يقـول الغـزالي عـن أثـر الشـك في التوصـل إلى الحقيقـة: (إذ الشـكوك هـي الموصلـة إلى الحـق ، فمـن لـم يشـك لـم ينظـر ، ومـن لـم ينظـر لـم يُبْـصِرْ ، ومن لم يبـصر بقـي في العمـى والضـلال . نعـوذ باللـه مـن ذلـك) [1]. ومـوسى عليـه السـلام اشـتهر بأنـه كليـم اللـه، فقـد حـاوره ربـه في مواقـف كثـيرة: عند جبـل الطـور في أول تكليفـه بالرسـالة، وعنـد ابتعاثـه إلى فرعـون، ومـدة إقامته مـع بني إسرائيل. ونشـير هنـا إلى جانـب مـن هـذه الحـوارات قـال تعـالى : ﴿ **وَلَمَّـا جَـاء مُـوسَى لِمِيقَاتِنَـا وَكَلَّمَـهُ رَبُّـهُ قَـالَ رَبِّ أَرِنِـي أَنظُـرْ إِلَيْـكَ قَـالَ لَـن تَرَانِـي وَلَـكِنِ انظُـرْ إِلَى الْجَبَلِ فَـإِنِ اسْـتَقَرَّ مَكَانَـهُ فَسَـوْفَ تَرَانِـي فَلَمَّـا تَجَـلَّى رَبُّـهُ لِلْجَبَـلِ جَعَلَـهُ دَكًّا وَخَـرَّ مُـوسَى صَعِقًـا فَلَمَّـا أَفَـاقَ قَـالَ سُـبْحَانَكَ تُبْـتُ إِلَيْـكَ وَأَنَـاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِـينَ ۞ قَالَ يَـا مُـوسَى إِنِّـي اصْطَفَيْتُـكَ عَـلَى النَّـاسِ بِرِسَـالاَتِي وَبِكَلاَمِـي فَخُـذْ مَـا آتَيْتُـكَ وَكُـن مِّـنَ الشَّـاكِرِينَ**﴾[الأعراف:143-144] إنَّ تسـاؤلات الإنسـان لا تنتهـي، فهـو ينشـد المعرفـة ويتطلـع لهـا، وإذا كان رسـل اللـه يتسـاءلون حـول قضايـا تعتـبر خطـوط حمـراء؛ فمـن بـاب أولى أن يتسـاءل العبـاد دون حجـر، إن حريـة البحـث يكفلهـا الإسـلام، بـل يدعـو لهـا عندمـا يطلـب مـن النـاس السـير في الأرض لمعرفـة

(1) أبوحامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطوسي(ت505هــ)، ميـزان العمـل، حققـه: الدكتـور سـليمان دنيـا، مـصر-دار المعـارف: الطبعـة الأولى(1964م)، ص (409).

آثارالذيـن سـبقوا حتـى يتعلمـوا منهـم . وفي حـوار اللـه مـع عيـسى أشـير إلى مـا ورد في سـورة المائـدة : ﴿ **وَإِذْ قَـالَ اللّـهُ يَـا عِيـسَى ابْـنَ مَرْيَـمَ أَأَنـتَ قُلـتَ لِلنَّـاسِ اتَّخِذُونِـي وَأُمِّـيَ إِلَـهَيْنِ مِـن دُونِ اللّـهِ قَـالَ سُـبْحَانَكَ مَـا يَكُـونُ لِي أَنْ أَقُـولَ مَا لَيْـسَ لِي بِحَـقٍّ إِن كُنـتُ قُلْتُـهُ فَقَـدْ عَلِمْتَـهُ تَعْلَـمُ مَـا فِي نَفْـسِي وَلاَ أَعْلَـمُ مَـا فِي نَفْسِـكَ إِنَّـكَ أَنـتَ عَـلاَّمُ الْغُيُـوبِ * مَـا قُلْـتُ لَهُـمْ إِلاَّ مَـا أَمَرْتَنِـي بِـهِ أَنِ اعْبُـدُواْ اللّـهَ رَبِّـي وَرَبَّكُـمْ وَكُنـتُ عَلَيْهِـمْ شَـهِيدًا مَّـا دُمْـتُ فِيهِـمْ فَلَمَّـا تَوَفَّيْتَنِـي كُنـتَ أَنـتَ الرَّقِيـبَ عَلَيْهِمْ وَأَنـتَ عَـلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيـدٌ * إِن تُعَذِّبْهُـمْ فَإِنَّهُمْ عِبَـادُكَ وَإِن تَغْفِـرْ لَهُـمْ فَإِنَّكَ أَنـتَ الْعَـزِيـزُ الْحَكِيمُ** ﴾[المائـدة:116-118].

3. حوار الرسل مع قومهم:

لقـد جـاءت قصـص الأنبيـاء والرسـل مـع قومهـم في القـرآن الكريـم، كلهـا تقريبـاً في صيغـة حـوارات تـشرح مهمـة الرسـل التـي جـاءوا بهـا، وتبـين المنهـج الـذي أنـزل إليهـم، وتدعـو النـاس إلى الإمتثـال لأمـر اللـه. نختـار مـن تلـك الحـوارات بعضهـا: فقـد حـاور إبراهيـم عليـه السـلام قومـه الذيـن كانـوا يعبـدون الأصنـام، مبينـاً بطـلان اعتقادهـم، وموضحـاً لهـم بصـورة مشـاهدة وبحجـة عمليـة عجـز آلهتهـم المزعومـة عندمـا كـسر أصنامهـم. وردت هـذه الحـوارات في سـورة الأنعـام، وفي سـورة الأنبيـاء، وفي سـورة الشـعراء، وفي سـورة العنكبوت، وفي سـورة الصـافات؛ كذلـك كان حـوار إبراهيـم مـع أبيـه نموذجـاً لأسـلوب الداعيـة الحكيـم، الـذي يسـعى لإخـراج قومـه مـن الظلمـات إلى النـور، ويدحـض باطلهـم بحجـج دامغـة، بأسـلوب غايـة في الرقـى واللباقـة : ﴿ **وَاذْكُـرْ فِي الْكِتَـابِ إِبْرَاهِيـمَ إِنَّـهُ كَانَ صِدِّيقًـا نَّبِيًّـا * إِذْ قَـالَ لِأَبِيـهِ يَـا أَبَـتِ لِـمَ تَعْبُـدُ مَـا لَا يَسْـمَعُ وَلَا يُبْـصِرُ وَلَا يُغْنِـي عَنـكَ شَـيْئًا * يَـا أَبَـتِ إِنِّـي قَـدْ جَاءنِـي مِـنَ الْعِلْـمِ مَـا لَـمْ يَأْتِـكَ فَاتَّبِعْنِـي أَهْـدِكَ صِرَاطًـا سَـوِيًّا * يَـا أَبَـتِ لَا تَعْبُـدِ الشَّـيْطَانَ إِنَّ الشَّـيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَـنِ عَصِيًّـا * يَـا أَبَـتِ إِنِّـي أَخَـافُ أَن يَمَسَّـكَ عَـذَابٌ مِّـنَ الرَّحْمَـن فَتَكُـونَ لِلشَّـيْطَانِ وَلِيًّـا * قَـالَ أَرَاغِـبٌ أَنـتَ عَـنْ آلِهَتِـي يَـا إِبْرَاهِيـمُ لَـئِن لَّـمْ تَنتَـهِ لَأَرْجُمَنَّـكَ وَاهْجُرْنِـي مَلِيًّـا * قَـالَ سَـلَامٌ عَلَيْـكَ سَأَسْـتَغْفِرُ لَـكَ رَبِّـي إِنَّـهُ كَانَ بِـي حَفِيًّـا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَـا تَدْعُـونَ مِـن دُونِ اللَّـهِ وَأَدْعُـو رَبِّـي عَـسَى أَلَّا أَكُـونَ بِدُعَـاء رَبِّـي شَـقِيًّا** ﴾[مريـم:41-48] . ونبـي اللـه شـعيب كان يسـمى خطيـب الأنبيـاء، لمـا تميـز بـه

مـن أسـلوب بليـغ في المحـاورة، والحـوار الـذي دار بينـه وبـين قومـه في سـورة هـود يؤكـد ذلـك قـال تعـالى : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَـنَ أَخَاهُـمْ شُـعَيْبًا قَـالَ يَـا قَـوْمِ اعْبُـدُواْ اللّـهَ مَـا لَكُم مِّـنْ إِلَـهٍ غَـيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُـواْ الْمِكْيَـالَ وَالْمِيـزَانَ إِنِّـيَ أَرَاكُـم بِخَيْرٍ وَإِنِّـيَ أَخَـافُ عَلَيْكُـمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ مُّحِيـطٍ * وَيَـا قَـوْمِ أَوْفُـواْ الْمِكْيَـالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْـطِ وَلاَ تَبْخَسُـواْ النَّـاسَ أَشْـيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَـوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِـدِينَ * بَقِيَّـةُ اللّـهِ خَـيْرٌ لَّكُـمْ إِن كُنتُـم مُّؤْمِنِـينَ وَمَـا أَنَـاْ عَلَيْكُـم بِحَفِيـظٍ * قَالُـواْ يَـا شُـعَيْبُ أَصَلاَتُـكَ تَأْمُـرُكَ أَن نَّـتْرُكَ مَـا يَعْبُـدُ آبَاؤُنَـا أَوْ أَن نَّفْعَـلَ فِي أَمْوَالِنَـا مَـا نَشَـاء إِنَّـكَ لَأَنـتَ الْحَلِيـمُ الرَّشِـيدُ..** ﴾إلى قولـه تعـالى:﴿ **يَـا قَـوْمِ اعْمَلُـواْ عَـلَى مَكَانَتِكُـمْ إِنِّـي عَامِـلٌ سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ مَـن يَأْتِيـهِ عَـذَابٌ يُخْزِيـهِ وَمَـنْ هُـوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُـواْ إِنِّـي مَعَكُـمْ رَقِيـبٌ** ﴾[هـود:84-93].

4. حوارات متفرقة:

هنالـك عـدة حـوارات مـع جهـات مختلفـة في القـرآن الكريـم، أشـير هنـا إلى حـوار اللـه مـع الـذي مـرّ عـلى قريـة وهـي خاويـة عـلى عروشـها، فتسـاءل أنـى يحيـى هـذه اللـه بعـد موتهـا؟ فأجابـه اللـه عـلى سـؤاله بصـورة عمليـة؛ حيـث أماتـه مائة عـام ثـم بعثـه، وسـأله كـم لبثـت؟ فقـال إنـه لبـث يومـاً أو بعـض يـوم، فبـين لـه أنـه لبـث مائـة عـام، وفي حـوار اللـه مـع عبـاده أشـير إلى قولـه تعـالى:﴿ **قَـالَ رَبِّ لِـمَ حَشَرْتَنِـي أَعْمَـى وَقَـدْ كُنـتُ بَصِـيرًا * قَـالَ كَذَلِـكَ أَتَتْـكَ آيَاتُنَـا فَنَسِـيتَهَا وَكَذَلِـكَ الْيَـوْمَ تُنسَـى** ﴾[طـه:125-126]. والحـوارات التـي تضمنتهـا سـورة يوسـف: حـوار يعقـوب مـع بنيـه، وحـوار يوسـف مـع عزيـز مـصر، وحـواره مـع إخوتـه. كذلـك أشـير إلى حـوار نبـي اللـه سـليمان مـع الهدهـد، ومـع ملكـة سـبأ، وحـوار ملكـة سـبأ مـع قومهـا، حـين دعاهـا سـليمان للإسـلام، وحـوار مـوسى مـع فتـاه، وحـواره مـع العبـد الصالـح، وحـوار ذي القرنيـين مـع القـوم الذيـن لا يـكادون يفقهـون قـولاً، كمـا جـاء في سـورة الكهـف.

وفي حـوار الأنبيـاء مـع النـاس أشـير إلى مـا ورد في قولـه تعـالى:﴿ **قَـدْ سَـمِعَ اللَّـهُ قَـوْلَ الَّتِـي تُجَادِلُـكَ فِي زَوْجِهَـا وَتَشْـتَكِي إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ يَسْـمَعُ تَحَاوُرَكُمَـا إِنَّ اللَّـهَ سَـمِيعٌ بَصِـيرٌ** ﴾[المجادلـة:1].

كما أشير إلى قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[البقرة:258].

وفي حوار الناس مع الناس، أشير إلى قوله تعالى:﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾[الكهف:34]. وفي قوله تعالى:﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾[الكهف:37]) [1].

ثانياً: الحوار في السنة:

تضمنت السنة نماذج كثيرة من الحوارات، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ أمر الله الذي كلفه بتبليغ الرسالة، وبين له كيف يدعو الناس إلى دين الله قال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل:126] فامتثل أمر الله وبلغ الرسالة مستخدماً كل الأساليب، وكان الحوار أحدها : فقد حاور أهل مكة، وبعث الرسائل للملوك والزعماء، واستقبل الوفود، وجادل أهل الكتاب؛ والسيرة بينت ذلك بوضوح كما سبقت الإشارة، وكان يشاور أصحابه ويحاورهم، ويستمع إلى آرائهم ويأخذ بالصائب منها، ومن لم يأخذ برأيه بين له الأسباب، وسيتعرض البحث في هذا الجانب للحوار في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء الراشدين، باعتبار أن عهد الخلفاء الراشدين مندرج في عهد النبوة على أساس قوله صلى الله عليه وسلم : (.. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي. عضوا عليها بالنواجذ.) [2] ولأن الصحابة هم الذين تربوا على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنهم راضٍ. وقد شاهدوا كيف يجسد الرسول صلى الله عليه وسلم تعاليم الإسلام، بل شاركوا في إقامة مجتمع الإسلام الأول.

---

(1)) محمد السماك، مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي: ص (77 ـ 78) سابق.

(2)) رواه الترمذي بالرقم: (2676) وأبوداود رقم: (4607) وابن ماجة: (44) وأحمد (17144) باختلاف يسير، وابن عبدالبر في جامع العلوم والحكم برقم: (2305) واللفظ له عن العرباض بن سارية.

(1) الحوار في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله بعدة صفات كلها تقتضي أن يكون الحوار من خصائصها؛ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [الأحزاب:45-46] وجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصفات في أرض الواقع، فقد حاور أهل مكة، وحاور اليهود والنصارى، وحاور الملوك عبر مكاتباته لهم؛ بل إن علاقته مع أصحابه قامت على الحوار، تطبيقاً للشورى وتبيينا لأحكام الدين ، وسنذكر طرفاً من هذه الحوارات مع هذه الأطراف :

(أ) حواره مع أهل مكة: عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأبي جهل: (هل لك إلى الله وإلى رسوله، وأدعوك إلى الله) فقال أبوجهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن نشهد أنك قد بلغت، فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حق لاتبعتك؛ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عليّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن [يمنعني] شيء؛ إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا الندوة، فقلنا نعم، ثم قالوا فينا اللواء، فقلنا نعم، ثم أطعموا وأطعمنا. حتى إذا تَحَاكَّتِ الركب قالوا منا نبي، والله لا أفعل [1] الشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ييأس، فبالرغم من عداوة أبي جهل وتشدد موقفه الرافض للدعوة، فقد كان صلى الله عليه وسلم يطمع في إسلامه، وقد دعا الله أن ينصر الدين بأحب الرجلين إليه: عمر بن الخطاب، أو بعمرو بن هشام [أبي جهل] فكان عمر هو أحبهما إلى الله. وهذا الحوار يفسر سبب رفض كثير من زعماء العرب للإسلام؛ لأنهم نظروا إليه من زاوية منافستهم لقريش، فالغيرة حرمتهم من التصديق، والتعصب قد حجبهم من نور الله، فحرموا الإيمان.

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، (2/ 62 – 63) سابق.

(ب) حواره مع أهل الكتاب: قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أجمعوا لي من كان هاهنا من يهود) فجمعوا له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقي عنه؟) قالوا: نعم يا أبالقاسم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أبوكم؟) قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذبتم بل أبوكم فلان) قالوا: صدقت وبررت، فقال: (هل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم عنه؟) قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أهل النار؟) فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله لا نخلفكم فيها أبداً) ثم قال لهم: (هل أنتم صادقي عن شئ إذا سألتكم؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم فقال: (هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟) فقالوا: نعم! قال: (ما حملكم على ذلك؟) قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرك [1].

هذا الحوار يوضح النهج اليهودي في التعامل مع غير اليهود، فلم يقابلوا المعاملة الحسنة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بالجحود والنكران، ثم إنهم لم يتورعوا من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما بين لهم كذبهم الذي لا شك أنه عرفه عن طريق الوحي، لم يؤمنوا، وخالفوا قولهم بزعمهم أنه لو كان نبياً لم يضره السم، ولما ثبت لهم أن السم لم يضره لم يؤمنوا!

(ج) رسائله للملوك : بعد صلح الحديبية وفي فترة الهدنة مع قريش، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم برسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام، ومن الذين حملوا الرسائل كان حاطب بن أبي بلتعة، حيث بعثه صلى الله عليه وسلم برسالة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فلما وصله الكتاب قبله وأكرم حاطباً وأحسن نزله وسرحه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له

(1)) السابق ، الجزء الثانى ص: (209)

مـع حاطـب كسـوة وبغلـة بسرجهـا وجاريتـين . قـال حاطـب : (بعثنـي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى المقوقـس ملـك الإسـكندرية ، قـال : فجئتـه بكتـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فأنزلنـي في منزلـه وأقمـت عنـده ، ثـم بعـث إلي وقـد جمـع بطارقتـه وقـال : إنـي سـائلك عـن كلام فأحـب أن تفهـم عنـي قـال قلـت هلـم ، قـال : أخبرنـي عـن صاحبـك أليـس هـو نبـي ؟ قلـت بـل هـو رسـول اللـه، قـال: فمالـه حيـث كان هكـذا لـم يـدع عـلى قومـه حيـث أخرجـوه مـن بلـده إلى غيرهـا؟ قـال: فقلـت عيـسى بـن مريـم أليـس تشـهد أنـه رسـول اللـه؟ قـال: بـلى، قلـت: فمالـه حيـث أخـذه قومـه فـأرادوا أن يصلبـوه ألا يكـون دعـا عليهـم بـأن يهلكهـم اللـه حيـث رفعـه اللـه إلى السـماء الدنيـا؟ فقـال لي: أنـت حكيـم قـد جـاء مـن عنـد حكيـم.) [1].

إن بعـث الرسـائل للملـوك يؤكـد عالميـة الإسـلام، وهـذه القصـة توضـح أن سـفراء الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد تـم اختيارهـم بعنايـة، فهـم عـلى إلمـام تـام بالمهمـة التـي كلفـوا بهـا، كمـا أن لديهـم معرفـة جيـدة بعقائـد مـن أُرْسِـلُوا إليهـم، إضافـة إلى أنهـم يجيـدون فـن الحـوار مـع سرعـة البديهـة وبلاغـة الأسـلوب.

(د) حـواره مـع أصحابـه: جـاء صلـح الحديبيـة يحمـل بنـوداً ظاهرهـا في غـير مصلحـة المسـلمين، فمـن بنـود الصلـح أن مـن جـاء إلى المسـلمين مـن أهـل مكـة مسـلماً يردونـه إليهـم، ومـن لحـق بأهـل مكـة مـن المسـلمين لا يلزمـون بـرده، كذلك عـدم كتابـة البسـلمة في وثيقـة الصلـح، ورفضهـم كتابـة رسـول اللـه، فغضـب بعض المسـلمين ومنهـم عمـر بـن الخطـاب الـذي قـال: يـا رسـول اللـه! ألسـنا عـلى حـق، وهـم عـلى باطـل؟ قـال : (بـلى) ، قـال : أليـس قتلانـا في الجنـة وقتلاهـم في النـار ؟ قـال : (بـلى) قـال ففيـم نعطـي الدنيـة في ديننـا ، ونرجـع ولـم يحكـم بيننـا وبينهـم ؟ قـال : (يـا ابـن الخطـاب ، إنـي رسـول اللـه ولـم يضيعنـي اللـه أبـداً) فانطلـق عمـر ولـم يصـبر متغيظـاً ، فأتـى أبـا بكـر ، فقـال لـه مثـل ذلـك فقـال أبـو بكـر : إنـه رسـول اللـه ولـم يضيعـه اللـه أبـداً : فنـزل القـرآن عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بالفتـح ، فأرسـل إلى عمـر فأقـرأه إيـاه ، فقـال : يـا رسـول اللـه ، أوفتـح

(1) البداية والنهاية لابن كثير (4/271) سابقا

هـو ؟ قـال: (نعـم) فطابـت نفسـه ورجـع)[1] ففـي أحلـك الظـروف كان الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم رابـط الجـأش، مطمـئن النفـس، واثقـاً مـن نـصر اللـه لـه، فأهـل مكـة منعـوه مـن العمـرة، والنفـس مجبولـة عـلى الإنتقـام، ولـم يعـرف المجتمـع ثقافـة التنـازل التكتيكـي تمهيـداً للهـدف للإسـتراتيجي، ومشـاعر الغضـب تملكـت معظـم المسـلمين، خاصـة عندمـا جـاء أبـو جنـدل بـن سـهيل هاربـاً مـن الأسر، فأمـره الرسـول بالرجـوع مـع أبيـه تنفيـذا للعهـد، كان هـذا هـو المنـاخ الـذي تـم فيـه صلـح الحديبيـة، ولكـن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم اسـتطاع بعظمتـه وحكمتـه وحسـن قيادتـه، أن يمتـص مشـاعر الغضـب، وأن يعلـم النفـس الإنسـانية وسـائل جديـدة للنـصر، ليـس العنـف مـن بينهـا، وقـد أفلـح؛ فمـا هـي إلا فـترة وجيـزة حتـى فتـح مكـة سـلمياً.

(هـ) كان الصحابـة يراجعـون رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في الأوامـر التـي يصدرهـا اجتهـاداً منـه إذا رأوا المصلحـة في غيرهـا؛ عـن أبـي بكـر رضي اللـه عنـه قـال: (قـال لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم اخـرج فنـاد في النـاس: (أن مـن شـهد أن لا إلـه إلا اللـه وأنـي رسـول اللـه وجبـت لـه الجنـة) فخرجـت فلقينـي عمـر فسـألني فأخبرتـه، فقـال عمـر: ارجـع إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـل لـه: دع النـاس يعملـون، فإنـي أخـاف أن يتكلـوا عليهـا فرجعـت إلى رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم فأخبرتـه مـا قـال عمـر؛ فقـال: صـدق عمـر، فأمسـكت) [2].

فالحـوار في عهـد رسـول اللـه لـم يكـن مقيـداً بموضـوع معـين، وإنمـا كان شـاملا لكافـة المجـالات، والموضـوع الأخـير يبـين مكانـة عمـر في الإسـلام، وصـدق فيـه قـول الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم: (لقـد كان فيمـا قبلكـم مـن الأمـم نـاس محدثـون [ملهمـون] فـإن يـك في أمتـي أحـد فإنـه عمـر) ([3]).

(2) الحوار في عهد الخلفاء الراشدين:

الفـترة التـي أعقبـت وفـاة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم شـهدت أحداثـاً كثـيرة اسـتوجبت اجتهـاداً مـن الصحابـة رضـوان اللـه عليهـم لمواجهتهـا، وقـد شـهد هـذا

(1)) أخرجه البخاري في صحيحه (3 / 1162) ح (3011) من حديث سهل بن حنيف

(2)) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (1 / 51)

(3)) رواه البخارى في صحيحه (3689) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

العصر مشاورات كثيرة، وحوارات بين الصحابة حول الخلافة، والتعامل مع المرتدين، وجمع المصحف، وأثر الفتوحات الكبيرة التي تمت على حياة المسلمين، وغير ذلك من مجالات الحوار التي سترد في ثنايا هذا البحث، وسأذكر طرفاً منها في هذا الفصل:

ـ في عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه : عن الزبير بن المنذر بن أبي أسيد الساعدي : (أن أبا بكر بعث إلى سعد بن عبادة أن أقبل فبايع الناس وبايع قومك، فقال : لا والله لا أبايع حتى أراميكم بما في كنانتي وأقاتلكم بمن تبعني من قومي وعشيرتي، فلما جاء الخبر إلى أبي بكر قال بشير بن سعد : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنه قد أبى ولج ـ أي تمادى في الخصومة ـ وليس بمبايعكم أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل معه ولده وعشيرته، ولن يقتلوا حتى تقتل الخزرج، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تحركوه، فقد استقام لكم الأمر، فإنه ليس بضاركم إنما هو رجل وحده ما تُرِكَ، فَقَبِل أبو بكر نصيحة بشير، فترك سعداً ، فلما ولي عمر لقيه ذات يوم في طريق المدينة فقال : إيه يا سعد فقال [سعد] إيه يا عمر ، فقال عمر : أنت صاحب ما أنت صاحبه ، فقال سعد : نعم أنا ذلك ، وقد أفضى إليك هذا الأمر كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد أصبحت والله كارهاً لجوارك ، فقال عمر : إنه من كره جوار جار تحول عنه، فقال سعد : أما أنى غير [مستنسئ] بذلك وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك [قال] فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج مهاجراً إلى الشام في أول خلافة عمر فمات بحوران)[1] فهنا نجد أن خليفة رسول الله لم يتشدد مع سعد مراعاة لمكانته فهو زعيم الأنصار، وهو صاحب شوكة، لو عومل بالشدة فقد يؤدى إلى ضرر أكبر وربما تندلع الفتنة ،كما أشار لذلك ابنه ، ورفض سعد أن يبايع أبا بكر وبعده عمر إلى أن مات، فلم يتهم بالخروج على الجماعة، ولم يحكم عليه بالكفر، مما يوضح أن الخلافة مصلحة شرعية وليست ركناً دينياً، ويتضح أيضاً مقدار التسامح في عهد الخلفاء الراشدين .

---

(1)) محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1410هـ -1990م)، (3 / 663).

ـ في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حدثنا ابن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد بن يسار قال: (بلغ عمر أن رجلاً بالشام يزعم أنه مؤمن، قال: فكتب عمر: أجلبوخ عليَّ فقدم على عمر فقال: أنت الذي تزعم أنك مؤمن؟ قال: هل كان الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا على ثلاثة منازل مؤمن، وكافر، ومنافق، والله ما أنا بكافر، ولا منافق. فقال عمر ابسط يدك، قال ابن إدريس: رضي بما قال؟ قال: رضي بما قال) [1] فابن الخطاب يريد أن يطمئن إلى أن الرجل ليس متصيداً للشبهات لإحداث بلبلة وسط العامة، ولم يكتف بالتقارير، وإنما حرص على أن يسمع من الرجل مباشرة، فلما حاوره علم سلامة مقصده، فأعجب بوعيه وحسن رده، وما فعله عمر ليس حجراً على حرية التفكير، كما يوهم سياق القصة، وإنما حماية للمجتمع من الشبهات التي إذا تحكمت على عقل الإنسان قادته إلى التطرف، خاصة وأن الرجل يقول كلامه هذا في مجتمع المؤمنين وليس في غيره، فأول شبهة الخوارج بدأت بقولهم لا حكم إلا الله!

ـ عن الشعبي أن عمر بن الخطاب قال: (إني لأبغض فلاناً فقيل للرجل: ما شأن عمر يبغضك؟ فلما كثر القوم في الدار جاء ، فقال : يا عمر ، أفتقت في الإسلام فتقاً ؟ قال لا ، قال : فجنيت جناية ؟ قال : لا، قال : أحدثت حدثاً ؟ قال : لا ، قال : فعلام تبغضني ، وقال الله : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾[الأحزاب:58] فقد آذيتني فلا غفرها الله لك، فقال عمر : صدق والله ما فتق فتقاً ولا ولا فاغفرها لي ، فلم يزل به حتى غفر له)[2] في مجتمع الإسلام لا حصانة لأحد، فخليفة المسلمين يحاسب إذا أخطأ، ويعتذر إذا تجاوز؛ لأن الإسلام دين المساواة وقد نهى عن الإيذاء والضرر .

ـ عن أبي يزيد ، قال : (لقي عمر بن الخطاب امرأة ، يقال لها خولة، وهي

---

(1) أبوبكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، (ت235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، لبنان – دار التاج – الرياض – مكتبة الرشد –المدينة المنورة – مكتبة العلوم والحكم: الطبعة الأولى (1409هـ -1989م) (6 / 169).

(2) عبد الرحمن بن أبوبكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت – دار الفكر: طبعة (1432-1433هـ-2011م) (8/ 70).

تسير مع الناس فاستوقفته ، فوقف لها ودنا منها ، وأصغى إليها رأسه ، ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز ؟ قال : ويحك وتدري من هذه ؟ قال : لا, قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها)[1] إن موقف عمر هذا نستخلص منه ثلاثة أشياء : أولها : أن النساء في صدر الإسلام كن يمارسن حياتهن الطبيعية دون حجر، وأنهن يخرجن لحاجاتهن دون تضييق، وأنهن معروفات لدى الجميع؛ مما يؤكد أن التضييق على المرأة ليس من هدي الإسلام؛ بل هو من مخلفات الجاهلية . وثانيها: أن الحوار بين الجمهور والحكام كان أمراً مألوفاً دون قيود، بدليل أنها استوقفته في الطريق فلم يستنكر ذلك. وثالثها: أن الحكم في الإسلام يفرض على الحاكم مسئوليات كثيرة، ولا يحول منصبه بينه وبين الناس؛ بل من واجبه أن يستمع لشكاوى الجميع ويعالجها.

في عهد عثمان رضى الله عنه : في أواخر سني عثمان رضي الله عنه كثر النقد لسياسته، وأكثر الناس بالمقالة عليه ، ونالوا منه ، فكلم الناس علي بن أبي طالب أن يدخل على عثمان ، فاستجاب لطلبهم ودخل عليه فأخبره أن الناس كلموه بشأنه، وأنه جاء بناء على طلبهم، ودار بينهما حوار في غاية الصراحة، أنقله بتصرف لطوله ، قال علي : (والله ما أدري ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم ، ما سبقناك إلى شئ فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشئ فنبلغكه ، وما خصصنا بأمور خفي عنك إدراكها ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشئ من الخير منك .. إلى أن قال: فالله في نفسك، فإنك والله ما تُبَصَّرُ عن عَمَى، ولا تُعَلَّم عن جهل، وإن الطريق لواضح بَيِّنٌ، وإن أعلام الدين لقائمة. وختم بقوله: وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته، فإن عذابه أليم شديد، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال

(1)) السابق.

يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها عليها، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرحون فيها مرحاً. فقال عثمان: قد والله علمت لتقولن الذي قلت، أما والله لوكنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتك، ولا عبت عليك، ولا جئتك منكراً، إني وصلت رحماً، وسددت خلة، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يولي، أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم! قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم! قال: فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ فقال علي: سأخبرك أن عمر كان كلما وَلَّى أميراً فإنما يطأ على صماخيه [1]، وأنه إن بلغه حرف جاء به ثم بلغ به أقصى الغاية في العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعفت ورفقت على أقربائك. فقال عثمان: تعلم أن عمر وَلَّى معاوية خلافته كلها فقد وليته، فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من [يرفأ] غلام عمر منه؟ قال: نعم! قال علي: فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس: هذا أمرعثمان، فيبلغك فلا تنكر ولا تغير على معاوية) [2].

هذا المشهد يوضح حجم الحرية السائدة في مجتمع الخلافة الراشدة ، فالمناصحة بين الحاكم والمحكومين من مقومات الحكم الراشد ، فعلي بن أبي طالب نقل إلى عثمان مآخذ الناس على حكمه دون مواربة ولا تمييع، والخليفة دافع عن نفسه بأنه يتبع نهج من سبقه، ويبين له عليٌّ أوجه الإختلاف بينه وبين عمر ، وهكذا يجري الحوار بين الرجلين العظيمين دون أن تكدره أمراض السلطة، وأدواء الحسد، فقد نزع الغل من صدورهم، ولا أتصور أن النظم الديمقراطية الحديثة تتجاوز كثيراً هذا الحوار في مناقشاتها ، اللهم إلا في إقامة النظم والآليات التي تنظم ممارسة النقد والمحاسبة، وهي ثمرة للتطور الإجتماعي الذي لم تتوصل إليه البشرية إلا بعد قرون من الممارسة، ولو استمر الحال كما كان في عهد الخلفاء الراشدين لوصلنا إلى نظام أشبه بما توصلت إليه النظم الحديثة بشأن ممارسة الحكم من حيث الإختيار والمحاسبة والتداول السلمى للسلطة.

(1)) أذنيه

(2)) البداية والنهاية لابن كثير (4/ 175 – 176) سابق.

ـ في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه : شهد عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحداثاً كثيرة، فتحت أبواباً للجدل والحوار، إمتلأت بها كتب المؤرخين، منها: الظروف التي تمخضت عن مقتل عثمان، وانقسام الصحابة إلى فريقين؛ فريق مع علي وفريق مع عائشة أم المؤمنين، وبلغ الصراع قمته في معركة الجمل، التي انتصر فيها علي ، كذلك الصراع بينه وبين معاوية رضي الله عنه، ثم صراعه مع الخوارج، الذي أخذ بُعْداً أيديولوجياً يستند إلى تأويل لبعض النصوص ، وشهد هذا العصر حوارات عدة شارك "علي" في بعضها وكان أشهرها حوار ابن عباس مع الخوارج، الذي تضمن هذا البحث طرفا منه، وأذكر هنا حوارا بين علي وابنه الحسن، فقد بلغ علياً أن طلحة والزبير وعائشة توجهوا إلى البصرة، وأن أهل البصرة بايعوا طلحة، فخطب في الناس حاثاً لهم على التوجه معه إلى البصرة ليمنعهم من دخولها إن أمكن، أو يطردهم عنها إن كانوا قد دخلوها، فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم ، وخرج علي في نحو تسعمائة مقاتل من المدينة فجاءه ابنه الحسن وقال له : (لقد نهيتك فعصيتني، تُقْتَل غداً بمضيعة لا ناصر لك ؛ فقال له علي : إنك لا تزال تحن عليَّ حنين الجارية ، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك ؟ فقال: ألم آمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم آمرك ألا تبايع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله؟ فقال له علي: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتي قبل مجئ بيعة الأمصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ماذهبوا إليه. فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها، ويقال ليست هاهنا، حتى يشق عرقوبها، فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمني في هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بني) [1].

فمما تقدم يتبين أن الحوار كان أسلوباً شائعاً بين كافة قطاعات المجتمع دون حجر أو تقييد، فالحسن يخاطب أباه بهذا الأسلوب الذي لا يستطيع أبناء

(1) البداية والنهاية لابن كثير (4/ 245) السابق.

زماننـــا أن يقولـــوه لآبائهـــم، ممـــا يؤكـــد أن منهـــج التربيـــة كان يختلـــف عـــن ماهـــو عليـــه الحـــال في زماننـــا، فالأبنـــاء هنـــاك تربـــوا عـــلى المشـــاركة والإفصـــاح عـــن مـــا يعتقـــدون دون رهبـــة، وأبنـــاء زماننـــا تربـــوا في ظـــل أوضـــاع يفـــرض فيها الأب ســـلطته عـــلى الجميـــع، وتنفـــذ قراراتـــه دون مناقشـــة، فمثـــل هـــذه البيئـــة تقتـــل الإبـــداع عنـــد الإنســـان، وتفـــرز مجتمعـــاً مستنســـخاً لا يتوقـــع منـــه تغيـــير الواقـــع!

المبحث الثاني

مكونات العقل المسلم

المبادئ الإسلامية التي يتشبع بها المسلم وتكون عقليته وتعزز ثقافته تهيؤه للتعامل مع الناس باحترام، ومن ثم يستطيع أن يتفهم الإختلاف ويتعامل معه كواقع إجتماعي وجبلة إنسانية، وضرورة حياتية، لن يتعامل مع الناس بحكمة؛ والدين الإسلامي يقوم على مبادئ وقواعد وسنن إضافة للعقائد والعبادت والأحكام ، فبمعرفة كل ذلك يدرك الإنسان طبيعة هذا الدين، ومنهج تعامله مع المخالفين، والنقاط التالية إذا فهمت فهماً صحيحاً، فإنها ستشكل العقلية الإسلامية التي تستطيع بالحوار أن تتعاطى مع المخالفين فكرياً ومذهبياً وحضارياً :

1. حقيقة الإسلام:

الإسلام ليس ديناً خاصاً بقوم دون غيرهم، وليس ديناً محصوراً بمكان أو زمان، وإنما هو الدين الخاتم الذي جاء لكافة الناس عبر الزمان وعبر المكان، قال تعالى:﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾[الفرقان:1] وأمة الإسلام اختصت بالرسالة الخالدة، وبالكتاب المعجز، وبالرسول الخاتم، وهي خير أمة أخرجت للناس بنص القرآن. هذه الخصائص تفرض عليها إدراك العوامل التي كُرِّمَتْ لأجلها، لتعلم أنها بالمحافظة عليها تحافظ على التكريم، وبالتفريط فيها تفقد هذه الميزة، كذلك فإن على الأمة أن تحقق النموذج الحي لمجتمع الإسلام الذي تسوده القيم والمبادئ التي جاءت بها الرسالة الخاتمة، ومطلوب منها من ناحية أخرى أن توصل هذه الرسالة بالوسائل الملائمة لكل شعب من الشعوب، ولكل عصر من العصور. وقد جاء الإسلام بمبادئ وأحكام تخاطب البعد الإنساني الممتد عبر الزمان وعبر المكان ، والقيم الإسلامية استصحبت أصول الرسالات السابقة ، والنافع من العطاء الإنساني ، وصاغت كل ذلك في كلمات تتميز بثبات النص وحركة المحتوى ، وهنا يكمن سر الإعجاز الإلهي في القرآن الكريم فقد جاء بمبادئ وتعاليم فهمها البدوي في صحراء الجزيرة العربية، وفهمها الحضري

في عصر العولمة دون تناقض قال تعالى : ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**﴾[الإسراء:105-106] وهنالك أحكام جاء بها كل الرسل وأكدها الإسلام وهي ما أطلق عليها البعض الأخلاق الإجتماعية، وقد وردت إجمالاً في هذه الآيات من سورة الأنعام : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[الأنعام:151-153] ووردت هذه المعاني أكثر تفصيلاً في سور الإسراء وآخر سورة الفرقان، وسورة لقمان، وسورة فصلت، كما وردت قيم ومبادئ متفرقة على طول سور القرآن الكريم .

إن الدراسة المتعمقة لنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تبين الحقائق الآتية:

أولاً: القرآن هو معجزة الرسول الخاتم، بخلاف معجزات الرسل السابقين، التي كانت خوارق مادية، وقتية محصورة في زمانها؛ وإعجاز القرآن شمل النص وبلاغته، والأحكام وصلاحيتها، والمعارف التي أكدتها التجارب اللاحقة، والتنبؤات التي صدقها الواقع، والمفاهيم والمبادئ التي تؤطر لعلاقات إنسانية تتجاوز الحدود العقدية والحواجز الإثنية وعقبات العصبية. عن الحارث الأعور قال: (مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على [علي] فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم ، قال : أما أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنها ستكون فتنة) قلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : (كتاب الله ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس

بالهـزل ، مـن تركـه مـن جبـار قصمـه اللـه ، ومـن ابتغـى الهـدى في غـيره أضلـه اللـه ، وهـو حبـل اللـه المتـين ، وهـو الذكـر الحكيـم ، وهـو الـصراط المسـتقيم ، هـو الـذي لا تزيـغ بـه الأهـواء ، ولا تلتبـس بـه الألسـنة ، ولا تشـبع منـه العلمـاء، ولا يخلـق عـن كثـرة الـرد ، ولا تنقـضى عجائبـه ، هـو الـذي لـم تنتـه الجـن إذ سـمعته حتـى قالـوا : ﴿ **إِنَّـا سَـمِعْنَا قُرْآنًـا عَجَبًـا * يَهْـدِي إِلَى الرُّشْـدِ فَآمَنَّـا بِـهِ..**﴾ [الجـن:1-2] مـن قـال بـه صـدق ، مـن عمـل بـه أُجـر ، ومـن حكـم بـه عـدل ، ومن دعـا إليـه هـدي إلى الـصراط المسـتقيم) خذهـا إليـك يـا أعـور)[1]. وصدقـت نبـوءة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فالفتنـة أحاطـت بالمسـلمين مـن كل الإتجاهـات ، ولا مخـرج منهـا إلا بالرجـوع لكتـاب اللـه، الـذي أنـزل مـن حكيـم حميـد ، فلـم تسـتطع النظريـات البشريـة أن تحـل مشـاكل الإنسـانية حـلاً جذريـاً؛ لأنهـا صـادرة مـن مخلـوق محـدود المعرفـة ، وأمـا القـرآن فهـو صـادر مـن خالـق الكـون ومبدعـه فهـو أعلـم بمـا يصلحـه ، والبـشر مهمـا بلغـت مداركهـم فإنهـم عاجـزون عـن الإتيـان بمثـل القـرآن ، وقـد طلـب اللـه سـبحانه وتعـالى منهـم أن يأتـوا بسـورة مـن مثلـه فلـم يسـتطيعوا ، والتحـدي قائـم إلى قيـام السـاعة بـأن الجـن والإنـس لـو اجتمعـوا عـلى أن يأتـوا بمثـل هـذا القـرآن لا يأتـون بمثلـه ولـو كان بعضهـم لبعـض ظهـيراً. وأسـاليب القـرآن في الإقنـاع تقـوم عـلى المقارنـة والحجـة والبرهـان ، وهـو كلام اللـه الـذي يؤجـر مـن تـلاه ، ويهتـدي مـن اتبـع تعاليمـه ، وأهلـه هـم أهـل اللـه وخاصتـه قـال تعالـى : ﴿ **ثُـمَّ أَوْرَثْنَـا الْكِتَـابَ الَّذِيـنَ اصْطَفَيْنَـا مِـنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُـمْ ظَالِـمٌ لِّنَفْسِـهِ وَمِنْهُـم مُّقْتَصِـدٌ وَمِنْهُـمْ سَـابِقٌ بِالْخَـيْرَاتِ بِـإِذْنِ اللَّـهِ ذَلِـكَ هُـوَ الْفَضْـلُ الْكَبِـيرُ * جَنَّـاتُ عَـدْنٍ يَدْخُلُونَهَـا يُحَلَّـوْنَ فِيهَـا مِـنْ أَسَـاوِرَ مِـن ذَهَـبٍ وَلُؤْلُـؤًا وَلِبَاسُـهُمْ فِيهَـا حَرِيـرٌ * وَقَالُـوا الْحَمْـدُ لِلَّـهِ الَّـذِي أَذْهَـبَ عَنَّـا الْحَـزَنَ إِنَّ رَبَّنَـا لَغَفُـورٌ شَـكُورٌ * الَّـذِي أَحَلَّنَـا دَارَ الْمُقَامَـةِ مِـن فَضْلِـهِ لَا يَمَسُّـنَا فِيهَـا نَصَـبٌ وَلَا يَمَسُّـنَا فِيهَـا لُغُـوبٌ** ﴾[فاطـر:32-35] والقـرآن الكريـم هـو الكتـاب الوحيـد مـن بـين الكتـب المنزلـة اتفـق عليـه جميـع المؤمنـين بـه وأجمعـوا بأنـه كلام اللـه المنـزل ، ونصـه محفـوظ مـن أي تحريـف ومعارفـه خاليـة مـن التناقـض وصـدق اللـه حيـث قـال : ﴿ **إِنَّـا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْـرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُـونَ** ﴾[الحجـر:9] .

(1)) أخرجه الدارمي في السنن (2 / 435). والبغوي في شرح السنة (4 / 438). والقرطبي في تفسيره (1 / 5)

ثانيـاً : رسـالة الإسـلام الخاتمـة ليسـت حجـراً عـلى قـوم دون غيرهـم، وليسـت محصـورة في زمـان بعينـه، أو مـكان مخصـوص ، بـل جـاءت لـكل النـاس في كل العصـور إلى أن يـرث اللـه الأرض ومـن عليهـا ، ولذلـك فهـي تخاطـب شـعوباً مختلفة ، وبيئـات مختلفـة ، وقضايـا مختلفـة ، ومـن هنـا تأتـى عالميـة الإسـلام ، وتاريخيـا حقـق الإسـلام إعجـازا كبـيرا ظهـر في قدرتـه عـلى إحـداث التحـولات الكبـيرة في عالـم البـشر، فتعاليمـه هـي التـي غـيرت الطبيعـة البدويـة للعـرب، الذيـن كان مـن طبعهـم العصبيـة القبليـة وجلافـة الأسلـوب ، والإفتخـار بالأنسـاب ، والتعـالي عـلى الآخريـن بصـورة عـبر عنهـا أبلـغ تعبـير عمـرو بـن كلثـوم في معلقتـه التـي جـاء فيهـا :

أَلَا لَا يَجْهَلَـنْ أَحَـدلٌ عَلَيْنَـا فَنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الْجَاهِلِينَـا
وَنَعْـدُو حَيْـثُ لَا يُعْـدَى عَلَيْنَـا وَنَـضْرِبُ بِالْمَـوَاسِي مَـنْ يَلِينَـا[1]

هـذه النزعـة غيّرهـا الإسـلام وأحـلّ محلهـا مفاهيـم ومعانـي جديـدة عـبّر عنهـا الشريـف الـرضي بقولـه:

مَلَكْـتُ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا اسْـتَرَقَّهَا[2] مِنَ الدَّهْـرِ مَفْتُـولُ الذِّرَاعَـيْنِ أَغْلَبُ[3]
فَـإِنْ تَـكُ سِـنِّي مَـا تَطَـوَلَ بَاعُهَـا فَـلِي مِـنْ وَرَاءِ الْمَجْـدِ قَلْـبٌ مُـدَرّبُ
فَحَسْـبِي أَنِّـي فِي الْأَعَـادِي مُبَغَّـضٌ وَأَنِّـي إِلَى غُـرِّ الْمَعَـالِي مُحَبَّـبُ
وَلِلْحِلْـمِ أَوْقَـاتٌ وَلِلْجَهْـلِ مِثْلُهَـا وَلَكِـنَّ أَيَّامِـي إِلَى الْحِلْـمِ أَقْـرَبُ
يَصُـولُ عَـلَيَّ الْجَاهِلُـونَ وأَعتَـلِي وَيُعْجِـمُ فِيَّ الْقَائِلُـونَ وَأُعْـرِبُ[4]

لقـد غـيرت تعاليـم الإسـلام العـرب، وحولتهـم مـن شـعب بـدوي إلى أمـة تحمـل الحضـارة للإنسـانية في عـصر الإسـلام الأول. والإسـلام في نهجـه الجديـد لـم يسـقط كل القيـم التـي كانـت سـائدة في المجتمع، وإنمـا اسـتصحب النـافع منهـا قال صلى اللـه عليـه وسـلم : (إنمـا بعثـت لأتمـم مـكارم الأخـلاق)[5] ممـا يؤكـد أن للآخـر

(1) السـيد أحمـد الهاشـمي، جواهـر الأدب في أدبيـات وإنشـاء لغـة العرب-بـيروت – دار ابـن حزم-طبعـة (1439هـ -2018م). ص: (306).

(2) استرقها: ملكها

(3) الأغلب: الأسد

(4) محمـد بـن الحسـين بـن مـوسى أبوالحسـين الـرضي العلـوي الحسـيني الموسـوي، ديـوان الشريـف الـرضي، شرح د. يوسـف شـكرى فرحـات: بـيروت-دار الجيـل الطبعـة الأولى (1995م) ص(107).

(5) البداية والنهاية لابن كثير (4/38) سابق.

قيماً يجوز استصحابها ، فالعرب بالرغم من صفات الجاهلية السابقة التي عُرفوا بها، إلا أنهم كانوا أهل كرم ونجدة وإباء ، هذه الأخلاق احتفي بها الإسلام وحث عليها ، كما أن فهم التعاليم والمبادئ الإسلامية ليس وقفاً على عصر بعينه ، بل إن رسول الإسلام أمر بالإجتهاد وأقره ، وسيرته العطرة أوضحت أنه كان يخاطب كل إنسان بالأسلوب الذي يفهمه مراعياً اختلاف البيئات والعادات والتقاليد . وجذوة الإسلام لم تنطفئ، فعلى طول تاريخ الدعوة حدثت ثورات غيرت مجريات الأمور، وكان المحرك الأساسي لها العامل الديني، فابن تيمية كان مجتهداً ومجاهداً، وصلاح الدين الأيوبي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعمر المختار، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والإمام المهدي في السودان؛ وغيرهم من الرواد الذين نصروا الإسلام وجددوا وسائله لتلائم العصور والبيئات التي عاشوا فيها. واليوم فإننا نشهد صحوة دينية إسلامية في كل أرجاء المعمورة، بالرغم من ضعف المسلمين في كثير من عوامل التفوق المادي والتقني والتكنولوجي، وهي عناصرالتفوق في العصر الحديث، مما يؤكد أن هذا الدين محفوظ ومنصور، وسوف ينتصر مرة أخرى بإذن الله. قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[الأنبياء:105].

ثالثاً : الإسلام مَيَّز بين تعاليمه المعجزة كأحكام مقدسة، وبين تطبيق البشر لها كاجتهاد إنساني ، فالقرآن نصه معجز وأحكامه صادرة من عزيزحكيم : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة:50] والسنة الصحيحة جاءت تُبَيِّنُ مجمله، وتخصص عامه، وتقيد مطلقه، وتميز بين محكمه ومتشابهه؛ فالتعاليم والأحكام المنزلة تمثل إعجازاً مقارنة بالتشريع الوضعي، لسبب بسيط فحواه؛ أن من أنزل الكتاب وأرسل الرسل، هو الذي خلق الإنسان من عدم ، فالخالق يعرف مَنْ خلق ويعلم مصلحته، أما التطبيق البشري لتلك الأحكام، فلا يأخذ صفة القدسية، ولا خاصية الإعجاز، فالإنسان تعتريه عوامل القصور البشري، مثل: نقص الإدراك، وضعف النفس، وتحكم الهوى؛ فيأتي تطبيقه ناقصاً ، فلا بد من التمييز بين التعاليم المعجزة، وبين التطبيق البشري لتلك التعاليم، فبقدر معرفة الإنسان

لسنن الحياة، ونواميس الطبيعة، ودقة تطبيقها، والتزامه بالتعاليم الإسلامية؛ يكون عطاؤه رائعاً. وبقدر إخفاقه، تكون النتيجة سلبية. قال تعالى:﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ.** ﴾[آل عمران:110] فإذا انتفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضعف الإيمان انتفت الخيرية. وهنالك سنن تاريخية تحكم مجتمع المسلمين وهي لا تتخلف أبداً قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾[محمد:7] ومفهوم المخالفة : أنكم إن لم تنصروا الله لن يتحقق لكم النصر وستزل أقدامكم ، وهذا مشاهد في عصرنا الحاضر، وهكذا فكل إنجاز مرتبط بتوفر شروطه، فإن تخلفت الشروط كانت النتيجة سلبية، فمن أسباب ضعف الأمة الإسلامية تخليها عن عوامل الإستخلاف وموجباته، قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ** ﴾[النحل:112] هذه الآية خير دليل على أن تراجع الأمة ناتج عن أعمالها، فالعدو الخارجي لا يفرض هيمنته ما لم يجد مدخلاً، وما أكثر المداخل التي تؤتى الأمة من قبلها؛ فالصراعات الداخلية أحد المداخل، وغياب العدل مدخل، وعدم إشباع الحاجات الضرورية مدخل، والتطرف مدخل، والإستبداد السياسي مدخل .. فما لم تغير الأمة ما بنفسها فلن يغير الله حالها.

رابعاً: الإسلام جاء بمفاهيم يقبلها العقل السليم، منها: وضوح العقيدة، وتماسك المفاهيم التى لا تتناقض مع العقل السليم، والتدرج، والتيسير، والتبشير، وعدم الإكراه، وعدم الإساءة إلى معتقدات الآخرين، والحكمة، والموعظة الحسنة، واللين، والرفق بالناس، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الناس وأنزل لهم الدين الذي ينظم حياتهم، وحدد الأسلوب الذي يُدْعَوْنَ به، فلا يجوز لأي كائن من كان، أن يغير ما أمر الله به.

لقد بين الله في كتابه أن الإساءة لعقائد الآخرين تدفعهم للإساءة لديننا، فنهي عن ذلك. قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ**

فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:108] والمؤسف حقاً أن الإسلام اختطف أخيراً من خوارج العصر، فقدموه بأساليب قوامها: التطرف في الأفكار، والعنف في الأفعال ، والإساءة في الأقوال، والجهالة في الأحوال ، وقِصَرِ النظر في التصرفات ، فَجَرُّوا على أمتنا وبالاً ودماراً وسخرية من الآخرين ، وعندما تقع كارثة من الكوارث، يُلْقُونَ بِاللَّوم على المؤامرات الدولية ! والمخططات الصهيونية! والأجندة الأمريكية! مُغْفِلِينَ العوامل الداخلية، التي هي السبب الأول لما يحدث لنا، وبهذه الغفلة أوالإستغفال يظل العامل الداخلي يُنْتِجُ الأزمات تلو الأزمات، دون أن يلتفتوا إليه، ويصوبون أعينهم نحو العدو الخارجي، الذي حُدِّدَ سلفاً وهو في هذه الحالة الغرب ـ أوروبا وأمريكا ـ فيعلنون الحرب على الدول وشعوبها دون استثناء، حتى المستأمنين الذين يدخلون بلداننا بتأشيرة دخول رسمية يكونون هدفاً للقتل الذي يسمونه جهاداً! استغلالا لهذا الشعار من أناس لا تتوفر فيهم أهلية من يعلن الحرب، كما أن شروط الجهاد لا تنطبق على الممارسات التي يقومون بها، فحرب هؤلاء حرب معولمة؛ تطال الجاني المتوهم، ومن ينتمي لدولته، أو شعبه، في تعميم لا يتماشى مع المفهوم الإسلامي للجريمة؛ حيث يحصرها في مرتكبها - إن ثبت أنه الفاعل- وفي من حرّضه، ومن تواطأ معه، وتقتصر العقوبة على الجاني وحده، سواء أكان مباشراً ، أو محرضاً، أو متواطئاً؛ ولا تشمل أسرته ولا عشيرته، اللهم إلا في دية القتل الخطأ قال تعالى : ﴿ **مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [الإسراء:15] وعندما أساءت بعض الصحف الغربية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثار المسلمون وعبّروا عن غضبهم التلقائي المفهوم - الذي يعتبرالحسنة الوحيدة الباقية من مظاهرالوحدة الإسلامية- أي وحدة المشاعر ـ لكن الأجدى ـ بعد أن خفت الحدة ـ أن يأخذ علماء الأمة زمام المبادرة، ويوصلوا دعوة الإسلام بأسلوب هدفه هداية الآخرين لا هلاكهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور لا إغراقهم فيها، وإنقاذهم من حبائل الضلال لا تدميرهم، وتصحيح صورة الرسول صلى الله عليه وسلم التي شوهها المستشرقون، وافتروا عليها ونقلوها للغرب كما يريدون هم، وليس على حقيقتها التي أكدتها الوقائع التاريخية المثبتة، إن مخاطبة الشعوب الغربية وتوضيح حقائق الإسلام لهم،

وتبيين صفات رسول اللهصلى الله عليه وسلم لهم، واجب شرعي، وضرورة عصرية، لاستئصال الفهم المغلوط من أذهانهم؛ ليعلم الرأي العام في الغرب حقيقة هذا النبي الخاتم، الذي جاء بالرحمة لا بالعذاب، وللسلم لا للحرب، ولتعمير الدنيا في سبيل الله لا لتخريبها ودمارها، قال صلى الله عليه وسلم : (أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة)[1] بهذه الرحمة استمال قلوب الناس للإسلام، وألف بينهم قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران:159] وعالم اليوم ضاق حتى صار كالقرية الواحدة، وصاحَب ذلك متغيرات كثيرة، جعلت العالم متداخلاً في كثير من علاقاته، والمسلمون الذين يعيشون في بلدان غير مسلمة يزداد عددهم بشكل مطرد ، كما يقيم عدد من أصحاب الديانات الأخرى في دول إسلامية كمواطنين، لهم كل الحقوق وعليهم كافة الواجبات ، وثورة الإتصالات كمَّشَت الزمان، وثورة المواصلات قربت المكان، هذه المتغيرات أوجدت واقعاجديدا، تشابكت فيه المصالح . مما يجعل الحوار ضرورة عصرية، لفض الإشتباك الذي يحدث بسبب التعدد الديني، والتنوع الثقافي، في مجتمع مصالحه متشابكة.

إننا بالوقوف على مسيرة الدعوة، نجد أن الحوار كان هو الأصل، وما عداه كان الإستثناء، فالرسول صلى الله عليه وسلم بدأ دعوته بحوار مع أهل مكة عندما أمره ربه بإنذار عشيرته الأقربين، واستمرالحوار طيلة الفترة المكية ، وفي المدينة حيث كان اليهود - وهم أهل جدل - استمر الحوار وتشعبت دروبه، وامتد من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مروراً بعهد خلفائه الراشدين، ولما انتقلت عاصمة المسلمين للشام أولاً والعراق ثانياً، احتك المسلمون بقوميات كثيرة: فارسية، وتركية، وكردية، وهندية، وغيرها ، واطلعوا على الأفكار اليونانية، والنحل الفارسية، والعقائد الشرقية : الهندية والصينية ، ومن الطبيعي أن يكون الذين دخلوا الإسلام من هذه القوميات، قد حملوا معهم أفكارهم، فانتشر الجدل والمنطق، واستعمل عدد من العلماء

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (504/11) والبغوى في شرح السنة (213/13) والسيوطى في الجوامع (9631) والبيهقى في دلائل النبوة المصدر: موسوعة أصول الفكر إعداد خديجة النبراوى المجلد الثانى ص (697) سابق.

أدوات الفلسفة والمنطق للدفاع عن العقيدة الإسلامية، والرد على الشبهات التي تثار من وقت لآخر ، هذا الواقع من شأنه أن يجعل الحوار هو السائد في تلك الفترة . رُوَي «أن بعض الدهرية سأل الإمام الشافعى رضى الله عنه-ما الدليل على الصانع؟ فقال ورقة الفِرْصَادِ أي التوت، طعمها واحد، ولونها واحد، وريحها واحد، وطبعها واحد عندكم؟ قالوا نعم. قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبرسيم، وتأكلها النحل فيخرج منها العسل، وتأكلها الشاة فيخرج منها البعر، وتأكلها الظبية فينعقد في نوافحها المسك، فمن الذي جعلها كذلك مع أن الطبع واحد؟ فاستحسنوا ذلك وآمنوا على يده، وكانوا سبعة عشر» [1] فوسائل الإدراك إن كانت عاجزة عن إدرك كنه كثير من حقائق الأشياء واكتفت بمظاهرها وهي مخلوقة، فهي أعجز عن الإحاطة بالخالق! ولذلك أمرنا أن نتفكر في مخلوقاته لا في ذاته. قال صلى الله عليه وسلم: (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ) [2].

نحن اليوم أحوج من أي وقت مضى إلى أسلوب الحوار في التعامل مع الآخرين، فالظروف التي استجدت في حياتنا، جعلت التداخل في علاقات الشعوب في العصر الحاضر من ضرورات العصر، والمصالح المشتركة لاسقف لها، وقبل هذا وذاك فإن ديننا يأمرنا بذلك.

2. مشروعية الحوار في الإسلام:

إن خلود الدين الإسلامي، وصلاحيته لكل العصور والأمكنة، وقدرته على التعاطي مع المستجدات؛ حقائق تؤكدها مبادؤه وتعاليمه ويصدقها الواقع، وهي مبادئ تؤصل للحوار؛ لأنها تربي المسلم على ثبات العقيدة، وحركة الحياة، ونسبية العلم البشري، والمبادئ الإسلامية إذا تأملناها جيداً، نجدها تهدف إلى تأكيد أن الإسلام هو الدين الخاتم الذي استصحب أصول الرسالات

(1) أبوالعباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي المالكي، الفروق-أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: محمد أحمد سراج وعلي جمعة، القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية (2007م) الجزء الثالث ص(41).

(2) أخرجه البزار (9423) والعقيلي في الضعفاء(94/1) وابن عبدالبر في التمهيد (59/1)، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (599).

السابقة، وطلب من المسلمين الإيمان بها، وبالرسل الذين جاءوا بها، وبالكتب المنزلة من قبل، كذلك هو يخاطب كل الناس دون استثناء ولا يفضل أحداً على أحد إلا بعطائه وتقواه. قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[الحجر:13] والتعاليم الإسلامية لا ترفض العطاء الإنساني النافع، بل تستصحبه وتقره وتشيد به،عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وفي رواية « صالح الأخلاق» [1]

فالمبادئ الإسلامية تقوم على الفطرة السليمة ولذلك تستصحب معها كل عطاء إنساني مفيد؛ ومن هنا يكون الحوار أمراً مطلوباً ومفيداً، فكل المتحاورين لو تأملوا هذه القيم لوجدوا فيها ما يلبي حاجاتهم، وما ذلك إلا لأنها ربانية المصدر، ولأنها تتضمن بعداً إنسانياً كما سنوضح في الآتي:

أولاً : العقيدة الإسلامية واضحة ، ومبسطة ، ومقنعة ؛ فخالق الكون إله واحد قادر حكيم ، خلق فسوى وقدّر فهدى ، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو يقول لمن أشرك به أن يطلب من هذا الشريك المزعوم أن يأتي بمثل ما خلق ، بل يبين له في تحد أن هذا المعبود الباطل من صفاته الضعف، فهو عاجز عن استنقاذ ما يسلبه منه أضعف المخلوقات قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾[الحج:73-74].

إن العقيدة الإسلامية تقوم على الإقتناع واليقين والثبات؛ لأنها تستند إلى برهان وحجة ، وعطاء الله سبحانه وتعالى مطلق لا حدود له ولا نفاد، قال رب العزة في الحديث القدسي الجليل : {عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قالَ: يا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي

(1) أخرجه البزار(8949)، وأحمد (8952)، والبيهقي في شعب الإيمان (7979) واللفظ لهما، والحاكم (4221) باختلاف يسير.

أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي، لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ فِي مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إِلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبَادِي، إِنَّما هِي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ }}[1] فقدرة الله سبحانة وتعالى غير متناهية، ولا تخضع للمقاييس الزمانية ولا المكانية، ولا يحول بينها وبين التنفيذ حائل، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول للشيئ كن فيكون. قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[لقمان:27-28].

إن عقيدة الإسلام لا تعرف الغموض، كما هو نهج بعض العقائد التي تقول: « أغمض عينيك ثم اتبعني » ولا تعرف التعقيد الذي اتبعته بعض النحل الوضعية، فعقيدة الإسلام سهلة الفهم، وتتماشى مع الفطرة البشرية، فأصل التوحيد الشهادتان، تتضمنه سورة الإخلاص مع معرفة معانيها تكفي، بهذا الوضوح وعدم التعقيد استطاعت العقيدة الإسلامية أن تتغلغل في النفوس، وتحقق للذين آمنوا بها الطمأنينة والتماسك والتوازن النفسي، وتعطيهم عزيمة قوية يواجهون بها الرياح العواصف، وعندما اختلط الإيمان بلحمهم ودمهم ومخهم وعظمهم؛ هانت عليهم الدنيا وقابلوا ابتلاءاتها بصبروجلد، وتوجهوا إلى ربهم متضرعين يقولون : (واجعلنا ممن آثر التقوى والوفاق، والصبرعلى الشدائد والمشاق، رغبة في دوام القرب والتلاقي، وقوّ نورنا ليهون علينا ذلك، واجعل لنا قوة منك على تحمل ما يرضيك)[2].

(1)) رواه مسلم في صحيحه (2577) عن أبي ذر الغفاري، في كتاب البروالصلة والآداب: باب تحريم الظلم-القاهرة-مكتبة الإيمان -ص(1284)

(2)) الراتب: كتاب أدعية مأثورة وتضرع ومناجاة؛ أُلْهِمَهُ الإمام المهدى، فجعله وردا له ولأصحابه، يُقرأ بعد صلاة الفجر

ثانيـاً: الإنسـان هـو المخلـوق المكلـف بأمـر الإسـتخلاف في الأرض، ولذلـك كرمـه اللـه وفضلـه عـلى كثـير مـن خلقـه، وجـاءت تعاليـم الإسـلام محققـة لمصالحـه وملائمـة لفطرتـه، ومتفهمـة لمشـاعره، ومراعيـة لمؤثراتـه وعوامـل ضعفـه، فالخطـأ يغفـر، والحسـنات يُذهبـن السـيئات، والتوبـة النصـوح تجُـبُّ مـا قبلهـا، والإسـتغفار يرفـع العـذاب، ورحمـة اللـه سـبقت غضبـه، والحسـنة بعـشرة أمثالهـا وتزيـد، والسـيئة بمثلهـا وتُغفـر، فالإنسـان هـو المحـور الـذي تـدور حولـه الأحـكام، وفي النهايـة فـإن مقصدهـا الأسـمى تكريمـه في الدنيـا وفلاحـه في الآخـرة. ولا يوجـد مخلـوق وجـد تكريمـاً مـن اللـه سـبحانه وتعـالى كمـا وجـده الإنسـان، فالملائكـة أُمـروا بالسـجود لـه، وكلـف بالإسـتخلاف في الأرض، وَسُـخِّرَ الكـون لخدمتـه، ونـزل التشريـع لمصلحته، والكعبـة المشرفـة مـع عظمتهـا وحرمتهـا ومكانتهـا الروحيـة، وقـف عندهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وقـال لهـا: (مـا أطيبـك وأطيـب ريحـك، مـا أعظمـك وأعظـم حرمتـك، والـذي نفـس محمـد بيـده لحرمـة المؤمـن أعظـم عنـد اللـه حرمـة منـك، مالـه ودمـه وأن يظـن بـه إلا خـيراً) [1].

إن تكريـم الإنسـان مـن ثوابـت الإسـلام، وكفالـة حقوقـه وحرياتـه واجـب مراعاتهـا مـن الدولـة ومـن المجتمـع، والتكريـم في الإسـلام ليس خاصـاً بشـعب أو عـرق أو ملة؛ بـل هـو تكريـم عـام لجنـس الإنسـان دون التفـات إلى لونـه أو جنسـه أو معتقـده، قـال تعـالى : ﴿ **وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِـي آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِي الْـبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَاهُـم مِّـنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُـمْ عَـلَى كَثِيرٍ مِّمَّـنْ خَلَقْنَـا تَفْضِيـلاً** ﴾[الإسراء:70] عن عمـر رضي اللـه عنـه قـال : (جـاء الأقـرع بـن حابـس التميمـي، وعيينـة بـن حصـن الفـزاري، فوجـدوا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قاعـداً مـع بـلال وعمـار وصهيـب وخبـاب بـن الأرت، في نـاس مـن الضعفـاء مـن المؤمنـين، فلمـا رأوهـم حقروهـم ، فأتـوا فَخَلَـوْا بـه، فقالـوا : إنـا نحـب أن تجعـل لنـا منـك مجلسـاً تعـرف لنـا بـه العـرب فضلنـا، فـإن وفـود العـرب تأتيـك فنسـتحي أن ترانـا مـع هـذه الأعبـد، فـإذا نحـن جئنـاك فأقمهـم عنـا، وإذا نحـن فرغنـا فاقعـد معهـم إن شـئت، قـال : (نعـم) قالـوا : فاكتـب لنـا كتابـاً ، فدعـا بالصحيفـة ليكتـب لهـم ودعـا

إلى طلـوع الشـمس، وبعـد صـلاة العـصر إلى مغيـب الشـمس، مـع حـزب مـن القـرآن صباحـا ومسـاء، بحيـث يقـرأ القـرآن كلـه كل شـهر.

(1)) أخرجه ابن ماجة في السنن (3932). والسيوطي في الدر المنثور (7 / 565)

علياً ليكتب، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية إذ نزل عليه جبريل فقال : ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾[الأنعام:[52])[1] . هذا النهج الذي اختطه الإسلام جعل كثيراً من الشعوب المستضعفة والشرائح المظلومة اجتماعياً، تندفع بقوة للدخول فيه لتحقق إنسانيتها، كما أنه أعطى المسلمين القدرة على التواصل مع أهل الملل الأخرى والتعاون معهم في البر والخير، وبالمقارنة نجد اليهودية تميز بني إسرائيل على غيرهم، وتعطيهم حق الإستعلاء على الآخرين؛ بل واستعبادهم وأكل أموالهم ظلماً وعدوانا. (فاليهودية التلمودية قد تحولت إلى « ديانة عنصرية « يقول لها: «عهدها القديم» إن اليهود ـ بحكم الولادة والعرق والدم والجنس. وليس بحكم التدين والصلاح والتقوى ـ هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه! يقول لهم: «عهدهم القديم» هذا إن علاقتهم بالآخرين ـ كل الآخرين ـ ليست فقط الكراهية واللعن والإنكار، بل المطلوب منهم « أن يأكلوا « الشعوب الأخرى أكلاً! فإبادة الآخرين ـ عندهم ـ تكليف إلهي: (. فالآن كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر أقتلوها) [2] (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم)[3].
وقد أكد القرآن هذا النهج اليهودي، قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[آل عمران:75] وهذا ما جعلهم منبوذين في معظم البلدان التي عاشوا فيها، لأنهم لا يستطيعون التَّكَيُّفَ مع غيرهم بسبب إعتقادهم الإستعلائي، وأسلوبهم الإستعدائي، وسخريتهم من الآخرين.

والنصرانية تعتبر الناس أنجاساً بسبب الخطيئة الموروثة التي ارتكبها آدم عليه السلام، ولا يَطْهُرُ منهم من رجس الخطيئة إلا مَنْ آمن بفداء السيد

(1)) أخرجه السيوطي في جامع الأصول (616). والقرطبي في تفسيره (6 / 431)
(2)) سفر العدد: الإصحاح (31).
(3)) سفرالتثنية. الإصحاح: (6:7/ 7: 14/ 7: 16).

المسيح، وكثير من النِّحل الوضعية لديها مفاهيم تمنعها من الإعتراف بقيمة للآخر؛ بل إن عقائد اليهود والنصارى المحرفة تقوم على مفاهيم تطرد الإنسان طرداً من الإعتقاد الديني، مثل : عقيدة شعب الله المختار عند اليهود، وزعم اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه، ومفهوم التثليث، والقول بطبيعة إنسانية الهية للسيد المسيح، والقول بالخطيئة الموروثة في عقيدة المسيحيين، إلى غيرها من المفاهيم التي لا يقبلها العقل السليم .

إن تعاليم الإسلام ترفض هذه المفاهيم التي تنتقص من قدر الإنسان، وتحط من كرامته، فالإنسان في الإسلام مكرم كإنسان، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، والتكريم مكفول له على طول مسيرته، فالحمل يجب أن يكون حملاً شرعياً من زواج صحيح، ولا يجوز إسقاط الجنين من بطن أمه دون سبب شرعي، أو صحي يتعلق بحياة الأم، وبعد الميلاد يسمى إسماً حسناً ويتمتع بحقوق الطفولة : الرضاعة، والعناية، والرعاية، والصحة، والتعليم، والعيش في ظل أسرة تعطيه الحنان، وتحيطه بالمحبة والرعاية، حتى يبلغ رشده، ويتحمل مسئولياته، وكرامته مصانة فلا يهتك عرضه، ولا يقذف، ولا يساء إليه، ولا يؤذى بأي نوع من أنواع الأذى، وحرم الإسلام الغيبة، والنميمة، والسخرية، والتجسس، وإلحاق الضرر بالغير؛ بل حتى الظن السيئ يتجنب الكثير منه، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحجرات:11-12].

في ظل الإسلام وجد الآخر حقوقاً متساوية مع المسلمين، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص -عامله على مصر -كتاباً جاء فيه (واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك، فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه : ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[الفرقان:74] يريد أن يقتدى بهم ، وأن معك أهل ذمة وعهد وقد أوصى رسول

اللــه صــلى الله عليه وســلم بهــم وأوصى بالقبط ، فقــال : (اســتوصوا بالقبط خــيراً فإن لهــم ذمــة ورحمــاً) ورحمهم أن أم إســماعيل منهــم ، وقد قال صــلى الله عليه وســلم : (مــن ظلــم معاهــداً أو كلفه فوق طاقتــه فأنا خصمه يــوم القيامــة)[1] احذر يــا عمرو أن يكــون رســول الله صــلى الله عليه وســلم لــك خصمــاً، فإنه مــن خاصمه خصمــه، والله يــا عمــرو لقــد ابتليت بولايــة هــذه الأمة، وآنســت من نفــسي ضعفــاً، وانتــشرت رعيتي، ورق عظمــي، فاســأل اللــه أن يقبضنــي إليه غــير مفرط، واللــه إني لأخشى لــو مات جمل بأقــصى عملــك ضياعاً، أن أســأل عنــه يوم القيامــة)[2].

كذلك من تكريم الإســلام للإنســان؛ احتفاؤه بالعقــل ودوره؛ بل جعله شرطــاً في التكليف، والمســلم مطالــب أن يُعْمِــلَ عقلــه في فهم النصــوص الإســلامية، وفي التفكــر في الكون وما أودع فيــه مــن قوانين وســنن ، وفي المقارنة بين الحقائق والأشــياء، لفهم سر هــذا الوجود، وتســخير منافعــه، لتحقيق وظيفة الإســتخلاف. قــال تعــالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِــلاَفِ اللَّيْــلِ وَالنَّهَــارِ وَالْفُلْــكِ الَّتِــي تَجْــرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَــعُ النَّاسَ وَمَــا أَنــزَلَ اللّــهُ مِنَ السَّــمَاء مِن مَّــاء فَأَحْيَا بِــهِ الأَرْضَ بَعْــدَ مَوْتِهَا وَبَــثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّــةٍ وَتَصْرِيــفِ الرِّيَاحِ وَالسَّــحَابِ الْمُسَــخَّرِ بَيْنَ السَّــمَاء وَالأَرْضِ لآيَــاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُــونَ** ﴾[البقــرة:164] لقــد تناولــت هــذه الآيــة الكريمــة الكــون بســمائه وأرضه، والآيــات المبثوثــة فيه،لافتــة العقول للتفكــر والتدبر والإعتبــار، فاســتنتاجات العقول هي محــل اعتبــار في الإســلام، وتعطيــل العقول ممقــوت؛ بل اعْتُبِرَ ســبباً في دخــول النار : ﴿ **وَقَالُــوا لَــوْ كُنَّا نَسْــمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَــا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّــعِيرِ** ﴾[الملــك:10] كذلك فإن كتــاب الإســلام المقروء لا يتناقض مــع الكتاب الكوني بــكل فصوله : الفلكيــة، والطبيعية، والأحيائيــة. والإنســان مطالــب أن يقــرأ الكتابــين ليقف عــلى الحقائق، فيؤمــن على يقين، ويكتشــف ســنن الموجــودات وقوانينهــا؛ فيوظفهــا لمصالحه، قــال تعــالى: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَــاتٌ لِّلْمُوقِنِــينَ * وَفِي أَنفُسِــكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّــمَاء رِزْقُكُــمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَــوَرَبِّ السَّــمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّــهُ لَحَقٌّ مِّثْــلَ مَا أَنَّكُــمْ تَنطِقُــونَ** ﴾[الذاريات:20-23] وأكــد البحث الــذي قدّمه موريــس بوكاي بعنــوان « الإنجيــل والقرآن والعلــم، فخرج من نتيجــة دراســته بإظهــار الحقيقــة التي تنطــق بصدق القــرآن، وأنــه من عند اللــه حقا،

(1) أخرجــه أبــوداود في الســنن (3052) وفي روايتــه زيــادة [أوانتقصــه أوكلفــه فــوق طاقتــه، أو أخــذ منــه شــيئا بغيرطيــب نفــس منــه، فأنــا حجيجــه يــوم القيامــة]

(2) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (3 / 299)، سابق.

وأنــه لــم يجــد فيه رائحــة تناقض مــع مقــررات العلــم الحديث؛ إنــه يبرز للــذي يمارس اختبــاره وتحليلــه بموضوعيــة كاملــة في ضــوء العلــم، ذاتيتــه الخاصة به، وهــي الاتفاق التــام مع النظريــات العلميــة الحديثة[1].

لقــد أقــر الإســلام بــكل مصــادر المعرفــة: الوحــي والعقــل والتجربــة والالهــام، ولا تتناقــض تعاليمــه مــع العطــاء الإنســاني المفيــد؛ بــل إن عطــاء الإنســان جزء مــن قدر اللــه:﴿ **إِنَّ اللّــهَ لاَ يُغَــيِّرُ مَــا بِقَــوْمٍ حَتَّــى يُغَــيِّرُواْ مَــا بِأَنْفُسِــهِمْ.** ﴾[الرعــد:11] فالإســلام هــو الديــن الــذي تعــترف تعاليمــة بقيمــة إنســانية للإنســان وإن خالفــه في المعتقــد، ولا شــك أن الديــن الــذي يحــترم الإنســان لإنســانيته أولى بالخلــود.

ثالثــاً: مــن خصائــص التعاليــم الإســلامية المرونــة، والإعتــدال، ومراعــاة البيئــة التــي تطبــق فيهــا. هــذه الخاصيــة جعلــت الإســلام قــادراً عــلى التَّكَيُّــفِ مــع القضايــا المختلفــة مهمــا تعــددت بيئاتهــا وتنوعت، ومهمــا اختلفــت أماكنهــا وأزمانهــا وتباينت، والتجربــة بينــت أن العــرب، والأتــراك، والفــرس، والهنــود، والــروم، والأفارقــة، حققــوا أعظــم عطائهــم في ظــل الإســلام، ولــم يتحــرج المســلمون مــن الإقتبــاس مــن تجــارب غيرهــم؛ لأن دينهــم يرحــب باســتصحاب النافــع مــن عطــاء الإنســانية وإن اختلــف معهــا في المعتقــد، فعندمــا أشــار ســلمان الفــارسي بحفــر الخنــدق حــول المدينــة لصد عــدوان الأحــزاب المتحالفــة، أمــر رســول اللــه بحفــره ولــم يرفضــه عــلى أســاس أنــه تجربــة فارســية، والخليفــة عمــر بــن الخطــاب أمــر بتدويــن الدواويــن، اقتباســاً مــن تجربــة الــروم، فعندمــا كانــت هــذه المفاهيــم هاديــة في المجتمــع الإســلامي، تفتقــت عقــول علمــاء الإســلام، فرفــدوا الإنســانية بــكل فنــون المعرفــة؛ في الطــب، والكيميــاء، والصيدلــة، والفيزيــاء، والفلســفة، والفــن المعمــاري، والعقائــد، والأديــان المقارنــة، والجغرافيــا، والفلــك، والصناعــة، وغيرهــا مــن العلــوم التــي بنــت عليهــا الحضــارات اللاحقــة صرحهــا .

لقــد ظَلَــمَ بَعْــضُ الدعــاة الإســلامَ حيــث علَّبُــوهُ في المــاضي، فجعلــوا اجتهــاد الســابقين ملزمــاً؛ بحجــة أن بــاب الإجتهــاد قــد أغلــق. هــذا النهــج الــذي يحــصر الإســلام في حقبــة تاريخيــة معينــة، ويعطــل دُورَ الخَلَــفِ يتناقــض مــع قولــه تعــالى : ﴿ **تِلْــكَ**

(1) موريــس بــوكاي، التــوراة والإنجيــل والقــرآن والعلــم، ترجمــة الشــيخ حســن خالد-مفتــي الجمهوريــة اللبنانيــة الأســبق-المكتب الإســلامي، الطبعة الثالثــة: (1411هـــ 1990م) ص(293).

أُمَّـةٌ قَـدْ خَلَـتْ لَهَـا مَـا كَسَـبَتْ وَلَكُـم مَّـا كَسَـبْتُمْ وَلاَ تُسْـأَلُونَ عَمَّـا كَانُـوا يَعْمَلُونَ﴾[البقـرة:134] فالإسـلام جـاء لـكل النـاس، وكمـا خاطـب القـرآن السـلف، فهـو يخاطـب الخلـف، إلى أن يـرث اللـه الأرض ومـن عليهـا، ومطلـوب منـا أن نجتهـد كمـا اجتهـدوا، وأن نفهـم أن العطـاء الإلهـي متجـدد، والقـرآن كتـاب أنزلـه اللـه لكل النـاس إلى أن يـرث اللـه الأرض ومـن عليهـا؛ فواجـب كل مكلـف أن يجتهـد ليعـرف حكـم اللـه مـن كتابـه وسـنة نبيـه الصحيحـة، لا مـن كلام البـشر، ومـن البديهـي أن هنالـك ثوابـت ليسـت محـل اختـلاف، وإنمـا الـكلام عـن القضايـا الإجتهاديـة؛ فبالمرونـة، والإعتـدال، والإجتهـاد، تتحقـق عالميـة الإسـلام، ويتجـدد عطـاؤه الـذي لا ينضـب : ﴿**أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ ضَرَبَ اللّـهُ مَثَـلاً كَلِمَـةً طَيِّبَـةً كَشَـجَرةٍ طَيِّبَـةٍ أَصْلُهَـا ثَابِـتٌ وَفَرْعُهَـا فِي السَّـمَاء * تُؤْتِـي أُكُلَهَـا كُلَّ حِـينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَـا وَيَـضْرِبُ اللّـهُ الأَمْثَـالَ لِلنَّـاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**[ابراهيـم:24-25] .

رابعـاً: أسـباب تشـويه صـورة الديـن: إن ممارسـات رجـال الديـن تاريخيـا في الغـرب، ومـا يقـوم بـه الغـلاة مـن المسـلمين، وبعـض فتـاوى الدعـاة المصادمـة لمقاصـد الـشرع، هـذه المواقـف شـوهت صـورة الأديـان. فالتحالـف الآثـم بـين الكنيسـة وبـين الحـكام في أوروبـا القديمـة، وادعـاء الكنيسـة احتـكار المعرفـة، ووقوفهـا ضـد العلـم التجريبـي، وتحريمهـا للمـادة؛ أدى إلى طـرد الإنسـان المعـاصر طـرداً مـن الإعتقـاد الدينـي في الغـرب، والتجربـة الصهيونيـة الحديثـة، قائمـة عـلى مفاهيـم دينيـة عنصريـة، واسـتعلاء يمتهـن كرامـة الإنسـان غـير اليهـودي. كذلـك الفهـم الخاطـئ للإسـلام عنـد بعـض النـاس، وحماقـات الجماعـات الإسـلامية المتشـددة؛ هـذه العوامـل جعلـت كثـيراً مـن النـاس يعتقـدون أن الدين ينـشر التخلف، ويكـرس النظـم الإجتماعيـة الباليـة، ويعـادي العلـم والتطـور، هـذه المفاهيـم غذَّتهـا التجـارب المذكـورة؛ وقـد تكـون تعاليـم بعـض الأديـان تؤقـر ذلـك، ولكـن حقائـق الإسـلام ترفـض هـذا؛ فالإسـلام ثوابتـه معروفـة، محصـورة في العقائـد، والعبـادات، والأخـلاق، وتحكمهـا قاعـدة قطعيـات الـورود والدلالـة مـن النصـوص، والديـن الإسـلامي أهتـم بعالمـي الغيـب والشـهادة، واعـترف بالمطالـب الفطريـة العـشرة للإنسـان : الروحيـة ، والماديـة ، والعقليـة ، والمعرفيـة ، والخلقيـة ، والإجتماعيـة ، والعاطفيـة ، والذوقيـة ، والرياضيـة ، والبيئيـة . والإسـلام لا يقـدس نظمـاً إجتماعيـة

معينة، وليس لديه شكلاً معيناً ملزماً للحكم، وإنما هنالك مبادئ سياسية تحدد شرعية الحكم في الإسلام من عدمها، ولا يعرف الإسلام مصطلح رجال الدين، وإنما هناك علماء للدين كغيرهم من علماء الفنون الأخرى ولا قدسية لاجتهاد فقيه أو عالم. والإسلام هو الرسالة الخاتمة التي اشتملت على أصول الرسالات السابقة، وتفوقت عليها بالختام، والعموم، وصلاحية التطبيق في كل زمان ومكان، ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : قال صلى الله عليه وسلم : (أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً)[1] والإسلام يقوم على مبادئ، وأحكام، ومقاصد، وغالباً ما يُهْمِلُ الناس المقاصد، ولذلك تكون النتيجة سلبية، بالرغم من مشروعية المقدمات، وسلامة المواقف، وصحة الأعمال .

خامساً : المقاصد في الإسلام مرتبطة بالنصوص ، فهي تراعى عند إصدار الأحكام؛ فكتاب الإسلام المقدس هو القرآن الكريم، والسنة النبوية جاءت مفسرة ومبينة لما أجمل في القرآن، وهو كتاب يشتمل على نصوص محكمة وأخرى متشابهة لا يعلمها إلا الله، والراسخون في العلم يؤمنون بها حسب مراد الله، و أهل البصيرة هم أهل التفكر والتدبروالتذكر، وأما المتعجلون فيتبعون المتشابهات ويضلون بها الناس . قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ** ﴾[آل عمران:7] فالنصوص تحتاج إلى مناهج توضح مدلولاتها، وموازين ترجح معانيها، وضوابط لاستنباط أحكامها، وهو ما بينه علم أصول الفقه. إن مراعاة المقاصد في التعامل مع النصوص تجعل الأحكام مرتبطة بالمآلات فتمنع فساد الفهم والتطبيق. يقول الشيخ: عبد الله

(1) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (335) في كتاب التيمم، ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (521) صحيح مسلم ص(241) مكتبة الإيمان واللفظ لمسلم

دراز: (هـذه الشريعـة المعصومـة ليسـت تكاليفهـا موضوعـة حيثمـا اتفـق، لمجـرد إدخـال النـاس تحـت سـلطة الديـن. بـل وضعـت لتحقيـق مقاصـد الشـارع في قيـام مصالحهـم في الـدين والدنيـا معـاً. وروعـي في كل حكـم منهـا: إمـا حفـظ شيء مـن الضروريـات الخمسـة: "الديـن والنفـس والعقـل والنسـل والمـال» التـي هـي أسـس العمـران المرعيـة في كل ملـة، والتـي لولاهـا لـم تَجْـرِ مصالـح الدنيـا عـلى اسـتقامة، ولفاتـت النجـاة في الآخـرة، وإمـا حفـظ شـئ مـن الحاجيـات، كأنـواع المعامـلات التي لـولا ورودهـا عـلى الضروريـات لوقـع النـاس في الضيـق والحـرج، وإمـا حفـظ شـئ مـن التحسـينات، التـي ترجـع إلى مـكارم الأخـلاق، ومحاسـن العـادات، وإمـا تكميـل نـوع مـن الأنـواع الثلاثـة بمـا يعـين عـلى تحقيقـه. ولا يخلو بـاب مـن أبـواب الفقه - عبـادات ومعامـلات وجنايـات وغيرهـا- مـن رعايـة هـذه المصالـح ، وتحقيـق هـذه المقاصـد، التـي لـم توضـع الأحـكام إلا لتحقيقهـا)[1] وكمـا نلاحـظ فـإن المقاصـد راعـت مصلحـة الإنسـان، ومـن هنـا يتضـح أن التشريـع الإسـلامي معظمـه يتعلـق بالإنسـان؛ حمايـة لـه، وصونـاً لمصالحـه، وكفالـة لحقوقـه، فـأي تـصرف يـؤدي إلى إهـدار تلـك المصالـح والحقـوق؛ فهـو باطـل وإن دعـم بالنصـوص، وقـد صـاغ علماء الأصـول قواعـد كليـة للتشريـع الاسـلامى منهـا : حرمـة الأبـدان مقدمـة عـلى حرمـة الأديـان، والمشـقة تجلـب التيسـير ، وعـلى أساسـها فهمـوا الحكمـة مـن التشريـع وهـذه الأمثلـة توضـح ذلـك :

- حـرم اللـه الميتـة، ولكـن إذا جـاع الإنسـان ولـم يجـد الا الميتـة أبـاح اللـه لـه الأكل منهـا حفظـا لحياتـه، وحمـاية لنفسـه مـن الهـلاك. قـال تعـالى:﴿ **قُـل لاَّ أَجِـدُ فِي مَـا أُوْحِـيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًـا عَـلَى طَاعِـمٍ يَطْعَمُـهُ إِلاَّ أَن يَكُـونَ مَيْتَـةً أَوْ دَمًـا مَّسْـفُوحًا أَوْ لَحْـمَ خِنزِيـرٍ فَإِنَّـهُ رِجْـسٌ أَوْ فِسْـقًا أُهِـلَّ لِغَـيْرِ اللّـهِ بِـهِ فَمَـنِ اضْطُـرَّ غَـيْرَ بَـاغٍ وَلاَ عَـادٍ فَـإِنَّ رَبَّـكَ غَفُـورٌ رَّحِيـمٌ** ﴾[الأنعـام:145].
- أمـر اللـه سـبحانه وتعـالى المؤمـن بالوضـوء إذا قـام إلى الصـلاة، والغسـل إن كان جنبـاً، ولكـن إذا كان المـاء يحـدث لـه مرضـاً، أو يزيـد مرضـه، أو يؤخـر شـفاءه، أو محتـاج إليـه للـشرب ولغـيره فقـد أبـاح الإسـلام لـه أن ينتقـل إلى التيمـم

(1) أبـو إسـحاق إبراهيـم بـن مـوسى بـن محمـد اللخمـي الشـاطبي (ت790هـ) الموافقـات، تعليقـات الشـيخ عبـد اللـه دراز، القاهـرة-دار ابـن عفـان، الطبعـة الأولى (1417هـ -1979) -ج1 ص (5).

حمايــة لنفســه مــن الــضرر قــال تعــالى : ﴿ **يَــا أَيُّهَــا الَّذِيــنَ آمَنُــواْ إِذَا قُمْتُــمْ إِلَى الصَّــلاةِ فاغْسِــلُواْ وُجُوهَكُــمْ وَأَيْدِيَكُــمْ إِلَى الْمَرَافِــقِ وَامْسَــحُواْ بِرُؤُوسِــكُمْ وَأَرْجُلَكُــمْ إِلَى الْكَعْبَــيْنِ وَإِن كُنتُــمْ جُنُبًــا فَاطَّهَّــرُواْ وَإِن كُنتُــم مَّــرْضَى أَوْ عَــلَى سَــفَرٍ أَوْ جَــاء أَحَــدٌ مِّنكُــم مِّــنَ الْغَائِــطِ أَوْ لاَمَسْــتُمُ النِّسَــاء فَلَــمْ تَجِــدُواْ مَــاء فَتَيَمَّمُــواْ صَعِيــدًا طَيِّبًــا فَامْسَــحُواْ بِوُجُوهِكُــمْ وَأَيْدِيكُــم مِّنْــهُ مَــا يُرِيــدُ اللّــهُ لِيَجْعَــلَ عَلَيْكُــم مِّــنْ حَــرَجٍ وَلَــكِن يُرِيــدُ لِيُطَهَّرَكُــمْ وَلِيُتِــمَّ نِعْمَتَــهُ عَلَيْكُــمْ لَعَلَّكُــمْ تَشْــكُرُونَ** ﴾[المائدة:6].

- إذا اختنــق الإنســان وليــس أمامــه إلا الخمــر أبيــح لــه أن يأخــذ منهــا مــا يزيــل الاختنــاق، فحفــظ الحيــاة مقــدم عــلى غــيره؛ لأن بفواتهــا تتعطــل المصالــح الدينيــة والدنيويــة.

فالمقاصــد تعتــبر مــن القضايــا المهمــة في الديــن الإســلامي، وقــد روعيــت في فتــاوى ومواقــف الفقهــاء المحققــين، فالخليفــة عمــر بــن الخطــاب راعــى المقصــد مــن التشريــع عندمــا منــع المؤلفــة قلوبهــم مــن ســهمهم في الــزكاة، لأن الغــرض مــن تشريعــه قــد زال في ذلــك الوقــت، وعندمــا رفــض توزيع ســواد العــراق عــلى المجاهدين كان يراعــي مصلحــة الأجيــال اللاحقــة، وعــلي بــن أبــي طالــب انتقــل مــن القصــاص إلى الديــة في حكــم القتــل مراعيــاً المقصــد الــكلي فى حفــظ الحيــاة، فانقــاذ نفــس واحدة كأنــه إنقــاذ للنــاس جميعــاً، وســبب ذلــك أن أحــد النــاس قتــل نفســا واختفــى مــن مــسرح الجريمــة، وقبــض عــلى شــخص آخــر تشــير قرائــن الأحــوال إلى أنــه القاتــل، فلمــا حكــم «عــلي» بقتلــه [وهــو بــرئ]؛ ظهــر القاتــل الحقيقــي منقــذاً المتهــم البرئ، فعفــى عــلي عــن القاتــل وأخــرج الديــة مــن بيــت المــال. : روى ابــن القيــم في كتابــه الطــرق الحكميــة الآتــي : (ومــن قضايــا عــلي رضي اللــه عنــه: أنه أُتِــيَ برجــل وُجِدَ في خربــة بيــده ســكين متلطخــة بــدم، وبــين يديــه قتيــل يَتَشَــحَّطُ في دمــه ، فســأله فقــال : أنــا قتلتــه . قــال : اذهبــوا بــه فاقتلــوه؛ فلمــا ذُهِــبَ بــه أقبــل رجــل مسرعــاً ؛ فقــال : يــا قــوم ، لا تعجلــوا ، ردوه إلى عــلي ، فــردوه ؛ فقــال الرجــل : يــا أميرالمؤمنــين ، مــا هــذا صاحبــه ، أنــا قتلتــه ؛ قــال عــلي لــلأول : مــا حملــك عــلى أن قلــت : أنــا قاتلــه ولــم تقتلــه ؛ قــال : يــا أمــير المؤمنــين ، ومــا أســتطيع أن أصنــع ؟ وقــد وقف العســس عــلى الرجــل يتشــحط في دمــه، وأنــا واقــف، وفي يــدي ســكين، وفيهــا أثــر الــدم، وقــد

أخذت في خربة؟ فخفت أن لا يقبل مني ، وأن يكون قسامة ، فاعترفت بما لم أصنع واحتسبت نفسي عند الله ، فقال علي : بئسما صنعت ، فكيف كان حديثك ؟ قال : إني رجل قصاب [جزار] خرجت إلى حانوتي في الغلس ، فذبحت بقرة وسلختها ، فبينما أنا أصلحها والسكين في يدى أخذنى البول ، فأتيت خربة كانت بقربي فدخلتها ، فقضيت حاجتي ، وعدت أريد حانوتي ، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه ، فراعني أمره ، فوقفت أنظر إليه والسكين في يدي ، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليَّ ، فقال الناس : هذا قتل هذا ، ماله قاتل سواه ، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولي، فاعترفت بما لم أجنه ، فقال علي للمقر الثاني : فأنت كيف كانت قصتك ؟ فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعاً في ماله، ثم سمعت حس العسس، فخرجت من الخربة واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف، فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس، فأخذوه وأتوك به: فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضاً، فاعترفت بالحق. فقال للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفساً فقد أحيا نفساً. وقد قال الله تعالى:﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[المائدة:32] فخلى عليٌّ عنهما، وأخرج دية القتيل من بيت المال) [1] ففي هذه الحادثة اعتبر أن إنقاذ نفس بريئة من القتل، سبباً وجيهاً لتجاوز حكم القتل العمد بالرغم من إعتراف القاتل، لكنه بتصرفه هذا قد أنقذ حياة إنسان، فكأنه أحيا الناس جميعاً كما نصت الآية!

إن علماء المذاهب استصحبوا المقاصد في أصول مذاهبهم وفي فتاواهم، وقد قال العلماء القدماء والمحدثون: إن المقاصد الضرورية التي يحافظ عليها الإسلام هي المقاصد الخمسة السابق ذكرها. وقد اختلف الفقهاء حول ترتيبها، فمنهم من قدم الدين على النفس ومنهم من قدم العقل على الدين ومنهم من قدم النفس على الدين. ومن المعاصرين نجد أن الدكتور علي جمعة المفتي العام الأسبق لجمهورية مصر العربية؛ له رؤية حول هذا الموضوع تساهم في ترسيخ ثقافة قبول التعدد الديني، وهي قائمة على تأصيل مقنع يجعل

(1) شمس الدين أبوعبدالله محمد بن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق – مكتبة دار البيان، الطائف المملكة العربية السعودية، مكتبة المؤيد، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (1410هـ-1989م) ص (51)

المسلم يتعامل مع الآخر الديني دون حرج؛ بل يبتغي بما يقوم به وجه الله؛ لأنه يقف موقفاً يؤجر عليه، يقول الدكتور علي جمعة: (وترتيبي الخاص للمقاصد ـ وهو: ترتيب مخالف للشاطبي ـ هو: النفس، العقل، الدين، كرامة الإنسان، المال.

ومقصدي من هذا: هو قبول التعددية بصفة معينة في المجتمع المسلم.

ومقصدي من هذا: هو تحويل المقاصد إلى نظام عام.

ومقصدي من هذا: هو بعث محاولة التفكير.

والمقاصد الخمسة كلها موصلة إلى بعضها البعض في المستوى الثاني، وهنالك علاقات بينية بين هذه المقاصد الخمس ، وهو مستوى الظاهرة فقد يسمح بقبول المسيحيين في المجتمع وإدراجهم تحت الحضارة الإسلامية وليس تحت الدين الإسلامي ، فهناك ترتيب يرى أن الدين هو المقصد الأول والدين هنا هو الدين الإسلامي، وأنا أرى أن الدين ليس فقط الدين الإسلامي، ولذلك وضعتُ الدين في المرتبة الثالثة ، لأن الأولوية هي للحفاظ على الإنسان كإنسان، ثم الحفاظ على عقله الذي هو مناط التكليف، ثم أحافظ على دينه -أي دين- والإسلام هو الخمسة مقاصد وليس فقط أن يكون المقصد الأول، فوضع الدين كمقصد أول هو خطأ منهجي، ولذلك قدمت النفس والعقل ووضعت الدين في المرتبة الثالثة وأطلقت معناه ، ثم أطلقت الإسلام ليشمل المقاصد الخمسة كلها، بحيث نقبل بذلك التعددية. والمهم هو الإجتهاد والتفكير، لأن الأمة قد غفلت لقرون طويلة واعتادت على عدم التفكير، وعلى عدم قبول أي رأي جديد، وعلى القلق من أي اجتهاد جديد، والمطلوب هو التفكير بلا خوف)[1] ويمضى الدكتور علي جمعة مستعرضاً مكونات العقل المسلم فيقول : (أن العقل المسلم قد ترسخت فيه مجموعة من المبادئ التي يمكن أن نطلق عليها (المبادئ القرآنية) والتي يمكن أن نوسعها إذا ما أضفنا السنة إلى القرآن فنطلق عليها المبادئ الإسلامية، ويؤكد أنه بعد البحث الأكاديمي

(1)) علي جمعة، خصائص الثقافة العربية والإسلامية، إعداد نادية مصطفى، القاهرة - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى: (2006)، ص (50) .

وجدنا أن في القرآن نحو خمسين مبدءا ، منها : قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى..**﴾[الأنعام:164] ونعني بالمبدأ أنه ليس حكماً شرعياً مثل : ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا** ﴾[الإسراء:78] فـ﴿ **أقم الصلاة** ﴾ حكم شرعي، وإيتاء الزكاة حكم شرعي، وصيام رمضان حكم شرعي، وهكذا .. فالحكم الشرعي وصف للفعل البشري، والفعل البشري هو موضوع علم الفقه وأوصافه خمسة: (واجب ـ حرام ـ مندوب ـ مكروه ـ مباح) نَصِفُ بها أي فعل يصدر من البشر، هذا فقه وهذه أحكام، وقد اشتمل القرآن واشتملت السنة على أحكام «افعل ولا تفعل» في مجملها. فالعقل المسلم تكونه المبادئ الإسلامية مثل:﴿ **عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَفَ**﴾[المائدة:95] و﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُوْلِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[البقرة:179] والمقاصد الكلية: وهي الخمسة المذكورة، والقواعد الكلية مثل: (لا ضرر ولا ضرار) وقولهم: (المشقة تجلب التيسير) والسنن الإلهية: كسنة التدافع قال تعالى:﴿ **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ**﴾[البقرة:251] وسنة التعارف وسنة التكامل وسنة التوازن) [1].

وخلاصة القول في هذا الفصل: أن الكتاب والسنة مصدرا التشريع في الإسلام يتضمنان تشريعاً صريحاً للحوار في كل مجالاته ومع جميع الجهات، فإذا دُرِسَا بتعمق فإن الدارس سيتبين الأهمية التي أولاها الإسلام للحوار، وبدراسة السيرة سيتبين الباحث كيف أن هذا الموضوع قد تجسد في أرض الواقع، خاصة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، ذلك العصر الذي يعتبر عصر الإسلام الذهبي، بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ومكونات العقل المسلم لها دور أساسي فى ترسيخ التسامح وقبول الآخر.

إنَّ اهمال المقاصد الشرعية، والقواعد الكلية، والمبادئ الإسلامية؛ يؤدي إلى لبس في الفهم، وخطإ منهجي ظهرت آثاره فى كثير من التصرفات التي أضرت وتضر بدعوة الاسلام.

(1)) من خصائص الثقافة العربية والإسلامية ص (25 ـ 29) السابق.

الفصل الثالث

الحوار الداخلي

- تمهيد
- المبحث الأول : طبيعة الإختلاف داخل ملة الإسلام
- المبحث الثاني : ضرورة الحوار داخل الملة

تمهيد

الحوار مع الآخر لا يأتي بنتيجة إيجابية ما لم يسبقه حوار داخلي يؤدي إلى توحيد خطاب الأمة في مواجهة الآخر، لأن أي حوار تقوم به فئة من الناس قبل هذا الحوار الداخلي ستفسده فئة أخرى بالمفاهيم التي تطرحها والمواقف التي تتخذها، مما يؤدي إلى فقدان الثقة في الطرف المحاور من قبل الآخر، ويواجه بالأفكاروالمفاهيم المناقضة لما يقول، والتي تتبناها جماعات تنتمي إلى ملة الإسلام، عليه ينبغي أن يسبق حوار الداخلي أي حوار مع الآخر، للإعتبارات المذكورة. والحوار الداخلي يتطلب خطوة تمهيدية، تتمثل في تَكْيِيفِ موضوع الخلاف داخل الملة، وتحديد طبيعته، فبتحقيق ذلك ينفتح الباب لحوار داخلي يهيئ لحوار مع الآخر.

لقد هيمنت على الأمة مفاهيم تضخم من الخلافات داخل الملة، وتخرجها من مجال الإجتهاد المأجور صاحبه في الحالتين - إن أخطأ وإن أصاب - إلى مجال الخلاف بين حق وباطل، وبين هدى وضلال، وَأُوِّلَتْ نُصُوصٌ كثيرة تأويلاً يعمق الخلاف بين الأمة ويُغيِّر طبيعته، وَفُسِّرت نصوص السنة التي تحدثت عن إختلاف الأمم، تفسيراً حصر معنى الأمة في المسلمين، مع أن كلمة الأمة تحتمل معنىً أوسع، يدخل فيه كل الذين عاشوا في عصر الرسالة الخاتمة، باعتبارهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وينقسمون بين أمة الدعوة وأمة الإجابة، بهذا الفهم الواسع، نستطيع إدراك معنى الأحاديث التي تناولت موضوع الإختلاف الذي سيعتري الأمة، فهو اختلاف تنوع وليس اختلاف تصادم – كما سنرى عند بحث موضوع الاختلاف- ولكي ينجح الحوار الداخلي، ينبغي أن نحدد أولاً طبيعة الإختلاف داخل الملة، والعوامل المؤدية إليه حتى يحصر في إطاره .

المبحث الأول

طبيعة الإختلاف داخل ملة الإسلام

الخلاف والإختلاف بمعنى واحد هو المضادة، إذا الخلاف والاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، وهو أعم من الضد، قال الراغب الأصفهاني: «الخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين»[1]. فمثلا السواد والبياض ضدان ومختلفان، أما الحمرة والخضرة فمختلفان وليسا ضدين، والخلاف أعم من الضدية؛ لأنه يحمل معنى الضدية، ومعنى المغايرة مع عدم الضدية[2]. إذا فمعنى الخلاف والاختلافلا هو المضادة والمعارضة وعدم المماثلة، وهذا المعنى هو الذي جاء في نصوص القرآن الكريم[3] وهنالك نوعان من الإختلاف هما: اختلاف التنوع، واختلاف التضاد. اختلاف التنوع: محمود؛ لأنه يقوم على التخصص، والتكامل، منطلقاً من مرجعية واحدة، هادفاً لتحقيق غاية واحدة. وأقرب مثل لإختلاف التنوع، نجده في اختلاف وظائف الأعضاء في الجسد الواحد، فالعينان للنظر، والأذنان للسمع، والانف للشم، واللسان للتذوق والبيان، واليدان للبطش، والرجلان للسعي، وكلها تعمل في تكامل لخدمة صاحبها، وتحقيق مصلحته بل إذا تعطلت وظيفة أي عضو اختل البناء الإنساني. ومن أمثلة إختلاف التنوع في الإسلام إختلاف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حول التعامل مع أسرى بدر: فأبو بكر دعا للعفو وعمر دعا لقتلهم.

أما اختلاف التضاد، فهو مذموم؛ لأنه يتحول الى نزعة اقصائية متعصبة وحاقدة، لا يرى صاحبه الحق إلا ما وافق هواه. ويحصل النزاع والشقاق مما يؤدى إلى إضعاف الأمة وذهاب ريحها كما أوضح القرآن الكريم:﴿ وَلاَ **تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**. ﴾[الأنفال:46].

العوامل الموضوعية للإختلاف:

الإنسان خلق حراً ذا إرادة ، وهذه الحرية تعطيه القدرة على الإختيار بين البدائل، فالقرآن يشير إلى أن الإختلاف بين الناس وراءه حكمة إلهية، باعتبار أن الله سبحانه

(1)) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق-دار القلم-طبعة (1412هـ -1992م)، ص(294).

(2)) محمد عوامة، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، بيروت – دار البشائر، الطبعة الثانية (1418هـ -1998م) ص(8).

(3)) سمير مثنى علي الأبارة، تعريف الخلاف والاختلاف، مقال منشور في شبكة الألوكة بتاريخ: 2017/2/4م.

وتعالى منزه عن العبث في أفعاله، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[هود:118-123] .

والإختلاف الذي حدث ويحدث داخل ملة الإسلام هنالك أسباب موضوعية تجعله مبرراً بل وضرورياً في بعض الأحيان، لأن الشعوب التي يخاطبها دين الإسلام شعوب مختلفة العادات والطبائع والأعراف والتقاليد، وعالمية الإسلام تعني مخاطبته لكل العالمين، وهم يعيشون في بيئات مختلفة، وأحوال مختلفة، وأزمان متعاقبة، فلا بد للدين الخاتم أن يستجيب لهذا الإختلاف وهذا التنوع، فهذه الإستجابة من شروط عالمية الدين وخلوده. والعوامل التي تجعل الاختلاف في الإجتهاد داخل الملة واقعاً حتمياً، ومشروعاً كثيرة؛ أذكر منها الآتي:

أولاً: اللغة:

مصدر التشريع الأول في الإسلام هو القرآن الكريم وقد نزل باللغة العربية الفصيحة، والعربية حبلى بالمعاني، فقد تحمل الكلمة الواحدة أكثر من معنى، وتعدد المعاني يؤدى لاختلاف الأحكام، وردت في القرآن الكريم عدة المطلقة في قوله تعالى : ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة:228] القروء : جمع قرء ، والقرء له معنيان : فالقرء بمعنى الحيض ، والقرء بمعنى الطهر من الحيض . فمن أخذ القرء بمعنى الحيض أفتى بأن المرأة المطلقة تخرج من عدتها بمجرد دخولها في الحيضة الثالثة. ومن أخذ القرء بمعنى الطهر من الحيض فالحكم

عنـده أن المـرأة المطلقـة لا تخـرج مـن عدتهـا إلا بعـد طهرهـا مـن الحيضـة الثالثـة، فهنـا نجـد أن اختـلاف الحكـم راجـع إلى تعـدد المعنـى في اللغـة.

ثانياً: اختلاف القراءات:

القـرآن نـزل عـلى عـدة قـراءات المعتمـدة منهـا عـشر قـراءات والمشـورة سـبع قـراءات؛ فمثـلاً جـاء في سـورة المائـدة في قولـه تعـالى : ﴿ **يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ إِذَا قُمْتُـمْ إِلَى الصَّـلاةِ فاغْسِـلُواْ وُجُوهَكُـمْ وَأَيْدِيَكُـمْ إِلَى الْمَرَافِـقِ وَامْسَـحُواْ بِرُؤُوسِـكُمْ وَأَرْجُلَكُـمْ إِلَى الْكَعْبَـينِ وَإِن كُنتُـمْ جُنُبًـا فَاطَّهَّـرُواْ وَإِن كُنتُـم مَّـرْضَى أَوْ عَـلَى سَـفَرٍ أَوْ جَـاء أَحَـدٌ مِّنكُـم مِّـنَ الْغَائِـطِ أَوْ لاَمَسْـتُمُ النِّسَـاء..** ﴾[المائدة:6] قـرأ نافـع وابـن عامـر والكسـائي وحفـص؛ (وأرجلَكـم) بفتـح الـلام عطفـاً عـلى الأيـدي، فالأيـدي تُغْسَـلُ والأرجـل تُغْسَـل عـلى هـذه القـراءة. وقـرأ أبوعمـرو بـن العـلاء وحمـزة وشـعبة (وأرجِلِكـم) بجر الـلام عطفاً عـلى الـرؤوس فالرأس يُمْسَـح والأرجـل تمسـح على هـذه القـراءة، وحمـزة والكسـائي في قولـه تعـالى:﴿ **أَوْ لاَمَسْـتُمُ النِّسَـاء** ﴾قرآهـا (أو لمسـتم النسـاء) فالحكـم يختلـف مـن اللمـس الى الملامسـة.

كذلـك قـرأ حمـزة والكسـائي في قولـه تعـالى:﴿ **يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا إِن جَاءكُـمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـأٍ فَتَبَيَّنُـوا أَن تُصِيبُـوا قَوْمًـا بِجَهَالَـةٍ فَتُصْبِحُـوا عَـلَى مَـا فَعَلْتُـمْ نَادِمِـينَ** ﴾[الحجـرات:6] قرآهـا (فتثبتـوا) بـدَل (فتبينـوا) وهنالـك فـرق في الحكـم بـين التثبـت والتبـين، فـالأولى تطلـب الإنتظـار حتـى تتضـح الحقيقـة، والثانيـة توجـب البحـث لمعرفـة الحقيقـة.

ثالثاً: السنة النبوية:

قُسِّـمَت السـنة الى ثلاثـة أقسـام كبـيرة عنـد الحنفيـة، تحتهـا فـروع، هـي: السـنة المتواتـرة، والسـنة المشـهورة، وسـنة الآحـاد. وقـد اختلـف الأصوليـون حـول السـنة، لأسـباب يرجـع بعضهـا إلى الروايـة: مـن حيـث الجـرح والتعديـل، فقـد يكـون الـراوي ثقـة عنـد بعـض علمـاء الحديـث، وقـد يُجَرِّحـه عالـم آخـر لعلـة ظهـرت لـه، وقـد يصـح السـند عنـد بعضهـم فيقبـل، وقـد لا يصـح عنـد آخريـن فـيرد، ومن حيـث الدرايـة فقـد يُقبـل الحديـث مـن حيـث الروايـة ويـرد درايـة؛ لأنـه يخالـف أصـلاً أقـوى منـه، وبعـض أسـباب الأختـلاف ترجـع إلى الناسـخ والمنسـوخ: فقـد

يقف أحد الفقهاء على حديث ناسخ لحديث لم يقف عليه غيره، وقد يكون الخلاف حول حجية حديث الآحاد ونطاق تطبيقه وتوجد أسباب كثيرة في هذا المجال تعرض لها الأصوليون في مظانها، كما أن السنة لم تُدَوَّن بصفة رسمية إلا في القرن الثاني الهجري، في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، والأحاديث جاء تصنيفها من حيث الصحة والحُسن والضعف والدرجة؛ وفقاً لمناهج علماء الحديث، وهي مناهج من وضع المجتهدين، والسنة ليست على مرتبة واحدة : ففيها القطعي، وأغلبها ظني، والأحاديث جاءت متفرقة حسب الحوادث على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، ولم ترتب ترتيباً زمانياً؛ بل حسب موضوعاتها، وبعض الناس سمعوا حديثاً في زمن ما وتفرقوا في الأمصار، وربما أتى حديث لاحق ناسخ للسابق ولم يسمعوا به. وهذا ما دعا الإمام مالك أن يقول للمنصور عندما رأى أن يُلزم الناس بالموطأ قال له: (يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم، وعملوا به، ودانوا له، من اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وإنَّ ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم.) [1] فالإمام مالك بهذا يُقر بحق الآخر المختلف ويجد له مُسَوِّغاً مشروعاً، ولا يهمل اختلاف البلدان وما يتبعه من إختلاف العادات والطبائع، ويفهم من كلامه أنه يتمتع بسعة أفق وسماحة عرف بها مذهبه رضي الله عنه.

فالسنة النبوية ليست على درجة واحدة: فهناك سنة تشريعية؛ وأخرى تُكَيَّفُ ضمن العادات البشرية، وأخرى تُعتبر من الخصوصيات النبوية، وهي تنقسم إلى أربعة أقسام: وحي، وفُتْيا، وقضاء، وسياسة شرعية؛ فالوحي والفتيا أحكامها مازمة لأنهما من باب التبليغ الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما القضاء فقد أصدره الرسول بحسب حيثيات القضية والبينات التي ظهرت له، ولذلك قال: (**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ**

(1) محمد عبد الحي بن محمد بن عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهند، أبوالحسنات. (ت1304هـ)، التعليق الممجد على موطأ محمد (شرح لموطأ مالك برواية محمد بن الحسن)، تعليق وتحقيق: تقي الدين الندوي، دمشق – دار القلم، الطبعة الرابعة (1426هـ -2005م)، ج1 ص(13)

مِـــن بَعْـــضٍ، فأقْـــضِي عـــلَى نَحْـــوِ مـــا أسْـــمَعُ، فمَـــن قَضَيْـــتُ لـــه مِـــن حَـــقِّ أخِيـــهِ شـــيئًا، فـــلا يَأْخُـــذْهُ فإنَّمـــا أقْطَـــعُ لـــه قِطْعَـــةً مِـــنَ النَّـــارِ) [1]. والسياســـة الشرعيـــة لا إلـــزام فيهـــا؛ لأن الظـــروف تتغـــير، والأحـــكام تتغـــير تبعـــاً لتغـــير أحوالهـــا وأزمانهـــا، وقـــد لخـــص هـــذا الأمـــر الإمـــام المهـــدي بقولـــه : " لـــكل وقـــت ومقـــام حـــال، ولـــكل زمـــان وأوان رجـــال "[2]. يقـــول الامـــام القـــرافي : " اعلـــم أن رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم هـــو الامـــام الأعظـــم، والقـــاضى الأحكـــم، والمفتـــى الأعلـــم، ..فمـــا مـــن منصـــب دينـــى إلا وهـــو متصـــف بـــه في أعـــلى رتبـــة، غـــير أن غالـــب تصرفـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم بالتبليـــغ، لأنَّ وصـــف الرســـالة غالـــب عليـــه، ثـــم تقـــع تصرفاتـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم منهـــا مـــا يكـــون بالتبليـــغ والفتـــوى اجماعـــاً، ومنهـــا مـــا يُجْمِـــعُ النـــاس عـــلى أنـــه بالقضـــاء، ومنهـــا مـــا يُجْمِـــعُ النـــاس عـــلى أنـــه بالامامـــة، ومنهـــا مـــا يختلـــف العلمـــاء فيـــه لـــتردده بـــين رتبتـــين فصاعـــدا، فمنهـــم مـــن يُغَلِّـــب علـيـــه رتبـــة، ومنهـــم مـــن يُغلـــب عليـــه أخـــرى، ثـــم تصرفاتـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم بهـــذه الأوصـــاف تختلـــف آثارهـــا فى الشريعـــة، فـــكل ماقالـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم أو فعلـــه عـــلى ســـبيل التبليـــغ ،كان ذلـــك حكمـــا عامـــا عـــلى الثقلـــين إلى يـــوم القيامـــة، فـــإن كان مأمـــورا بـــه أقـــدم عليـــه كل أحـــد بنفســـه، وكذلـــك المبـــاح، وإن كان منهيـــا عنـــه اجتنبـــه كل أحـــد بنفســـه، وكل مـــا تـــصرف فيـــه – عليـــه الســـلام – بوصـــف الإمامـــة، لا يجـــوز لأحـــد أن يقـــدم عليـــه إلا بـــإذن الإمـــام، اقتـــداء بـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم، ولأن ســـبب تصرفـــه فيـــه بوصـــف الإمامـــة دون التبليـــغ يقتـــضى ذلـــك، ومـــا تـــصرف فيـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم بوصـــف القضـــاء، لايجـــوز لأحـــد أن يُقـــدم عليـــه إلا بحكـــم حاكـــم، اقتـــداء بـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم، ولأن الســـبب الـــذى لأجلـــه تـــصرف فيـــه صـــلى اللـــه عليـــه وســـلم بوصـــف القضـــاء يقتـــضى ذلـــك "[3].

هـــذا التمييـــز لـــه أهميـــة كبـــيرة؛ لأنـــه يوضـــح الفـــرق بـــين الســـنة التشريعيـــة

---

(1)) أخرجه البخارى في صحيحه (7169) في كتاب الأحكام، ومسلم (7169) عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(2)) محمـد إبراهيـم أبـو سـليم: الآثـار الكاملـة للإمـام المهـدي، الخرطـوم، دار جامعـة الخرطـوم للنـشر، الطبعـة الأولى (1990)، الجـزء الأول

(3)) شهاب الدين أبى العباس القرافى، الفروق الجزء الأول صفحة(221) سابق.

وغيرهـا، وعـدم التمييـز هـو أحـد أسـباب الأخطـاء التـى وقـع فيهـا كثـير مـن النـاس، حيـث يُنزلـون الحكـم فى غـير محلـه، فـلا يتحقـق مقصـده، وبعضهـم يُقـدم عـلى فعـل الـشيء مسـتندا عـلى السـنة دون معرفـة موقعهـا، مـع أن الفعـل قـد يكـون خاصـاً بالقضـاء، أو بالإمامـة، لا يجـوز تنفيـذه بواسـطة الأفـراد.

رابعاً: مصادر التشريع:

أجمـع المسـلمون عـلى أن الكتـاب والسـنة همـا المصـدران الأساسـيان للتشريـع في الإسـلام، واسـتنبطوا منهمـا المصـادر الأخـرى؛ كالإجمـاع والقيـاس، هـذه المصـادر تعتـبر مصـادر أصليـة عنـد أهـل السـنة، وهنالـك مصـادر فرعيـة: كعمـل أهـل المدينـة، والإسـتصحاب، وشرع مـن قبلنـا، والإستحسـان، والمصالـح المرسـلة، وغيرهـا مـن المصـادر الفرعيـة المذكـورة في علـم الأصـول. هـذه المصـادر الفرعيـة اختلـف الفقهـاء حولهـا بـين مضيـق وموسـع ومقـدم ومؤخـر، وهنالـك أصـول منسـوبة لأئمـة الفقـه هـي في الواقـع مُخَرَّجَـةٌ عـلى أقوالهـم تخريجـا قـام بـه المتأخـرون، هـذا الإختـلاف حـول مصـادر التشريـع أدى إلى اختـلاف في الفتـاوى.

خامساً: مشروعية الإجتهاد:

لقـد أقـر الإسـلام الإجتهـاد وحـث عليـه، وورد في الفصـل السـابق أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أقـر اجتهـاد صحابتـه في حياتـه في مواضـع شـتى، وقـد طبـق المسـلمون الإجتهـاد في مراحـل متعـددة مـن تاريخهـم، ذكـر الشـعبي عـن شريـح أنـه قـال : قـال لي عمـر : (اقـض بمـا اسـتبان لـك مـن كتـاب اللـه، فـإن لـم تعلـم كل كتـاب اللـه فاقـض بمـا اسـتبان لـك مـن قضـاء رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فـإن لـم تعلـم كل أقضيـة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فاقـض بمـا استبـان لـك مـن أئمـة المهتـدين، فـإن لـم تعلـم كل مـا قضـت بـه أئمـة المهتديـن، فاجتهـد رأيـك واسـتشر أهـل العلـم والصـلاح)[1] ففـي كلام عمـر مرونـة شـديدة، حيـث طلـب مـن شريـح

(1)) محمـد بـن أبـي بكـر بـن أيـوب بـن سـعد شـمس الديـن ابـن قيـم الجوزيـة (ن751هــ)، إعـلام الموقعـين عـن رب العالـمين، تحقيـق: محمـد عبـد السـلام إبراهيـم، بـيروت-دار الكتـب العلميـة، الطبعـة الأولى: (1411هــ -1991م) المجلـد الأول ص: (156).

أن يقضي بما استبان له، ومعلوم أن الإستبانة نِسْبِيَّة فقد يستبين الأمر للإنسان في وقت ولايستبين له في وقت آخر، وأوضح نص على مشروعية الإجتهاد، قوله صلى الله عليه وسلم : (**إذا حكَم الحاكمُ فاجتَهَد ثمَّ أصاب فله أجرانِ وإذا حكَم فاجتَهَد ثمَّ أخطأ فله أجرٌ**)[1] . كذلك يفهم معنى الإجتهاد من قوله تعالى:﴿ **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**. ﴾ [الحشر:2] فمن الطبيعي ان تختلف اجتهادات الفقهاء وفقاً لظروف كل فقيه وقدرته على الإستنباط والبيئة التي عاش فيها؛ خاصة وأن الإسلام أعطى المجتهد أجرين إن أصاب، وأجراً واحداً إن أخطأ ما دام ملتزماً بشروط الإجتهاد.

سادساً: اقرار الرسول للإختلاف النوعي والمحافظة عليه في إطاره:

فقد كان كثير من الصحابة فقهاء مجتهدون، واختلفوا حتى في حياته صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة أقرهم عليها، وأشهر تلك المواقف اختلاف أبي بكر وعمر حول التعامل مع أسرى بدر، واختلافهم في صلح الحديبية، واختلافهم في الخروج من المدينة في غزوة أح ، واختلافهم في صلاة العصر عندما أمروا ألا يصلوا إلا في بني قريظة، كما أن كل واحد منهم تميز بصفة دون غيره حتى اشتهر بها، ومع مرور الزمن صارت الصفات الفردية والإهتمامات الشخصية مدارس داخل الأمة؛ قال صلى الله عليه وسلم : (**أرحَمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بَكْرٍ، وأشَدُّهم في أمرِ اللهِ عُمَرُ، وأصدَقُهم حَياءً عُثْمان، وأقضاهم عليٌّ، وأعلَمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبَلٍ، وأفرَضُهم زَيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرَؤُهم أُبَيٌّ، ولكلِّ أمَّةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأُمَّةِ أبو عُبَيدةَ**)[2].

إن المدارس الفقهية تطورت من مناهج فردية حتى أصبحت مذاهباً واشتهر عند الفقهاء تشدد ابن عمر، ووسطية ابن مسعود ورخص ابن عباس.

---

(1)) أخرجه البخارى في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، رقم: (7352) في كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة.

(2)) أخرجه الترمذي (3790)، وابن ماجه (154)، وأحمد (14022) باختلاف يسير

سابعاً: المستجدات:

كما هو معروف فإن النصوص متناهية والحوادث غير متناهية، والممارسة العملية تبرز تحديات تحتاج إلى معالجة، واجه هذا التحدي الصحابة يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فاختلفوا هل مات الرسول أم لم يمت، وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه من أشهر الرافضين للقول بموت الرسول صلى الله عليه وسلم، بل جرد سيفه قائلاً : إنه سيضرب كل من يقول إن الرسول قد مات ، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه وتلى الآية : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[آل عمران:144]. وشرح عمر موقفه ذلك لاحقا بقوله لابن عباس في خلافته: (يا ابن عباس هل تدري ما حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله؟ قال: قلت لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم. قال: فإنه والله ما كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.** ﴾[البقرة:143] فوالله إن كنتُ لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه الذي حملني على أن قلت ما قلت) [1] إذاً فهو لم يقف موقفه ذاك لأنه صدم فحسب؛ ولكنه قاله عن فهم واجتهاد، فلما ظهرت له الحقيقة امتثل لأمر الله. كذلك اختلفوا في مكان دفن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى حسم ذلك أبو بكر بقوله: (سمعت من الرسول يقول: (ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض) فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه فحفروا له تحته) [2]. كذلك اختلفوا في أمر خلافته: (فقال الأنصار أنهم أحق بخلافته؛ لأنهم آووه ونصروه وقُبِضَ عندهم، وقال المهاجرون إنهم أحق بها؛ لأ نهم أهل السبق في الإسلام،

(1)) ابن هشام، السيرة النبوية، (2 / 661 ـ 666)، سابق.

(2)) ابن كثير، البداية والنهاية (233/5) والسيرة النبوية لابن هشام الجزء الرابع ص(207)، سابق.

وأنهم هاجروا معه وتركوا أموالهم وديارهم نصرة للدين، وان العرب لا تدين إلا لقريش، وغضب بنو هاشم؛ لأنهم غُيِّبُوا عن الشورى، لانشغالهم بتجهيز جثمانه صلى الله عليه وسلم) [1] واختلفوا حول مانعي الزكاة هل يحاربونهم أم لا؟ واختلفوا في تقسيم الخراج. وهكذا فرضت المستجدات واقعاً جديداً اقتضى اجتهاداً لمواجهة تحدياته وقضاياه التي لم تكن موجودة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وخلاصة القول: أن هنالك أسبابا موضوعية -سبق ذكرها -تجعل الإختلاف أمراً حتمياً وضرورياً. ولهذا الإختلاف فوائد كما يقول الدكتور: طه بن جابر العلواني منها: « أنه يتيح التعرف على جميع الإحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل قد رمى إليها بوجه من وجوه الأدلة. وثانياً: إنه يتيح رياضة للأذهان وتلاقحاً للآراء ويفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الإفتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها. وثالثاً: إنه يتيح تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة ليهتدي إلى الحل المناسب للوضع الذي هو فيه بما يتناسب مع يسر هذا الدين الذي يتعامل معه الناس من واقع حياتهم»[2]. إنها فوائد يؤكدها الإنتاج الفكري والعلمي الذي تذخر به الساحة الإسلامية، ويصدقها الواقع الذي أفرز قضايا معقدة تمكن الفقهاء من التعامل معها.

إن الإختلاف بهذا الفهم ضرورة، ولكنه يصبح وبالاً عندما يتحول إلى شقاق وفجور في الخصومة، وهذا ما حدث في عصر الخوارج وفي عصرنا هذا، حيث تصدى للفتوى من لا فقه له، ففرض على الناس فهماً قاصراً وحاكمهم على أساسه، وحمل لواء الإسلام الغلاة فَضَلُّوا وأضلوا.

إن اختلاف الناس حول الحوادث المعاصرة، مثل الأخذ بوسائل العصر، والإستفادة من تجارب الآخرين، والتعامل مع غير المسلمين، والأخذ بالنظم الحديثة التي انتجها العقل البشري كالديمقراطية والأحزاب ومنظمات المجتمع المدني، وكذلك الموقف من المرأة، والفن، والرياضة، والنظم الاقتصادية، وأخيراً الإختلاف حول الجهاد؛ كل هذه

(1)) السابق: (5/ 215 – 222)

(2)) طه جابر فياض العلواني: أدب الإختلاف في الإسلام، فرجينيا –الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، تاريخ النشر 1987م ص(25).

الإختلافات وغيرها، ترجع الى منهج كل جماعة، وطريقة تفكيرها ورؤيتها للخلاف، فمنهم من يضعه في إطاره النوعي، ومنهم من يغالي فيرفع سقفه إلى خلاف بين حق وباطل! والربانيون من الأمة أجبروا على محاربة مخالفيهم، ومع ذلك لم يكفروهم، سأل بعضهم علي بن ابي طالب عن أهل الجمل الذين حاربوه: (أمشركون هم؟ فقال رضي الله عنه: من الشرك فروا. قال: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، فقال له من هم إذن؟ قال كرّم الله وجهه: إخواننا بغوا علينا !!) [1]. فبالرغم من أنه الخليفة المبايع من جمهور الأمة، وقد خرج عليه أهل الجمل وشقوا عصا الطاعة وفرقوا كلمة الأمة، وسالت دماء كثير، لكن أمير المؤمنين لم يغب عن ذهنه أنه حامي رسالة وليس منتصراً للذات، ولا منتقماً يجرد خصمه من أي فضيلة، وهذه الروح لم تغب عن عظماء الأمة في عصورها المتعاقبة، فأبو حنيفة يقول : (هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحداً عليه، ولا نقول يجب على أحد قبوله بكراهية، فمن كان عنده أحسن منه فليأت به)[2] فالمؤمن دائماً طالب حق لا يتعصب لرأيه، إن ظهر له الصواب عند غيره، ومعلوم أنه في عصر التابعين ظهرت مدرستان : مدرسة أهل الحديث، التي قامت على فقه الصحابة وآثارهم، وكان على قمتها سعيد بن المسيب، وعليها اعتمد المالكية والشافعية والحنابلة. ومدرسة أهل الرأي، التي تعتمد على الرأي إن غاب الأثر، وكان على قمتها إبراهيم النخعي. وعليها سار الأحناف دون أن يكفر بعضهم بعضاً؛ بل في عصور لاحقة عندما احتك كل فريق ببيئة الفريق الآخر، أدرك أسباب هذا الإختلاف بينه وبين نظيره. وآفة الفتوى عدم الإحاطة بالموضوع محل الحكم، والواقع الذي تتنزل عليه ـ فعدم الربط بين النص والواقع، وعدم ربط كل ذلك بالمقاصد، يؤدي إلى إصدار أحكام توقع الناس في الحرج.

إن كثيراً ممن تصدوا للفتوى في عصرنا هذا يمكن وصفهم بحفظة النصوص ولكنهم ليسوا فقهاء، فالفقيه من يمتلك القدرة على استنباط الأحكام من النصوص، مع اعتبار الواقع ومراعاة المقاصد. فاستخراج الحكم مجرداً دون مراعاة الواقع وتعقيداته، يوقع في الانحراف. فلا بد لمن يتصدى للفتوى أن يدرك طبيعة الواقع

(1)) أخرجه البيهقي في السنن (8 / 173)

(2)) أبوعمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت 463هـ)، الإنتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء (مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم) وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم للتعريف بجلالة أقدارهم. القاهرة – مكتبة القدسي- عام النشر(1350هـ) ص (140)

المعـاصر، بتعقيداتـه وعلاقاتـه السياسـية والإقتصاديـة والإجتماعيـة والإداريـة حتى لا يغـرد خـارج الـسرب. والفتـوى الفرديـة في قضايا النـوازل غـير مجدية في هـذا العصر، الـذي توفـرت فيـه المعلومة بصـورة غـير مسـبوقة، فهنـاك ضرورة إلى قيام مؤسسـات للفتـوى تضـم كل التخصصـات الشرعيـة والمدنية، تجمع علمـاء الشرع وعلماء السياسـة والإقتصـاد والطـب والإجتماع والفلسـفة والعلاقـات الدوليـة والقانون حتـى تتمكن من إصـدار فتـاوى تقـل فيهـا نسـبة الخطأ وتكـون جامعـة مانعة.

إن مـن المنكـرات في هـذا العـصر إطـلاق التهـم والأحـكام جزافـاً: فهـذا كافر لأنـه أدلى بتصريـح يخالـف هـوى المفتـي، وذاك زنديـق لأنه تبنـى فكرة لا يعـرف المفتـي كنهها، وآخـر مرتـد لأنـه اتخـذ موقفـاً يتعارض مـع موقـف المفتـى. هـذه الفتـاوي التكفيرية تدخـل في إطـار البدعـة؛ لأنـه لـم يُعرف عـن الرسـول صلى اللـه عليه وسـلم أنـه أطلق مثـل هـذه الأحـكام بهـذه الصـورة؛ بـل كان نهجـه النهي عـن التكفـير، قال صـلى الله عليه وسـلم: (سـباب المسـلم فسـوق وقتاله كفـر) [1].

إن دراسـة سـيرة الرسـول صلى الله عليه وسـلم، ببصيرة ووعي، سـتعطي نبراسـاً يضئ الطريـق للسـالكين، وتبين سـماحة الإسـلام، لأنها مجسـدة لأحكامه ومقاصده ، وترشـد المسـلمين للابتعـاد عـن نهـج التشـدد والتكفـير والتضييـق على النـاس ، فالإسـلام دين الرحمـة والتيسـير ورفـع الاصر والحرج عـن الناس، وهـو لا يتصادم مع الفطـرة مطلقاً قـال تعـالى : ﴿ **فَأَقِـمْ وَجْهَكَ لِلدِّيـنِ حَنِيفًا فِطْـرَةَ اللَّهِ الَّتِـي فَطَرَ النَّـاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيـلَ لِخَلْـقِ اللَّـهِ ذَلِكَ الدِّيـنُ الْقَيِّـمُ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لَا يَعْلَمُـونَ** ﴾[الروم:30] إن فهـم الـرأي الآخـر والفكر الآخـر والإجتهاد المخالـف في إطارالتنوع؛ يعتـبر أول خطوة في منهـج الإصـلاح الداخلي، وتوفير الطاقـات المهـدرة في الصراعات لتوظيفهـا للنهضة في كافـة مجالاتهـا ، علينا أن نسـقط مـن قاموسـنا عبارات [كافـر وملحد وزنديـق وخائن وعميـل ومهزوم..الـخ] في مجـال خلافاتنـا الفكريـة والسياسـية . ومطلوب منـا أن نجد مسـاحة في داخلنـا لقبـول الإجتهـاد المخالـف أو تفهمه على أقـل تقدير.

(1) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (48) ومسلم (116).

المبحث الثاني

الحوار وأهميته بين المسلمين

ينبغـي إعطاء الحوار الاسـلامي الأولوية في عصرنـا الحالي؛ لأن الأمـة أُوتِيَت مِن قِبَـلِ صراعهـا الداخـلي أكثر ممـا أوتيت مـن قبـل صراعها مع الآخـر، لقـد تعرضت أمة الإسـلام لهـزات داخلية وخارجيـة أدت إلى اختلال أوضاعهـا، وتراجـع عطائها،وانحراف سـلوكها، على مسـتوى الفـرد والجماعـة ، وعلى نطـاق الدولة والأمـة، فغابت الوسـطية، وحـل محلهـا التطرف، وانعدم التسـامح ليحـل مكانه التعصـب، وتراجـع دور المفكرين والعلمـاء، ليختطـف الشـعار الغـلاة والحمقى، ومن أكـبر العوامل التـي أدت إلى انحراف الأمـة عـن مسـارها الصحيح؛ التخـلي عن روح الإسـلام والتمسـك بالشـكليات والمظاهر؛ ولا مخـرج مـن هـذه الحـال إلا بإعـادة النظـر في كثـير مـن المفاهيـم والمسـلمات التـي قبلناهـا دون تحقيق .

إنَّ الحـوار الداخـلي ينبغـي أن يؤسـس لثقافـةٍ تُرَسِّـخُ منهجـا للتعامـل مـع الآخـر المذهبـي في الإسـلام، يقـوم عـلى الإيمـان المشـترك بالقطعيـات، والإعـتراف المتبـادل بالإجتهـادات، عـلى أسـاس أن التقليـد في الإجتهـاد غـير ملـزم. وأن القاعـدة السـنية مـن اجتهـد فأصـاب فلـه أجـران ومـن اجتهـد وأخطـأ فلـه أجـر واحـد.

إن عصرنـا الحـالي يمتـاز بتقريـب المـكان عـن طريـق المواصـلات، وتقريـب الزمـان عـن طـرق الاتصـالات؛ ممـا يتيـح وسـائل أفضـل للتعامـل مـع المسـتجدات، والأسـلوب الأمثـل: هـو تحديـد هيئـة أو هيئـات فنيـة ذات معرفـة وتخصـص في كل المجـالات تقـوم بـدور استشـاري. واتخـاذ هيئـة أو هيئـات تشريعيـة ذات تفويـض شـعبي للتـداول بشـأن المسـتجدات واتخـاذ قـرار بشـأنها. هنالـك قضايـا تقتـضي حـواراً داخليـاً بـين أهـل الملـة للإتفـاق عليهـا أولاً حتـى يختفـي التناقـض الـذي يحـدث بـين العلمـاء والمفكريـن المسـلمين عنـد تناولهـا، ليتـم التوصـل إلى وحـدة الخطـاب عنـد التحـاور مـع الآخـر، والقضايـا المطلـوب الإتفـاق عليهـا هـي:

1. تحديـد أسـاس واضـح للتعامـل مـع الآخـر المـلي في أوطـان المسـلمين، خاصـة وأنهـم بحكـم المواطنـة مواطنـون أصيلـون وليسـوا وافديـن، هـذا الأسـاس

يحفظ الحقوق الدينية والثقافية للمجموعات الوطنية المختلفة وبصورة تمنع الإنتقاص من حقوق المجموعات التي تتكون منها الدولة، ويستفاد في ذلك بما تم في صحيفة المدينة، ومن التجارب التاريخية التي أُعطيت فيها عهود لأصحاب الديانات الأخرى في الدولة الإسلامية.

2. كيفية التعامل مع النظام الدولي الحالي الذي يقوم عليه نظام الأمم المتحدة التي تضم دولاً إسلامية وغير إسلامية، فهل تنطبق عليه مبادئ العهد والبر والقسط التي دعا إليها الإسلام أم لا؟﴿ **وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً** ﴾[الاسراء:34] و﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الممتحنة:8].

3. الحضارة الغربية الحالية فرضت سلطانها على العالم بوسائلها المتفوقة إقتصادياً وتقنياً وعسكرياً وإعلامياً، وهنالك استحالة لرفضها ، فالمطلوب تحديد المنجزات التي حققها الغرب والتي لا تتعارض مع الأصول والمبادئ الإسلامية ، وتحديد مرابطها في مقاصد الشريعة الإسلامية ، ويمكن استصحابها دون أدنى حرج مثل :المؤسسات التي تكفل : (الحرية الفكرية وحرية البحث العلمي ـ النظام السياسي الذي يقوم على رضا المحكومين ومساءلة الحكام ويحقق التداول السلمي للسلطة ـ الخضوع العسكري للشرعية الدستورية ـ النظام الإقتصادي الذي يقوم على آلية السوق الحر لا سيما في مجال الإستثمار والإنتاج والتبادل التجاري ـ الإلتزام بحقوق الإنسان على أساس أن الله كرّمه وأوجب له حقوقاً مقدسة) .

4. المرأة هي الوالدة والزوجة والأخت والبنت للرجل. والنساء في مفهوم الإسلام شقائق الرجال. والنصوص الإسلامية واضحة في مساواتها إنسانياً وإيمانياً. إن حقوق المرأة في الإسلام تعتبر طفرة تحريرية مقارنة بما كانت عليه المرأة في السابق، وجاءت ظروف انتكس فيها المسلمون وألقت الجاهلية بظلالها على وضعية المرأة، وعالم اليوم أحدث طفرة في حقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة على وجه الخصوص. التحدي الذي يواجه المسلمين

في هـذا المجـال يتمثـل في كيفيـة تحقيـق دورالمـرأة في ظـل الإسـلام بحيـث لا تضطرللجـوء إلى غـيره لتحقيـق ذلـك، خاصـة في عـصر المواثيـق الدوليـة التـي تتجـاوز السـيادة الوطنيـة.

5. الجهـاد هـو ذروة سـنام الإسـلام. والجهـاد هـو رهبانية أمـة محمد صلى اللـه عليه وسـلم، والجهـاد مـاضٍ إلى قيام السـاعة. إنّ مادة جهد هي أسـاس الصـلاح والفلاح والنجـاح في كل مجـالات الحيـاة، ولا يفلـح الإنسـان في أي مجال إذا لم يبـذل الجهد: لا بـد لنيـل الشـهد مـن إبـر النحـل؛ الجهاد في هـدي الإسـلام هو بـذل الجهـد كله للإلتـزام بأمـر اللـه. إنه يبـدأ دائماً بإلـزام النفـس على الفضيلـة، وهذا هـو الجهاد الأكـبر؛ لأن فاقـد الشـئ لا يعطيـه. ثـم يتجـاوز الإنسـان نفسـه إلى أسرتـه وإلى مجتمعـه، وعليـه بـذل الجهد كله وبـكل الوسـائل للإلتزام بهـدي الله. هـذا الإلتزام يصـير التزامـاً قتاليًّـا في حالـة فتنة النـاس عن دينهـم أي إكراههم عـلى الخروج من دينهـم. وفي حالـة الدفـاع عـن النفـس. أي دفاعاً عـن العقيـدة ودفاعاً عـن الحياة : **﴿ أُذِنَ لِلَّذِيـنَ يُقَاتَلُـونَ بِأَنَّهُـمْ ظُلِمُـوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَـلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيـرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُـوا مِـن دِيَارِهِمْ بِغَـيْرِ حَـقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّـهُ وَلَوْلَا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُـم بِبَعْـضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِـعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْـمُ اللَّـهِ كَثِـيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّـهُ مَن يَنـصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ ﴾**[الحج:39-40] لقـد اختطف الغلاة شـعار الجهـاد وأعلنوه في مواقـف تفتقـر إلى شروط الجهاد ، بل أعلـن الجهـاد عـلى المسـلمين المخالفـين في الـرأى . المطلـوب تعريف شرعـي للجهاد وشروطـه ومقتضياتـه حتى يتـم التمييـز بينه وبـين الإرهاب.

6. وسـائل الدعـوة: العصرالحالي يختلف عن ما سـبقه مـن عصور، فالعلاقـات الدولية محكومـة بمواثيق الأمـم المتحدة، وطبيعة التقسـيم الحالي للدول تختلف عن تقسـيم دار الحـرب ودار الإسـلام، والعلاقـات صـارت توجههـا المصالـح وليسـت المبـادئ والقيـم، وحدثـت طفـرة تكنولوجيـة وإعلاميـة أتاحـت ضـخ المعلومات بصـورة لم يسـبق لهـا مثيـل. هـذا العـصر يحتـاج إلى تجديـد وسـائل الدعـوة لتلائـم ظروفه المعقـدة. إن اتحـاد أهـل القبلـة حـول هـذه القضايـا يتيح لهم سـهولة الحـوار مع الآخـر ويمكنهـم مـن التواصل الحضـاري[1].

(1)) نداء المهتدين، إصدار هيئة شئون الأنصار 2000م

تيارات الحوار الداخلي:

إن نجاح الحوار الداخلي يتوقف على تحديد عوامل التوتر، وحصر الجهات التي تقتضي المصلحة إجراء حوار معها على المحيط الداخلي، فعلى المستوى الداخلي هنالك تيارات داخل الأمة المسلمة مشدودة للماضي ومحبوسة في قوالبه، ولا تقبل أي جديد؛ لأنها تعتبره ضلالة مبتدعة، وتتعامل مع حقائق الإسلام دون تمييز بين الثابت والمتحرك منها، وتتعامل مع الآخر بمقاييس ماضوية. وتقابل هذه التيارات تيارات أخرى تأثرت بفعل الإستلاب أو بسبب الحقائق المغلوطة فأصبح إنتماؤها لحضارتها الإسلامية بالصورة والجسد فقط، أما روحها وعقلها وثقافتها فخارج الحدود؛ هؤلاء وأولئك من المنتمين لهذه التيارات ينبغي تحديدهم وتشخيص حالتهم، وحصر شبهاتهم والتحاور معهم حولها ليتبينوا الحق من الباطل، حتى يبطل شغبهم الذي أقعد الأمة وشل حركتها. أيضاً حدث في عصر الإسلام الأول إنقسام تاريخي أدى إلى تصنيف أمة الإسلام إلى سنة وشيعة، هذا الإنقسام كان له أثر كبير على مسيرة الإسلام مما يتطلب إحتواءه وتوجيه الطاقات المهدرة في الصراعات الداخلية إلى مواجهة التحديات والمخاطر التي تواجه أمتنا بمختلف تياراتها. عليه يمكن أن نقول إن هنالك ثلاثة تيارات داخل الأمة تستحق التحاور هي:

1. الشيعة
2. تيار الحداثة
3. التيار المتشدد.

(1) الحوار السني الشيعي:

لقد انقسم المسلمون تاريخياً إلى مجموعتين كبيرتين هما: السنة والشيعة، ودارت بين الفئتين صراعات كبيرة، أَثَّرت في علاقة الطرفين، وصدرت فتاوى متبادلة فيها نوع من الغلو، ومع مرور الزمن خَفَّت حدة الخلافات بعض الشيء، نتيجة لِتَفَهُّمِ الطرفين لبعضهما بعضاً بسبب الإحتكاك وزوال الظروف المغذية للعداء. وفي العصر الحديث وقعت عدة أحداث قربت الشقة بين السنة والشيعة

منهـا: إنتصـار الثـورة الإسـلامية في إيـران، وتصـدي حـزب اللـه للإحتـلال الإسرائيلي، كمـا أن عـداء الدوائـر المتطرفـة في الغـرب لا يميـز بـين سـني وشـيعي، وأيضـاً قامـت مؤتمـرات كثـيرة حـول التقريـب بـين المذاهـب وحـوار الحضـارات، وغيرهـا جمعـت بـين الطرفـين ممـا سـاعد في إزلـة كثـير مـن العقبـات التـي تعـترض وحـدة الأمـة. ولكـن مـع هـذا الوعـي والتفهـم إلا أن تعـارض المواقـف السياسـية، ومحاولـة إيـران تصديـر مذهبهـا للبلـدان السـنية، والنزاعـات الحدوديـة مـع بعـض الـدول العربيـة؛ تعيـق بنـاء علاقـات أخويـة.

ومـع تعقيـد الموقـف إلا هنالـك ضرورة لاسـتكمال الحـوار بـين الفئتـين، فالشـيعة لهـم وجـود كبـير في العالـم الإسـلامي، ولهـم تأثـير عـلى مجريـات الأحـداث، والخلاف بينهـم وبـين أهـل السـنة يمكـن إحتـواؤه بمزيـد مـن الحـوار والتعامـل بالحكمـة، وأهـم إشـكالات الشـيعة الإماميـة تاريخيـا مـع أهـل السـنة ولا زالـت تلقـي بظلالهـا عـلى العلاقـة بـين لبطرفـين؛ يمكـن تلخيصهـا في الآتـي:

- الإمامة هل هي ركن من أركان الدين أم مصلحة شرعية؟
- ما هو الأساس لإثبات السنة الصحيحة؟
- النظر إلى الصحابة وعدالتهم.
- أساس الخلاف هل هو سياسي أم عقدي؟

(2) الحوار مع تيار الحداثة:

أعنـى بتيـار الحداثـة ذلـك التيـار الـذي أعجـب بإنجـازات الحضـارة الغربيـة، وطالـب باتبـاع نفـس النهـج للحـاق بالعـصر، ويرفـع هـذا التيـار شـعارات كثـيرة أهمهـا: الدعـوة لحريـة البحـث العلمـي، واتبـاع النهـج العلمانـي في الحكـم، وتحريـر المـرأة، والإلتـزام بـكل المواثيـق الدوليـة المتعلقـة بحقـوق الإنسـان. ولعـل العلمانيـة أبـرز شـعارات هـذا التيـار. العلمانيـة بشـكلها التقليـدي لـم تَعُـد موجـودة حتـى في البيئـة التـي أفرزتهـا، وقـد تخطـت الإنسـانية مرحلـة إنـكار الغيـب، والديـن ثبـت أنـه عامـلٌ مهـم في حيـاة الإنسـان، فقـط مطلـوب إيجـاد معادلـة توفـق بـين الإلتـزام الدينـي القائـم عـلى الثبـات، والنشـاط الإجتماعـي القائـم عـلى الحركـة، وهـذا التيـار

يشكل وجوداً مؤثراً في المجتمع خاصة بين النخب، فالقضايا التى يطرحها ترتبط بواقع الناس المعاش، لايجوز انكارها أو التقليل من أهميتها، فالحوار مع هذا التيار ضرورة اجتماعية، بقصد تفهم مطالبه التي يمكن الإستجابة لها من داخل الفهم المقاصدي والمنهج الوسطي للإسلام، والقضايا التي يثيرها ليست معقدة ويمكن إجمالها في الآتي:

- العلمانية
- الحريات
- المرأة
- الديمقراطية
- التسامح الدينى
- حرية البحث العلمى
- التحفظ من تطبيق الحدود الإسلامية
- حقوق الإنسان

وهي قضايا يمكن الوصول فيها إلى فهم مشترك، يحقق المقاصد دون الارتباط بشعار أيدولوجي، يجر المجتمع إلى اصطفاف استقطابي، يهدد التعايش السلمي ويؤثر على الأمن القومي لبلداننا.

(3) الحوار مع التيار المتطرف:

حالة التراجع التي تمر بالأمة أفرزت تيارات كثيرة اتبعت وسائل خاصة بها للتعبير عن رفضها للواقع المرير، والتبشير بعودة الخلافة، ولعل أخطر تلك التيارات: التنظيمات الإسلامية المتشددة، التي اختطفت الشعارالإسلامي، ومضت تشكل الرأي العام وفق رؤاها، وتطرح أفكارا تسرى فى المجتمع نتيجة لحالة الاحباط التى تعتريه، كما أنها ترفع شعاراتٍ تخاطب الوجدان وتدغدغ المشاعر، وتجد من يتبناها ويروج لها، وقد حددت هذه الجماعات عدوها

الخارجـــي، المتمثـــل في الغـــرب بقيـــادة الولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة، ودخلـــت مـــع هـــذا العـــدو الـــذي حددتـــه في صراع بلـــغ قمتـــه في قارعـــة الحـــادي عـــشر مـــن ســـبتمبر الشـــهيرة، ومـــا تلاهـــا مـــن أحـــداث لازالـــت تُلقـــي بظلالهـــا عـــلى الواقـــع الإســـلامي.

إن هـــذا التيـــار بالرغـــم مـــن تفكيـــك شـــبكاته، إلا أن أفـــكاره تجـــد طريقهـــا إلى عقـــول الشـــباب، خاصـــة في ظـــل الأخطـــاء التـــى ترتكبهـــا الولايـــات المتحـــدة بسياســـاتها المســـتفزة لمشـــاعر المســـلمين، وعجـــز الأطروحـــات الاســـلامية الماثلـــة فى تحقيـــق تطلعـــات الأمـــة، وهـــذا التيـــار يمكـــن إجمـــال قضايـــاه في الآتـــي :

- الإسلام هو الدين الخاتم والمهيمن فلا يقبل معه أي دين آخر.
- كل ما يحتاجه المسلم موجود في الكتاب والسنة فلا حاجة بنا إلى الإقتباس.
- الجهاد فرض عين على كل مسلم لإخضاع غير المسلمين لأحكام الإسلام.
- الخلافة تعتبر نظام الحكم الوحيد في الإسلام وواجبنا أن نقيمها.
- كل من لم يطبق أحكام الإسلام يعتبر كافراً يجب أن يقتل.
- الغـــرب هـــو عـــدو الإســـلام فيجـــب أن يحـــارب حتـــى يقـــضى عليـــه أو يكـــف عـــن عداوتـــه أو يدخـــل في الإســـلام.

هـــذه القضايـــا وغـــيره لا تحســـم بعـــدم الاعـــتراف ولا بالإهمـــال، وإنمـــا بالحـــوار الهادئ للوصـــول إلى فهـــم مشـــترك حولها.

الفصل الرابع

الحوار مع الآخر

- المبحث الأول : مشروعية الحوار مع الآخر
- المبحث الثاني : أهمية الحوار مع الآخر

المبحث الأول

مشروعية الحوار مع الآخر

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[الحجرات:13].

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ** اللهَ قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ، مؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شَقيٌّ، أنتم بَنُو آدمَ، وآدم من تراب، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فحمٌ من فحْمِ جهنمَ، أو لَيكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجِعْلَانِ التي تدفعُ بأنفْها النَّتِنَ) [1].

إن تعاليم الإسلام تؤكد على أن الإنسانية مهما اختلفت ألوانها وأعراقها وأنواعها وأجناسها فإنها ترجع لأصل واحد، وطينة واحدة، فالناس من آدم وآدم من تراب: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[النساء:1] واختلاف الألسنة والألوان، آية من آيات الله، ومجال للتفكر والتدبر، وليس سبباً للتفاضل والتفاخر : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾[الروم:22] ويعترف الإسلام بصلته بالرسالات السابقة، ويؤكد أنه جاء مكملاً لها، ومصدقاً لها : ﴿ **اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** ﴾ [آل عمران:2-3] فالرسالات جاءت من مصدر واحد، وكل رسل الله إخوة قال صلى الله عليه وسلم : (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ قالوا: كيفَ؟ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ:

---

(1) أخرجه أبوداود (5116) واللفظ له، والترمذي (3956)، مختصر باختلاف يسير، وأحمد (8736) باختلاف يسير، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الأَنْبِيَـاءُ إِخْـوَةٌ مِـن عَـلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُـمْ شَـتَّى، وَدِينُهُـمْ وَاحِـدٌ، فليـسَ بيْنَنَـا نَبِـيٌّ) [1].

كمـا يؤكـد الإسـلام أن أصـل الديـن واحـد وإن اختلفـت الشرائـع، قـال تعـالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُـم مِّـنَ الدِّيـنِ مَـا وَصَّى بِـهِ نُوحًـا وَالَّـذِي أَوْحَيْنَـا إِلَيْـكَ وَمَـا وَصَّيْنَـا بِـهِ إِبْرَاهِيـمَ وَمُـوسَى وَعِيـسَى أَنْ أَقِيمُـوا الدِّيـنَ وَلَا تَتَفَرَّقُـوا فِيـهِ كَـبُرَ عَـلَى الْمُشْرِكِـينَ مَـا تَدْعُوهُـمْ إِلَيْـهِ اللَّـهُ يَجْتَبِـي إِلَيْـهِ مَـن يَشَـاء وَيَهْـدِي إِلَيْـهِ مَـن يُنِيـبُ** ﴾[الشـورى:13] والمسـلمون مطالبـون بالإيمـان بكل الرسـل دون تفريـق : ﴿ **آمَـنَ الرَّسُـولُ بِمَـا أُنـزِلَ إِلَيْـهِ مِـن رَّبِّـهِ وَالْمُؤْمِنُـونَ كُلٌّ آمَـنَ بِاللّـهِ وَمَلآئِكَتِـهِ وَكُتُبِـهِ وَرُسُـلِهِ لاَ نُفَـرِّقُ بَـيْنَ أَحَـدٍ مِّـن رُّسُـلِهِ وَقَالُـواْ سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَـا غُفْرَانَـكَ رَبَّنَـا وَإِلَيْـكَ الْمَصِـيرُ** ﴾[البقـرة:285] .

أهمية الدين في حياة الإنسان:

الإعتقـاد الدينـي قاسـم مشـترك بـين بنـي البـشر، فـلا يخلـو مجتمـع إنسـاني مـن عقيـدة دينيـة، وقـد صحـب الديـنُ الإنسـانَ عـلى طـول تاريخـه، إمـا عـن طريـق الرسـالات المنزلـة، التـي جـاء بهـا الرسـل، وإمـا عـن طريـق سـعي الإنسـان نحـو اللـه، بإنشـاء نِحَـلٍ مـن وضـع البـشر، وحتـى أولئـك الذيـن عبـدوا الأصنـام كانـوا يعتقـدون أنهـا تقربهـم إلى اللـه زلفـى.

إنَّ تكويـن الإنسـان القائـم عـلى عنـصري المـادة والـروح؛ يجعلـه عرضـة للـصراع بـين مطالـب الـروح ومطالـب الجسـد، فيحتـاج للإعتقـاد لتفسـير هـذا الـصراع، ولتحقيـق التـوازن النفـسي، والديـن يقـوم بهـذا الـدور، كذلـك وجـود الإنسـان داخـل المجتمـع البـشري، واحتياجـه للآخريـن بسـبب عجـزه عـن تحقيـق مطالبـه، ولتقديـم مـا يفيـض عـن حاجتـه للآخريـن ، حسـب سـنة تبـادل الحاجـات ، يجعـل الـصراع بـين بنـي البـشر أمـراً حتميـاً ، وعندهـا سـتكون الحيـاة للأقـوى والأقـدر، وسـوف يضيـع الضعفـاء، فالديـن لـه دور كبـير في تحقيـق العـدل ومـن ناحيـة ثالثـة فـإن الكـون الـذي يضمنـا يحتـوي عـلى أمـم لا تحـصى مـن خلـق اللـه، وتكمـن فيه سـنن وقوانـين تعجـز البشريـة عـن الإحاطـة بهـا دون إرشـاد مـن قـوة أسـمى، والإنسـان

(1)) رواه مسلم (2365) عن أبي هريرة رضي الله عنه

المُسْتَخْلَفُ في سَعْيٍ مستمر للحصول على المعرفة ولاكتشاف سر هذا الكون ومكانة الإنسان فيه، ومآله، ولا شك أن الدين له إسهام كبير في التعريف بهذا الوجود الكوني، عليه يتضح مما سبق أن الدين في حياة الإنسان ليس مهماً فحسب؛ بل هو ضرورة نفسية، وضرورة إجتماعية، وضرورة كونية؛ ومما يؤكد ذلك أن الدراسات الإنسانية أثبتت أن الإنسان حيث ما وُجِد احتاج إلى دين يعتقد فيه،ولذلك ظل يسعى باحثا عن عقيدة يطئن إليها إما عن طريق الوحي المنزل وإما عن طريق السعي البشري نحو المثل الأعلى. وقصة " حي بن يقظان لابن الطفيل " خير دليل على ذلك. وحتى أولئك الذين أنكروا الأديان واعتبروها مرحلة طفولة فكرية، وجندوا طاقاتهم لهدمها، ما لبثوا أن أقاموا ديانات وضعية حلت محل الأديان الْمُبْعَدَة، فكأنهم طردوا الدين المنزل من الباب وأدخلوا ديناً وضعياً من النافذة.

أخطاء المتدينين:

لقد عالجت الأديان تلك الإشكالات، ولكنها من جانب آخر تحولت إلى عصبية عند كثير من الناس، دفعتهم إلى التطرف والإقصاء، وشهد تاريخ الإنسان حروباً دينية مدمرة، تفانى فيها بنو البشر نتيجة للتعصب، ومحاولة إلغاء الآخر (إن قيمة الإعتقاد الديني، والإنتماء الثقافي للإنسانية، ينبغي ألا تُغْفِلنا عن الأضرار التي لحقت بالحياة نتيجة للتعصب الديني والإنكفاء الثقافي؛ هذان العاملان: التعصب والإنكفاء. أوقعا أصحاب الإنتماءات الدينية في ثلاثة أخطاء فادحة: **الخطأ الأول:** حصر المعرفة: كل المعرفة الإنسانية في المصادر الغيبية النقلية، ورفضهم المعارف العقلية والتجريبية. هذا الخطأ جعلهم أعداء لتطور العلوم واكتشافاتها، والأبحاث العلمية واستنتاجاتها. **الخطأ الثاني:** قاسوا ضرورة الإلتزام الديني بالقيم الروحية والخلقية؛ بالتزام مماثل أوجبوه في المعاملات الإجتماعية والسياسية. **الخطأ الثالث:** اعتبروا أن الإخلاص لعقيدتهم، يوجب نفي العقائد الأخرى، ومواجهتها مواجهة دائمة) [1]. وقد أدرك الآن معظم أتباع الأديان أهمية التوصل إلى صيغة تعايش سلمي بين الأديان، يحل التسامح فيها محل التعصب والسلام محل الحرب.

(1)) الصادق المهدي: نداءات العصر ـ دار الشماسة للطباعة والنشر 2002م.

الإسلام والتسامح:

الإسلام منذ نزوله كان يحمل مقومات التواصل مع الآخر، بنفيه للإكراه وبسطه للعدل، ومساواته بين الناس رغم اختلاف عقائدهم، كما أنه أعطى موضوع الحوار أهمية كبرى، كما تبين في الفصل السابق. والمسلم مطالب باحترام عقائد الآخرين مهما كانت درجة بطلانها؛ لأن الدين لا يُفرض بالإكراه ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾[يونس:99] وطبق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ، فلم يُكْرِه أحداً على الدخول في الإسلام، وتسامح مع المخالفين بصورة لم تُعرف عند الآخرين في عصره، عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً في مكة، تعرض فيها هو وأصحابه لكل أنواع الأذى والعدوان، فلم يردوا على المعتدين؛ بل كان التوجيه الإلهي لهم أن : ﴿.. **كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ..**﴾[النساء:77] وبالرغم من إنتشار الأصنام حول الكعبة لم يتعرض لها رسول الله ولم يسئ لعابديها، وظلت قائمة حتى فتح مكة، فالعقائد مهما كانت غرابتها وسذاجتها فإنها تشكل لأصحابها أهمية، ولذلك كان التوجيه القرآني للمسلمين واضحاً : ﴿ **وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾[الأنعام:77] وعندما حاور الإسلام عبدة الأصنام ،كان حواره هادئاً مرناً، يدعوهم لاستعمال عقولهم وأن يتفكروا في عجز آلهتهم التي لا تستطيع أن تدفع الضر عنها، فهي أعجز عن أن تدفعه عن غيرها. روى صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى أن غاوي بن ظالم كان سادناً لصنم فجاء يوماً ووجد الثعلب قد بال على الصنم فقال:

لَقَدْخَابَ قَوْمٌ أَمَّلُوكَ لِشِدَّةٍ ... أَرَادُوا نِزَالًا أَنْ تَكُونَ تُحَارِبُ
فَلَا أَنْتَ تُغْنِي عَنْ أُمُورٍ تَوَاتَرَتْ ... وَلَا أَنْتَ دَفَّاعٌ إِذَا حَلَّ نَائِبُ
أَرَبٌّ يَبُولُ الثَّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ ... أَرَبٌّ يَبُولُ الثَّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ

ثم كسر الصنم وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (ما اسمك؟) قال : غاوى بن ظالم، قال : (لا ؛ بل أنت راشد

بـن عبـد ربـه)[1] والقـرآن الكريـم لفـت أنظـار عبـدة الأصنـام إلى عجـز أصنامهـم ودعاهـم لاسـتعمال عقولهـم : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ** ﴾[الأعـراف:194-195].

الإسلام والأديان:

الأديـان السـماوية جـاءت مـن مصـدر واحـد وهـي متفقـة في الأصـول، وبالرغـم مـن التحريـف الـذي لحـق بهـا، إلا أن أتباعهـا ليسـو عـلى نسـق واحـد في نظـر الإسـلام، فأهـل الكتـاب أقـرب إلى الإسـلام مـن الوثنيـين؛ لأنهـم ينتمـون إلى ديانـات سـماوية، وهـم أنفسـهم ليسـوا سـواء، فبعضهـم أقـرب إلى المسـلمين مـن الآخريـن قـال تعـالى : ﴿ **لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمـران:113-115] وهنالـك توجيـه واضـح في التشريـع الاسـلامي للمسـلمين أن يتعاملـوا مـع أهـل الكتـاب عـلى أسـاس أنهـم أصحـاب ديانـات سـماوية، وأن هنالـك قواسـم مشـتركة بينهـم وبـين المسـلمين : ﴿ **قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة:136] والإسـلام لا يطلـب مـن أهـل الكتـاب التخـلي عـن دينهـم بـل يأمرهـم بالإلتـزام بـه، فعندمـا حمـل الصحابـي الجليـل حاطـب بـن أبـي بلتعـة رسـالة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى { المقوقـس } عظيـم القبـط بمـصر ودار بينهمـا حـوار ، بـدأه حاطـب ، قـال للمقوقـس : (إن لـك ديناً لـن تدعـه إلا لمـن هـو خـير منـه ، وهـو الإسـلام الـكافي بـه اللـه فَقْـدَ مـا سـواه ، ومـا بشـارة مـوسى بعيـسى إلا كبشـارة عيـسى بمحمـد ، ومـا دعاؤنـا إيـاك إلى القـرآن إلا كدعائـك أهـل التـوراة إلى الإنجيـل .. ولسـنا ننهـاك عـن ديـن المسـيح ، ولكنـا

(1)) كمال الدين الدميرى، حياة الحيوان الكبرى، الجزء الأول ص(204) سابق.

نأمـرك بـه..)[1] هـذه النظـرة التـي ينظرهـا الإسـلام لأهـل الكتـاب جعلتـه يطلـب مـن المسـلمين أن يعاملـوا أهـل الكتـاب معاملـة حسـنة، ويجادلوهـم بالتـي هـي أحسـن، ويعلنـوا إيمانهـم بالكتـب المنزلـة عـلى السـابقين، ويؤكـدوا أن الإلـه المعبـود بحـق واحـد، هـو اللـه سـبحانه وتعـالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُـوا أَهْـلَ الْكِتَـابِ إِلَّا بِالَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ إِلَّا الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا مِنْهُـمْ وَقُولُـوا آمَنَّـا بِالَّـذِي أُنـزِلَ إِلَيْنَـا وَأُنـزِلَ إِلَيْكُـمْ وَإِلَهُنَـا وَإِلَهُكُـمْ وَاحِـدٌ وَنَحْـنُ لَـهُ مُسْـلِمُونَ** ﴾[العنكبـوت:46].

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم المصري (ت ٢٥٧هـ)، فتوح مصر والمغرب، القاهرة-مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، (١٤١٥ هـ)، ص(66).

المبحث الثاني

أهمية الحوار مع الآخر

منذ مجيء الإسلام تناول القرآن الكريم موضوع الحوار بين أصحاب الديانات السماوية، وذلك لما بينهم من قواسم مشتركة، وقربى دينية، ولا بد من إدراك أن الحوار ليس بالضرورة يهدف إلى حمل الآخر على التخلي عن دينه والدخول في دين هذا الطرف، فقد يكون الحوار للبحث عن الحقيقة المجردة، وما دام الجميع يبحثون على الحقيقة كما يقولون، فإن الحوار ينطلق من أمر أساسي وجوهري جداً: هو البحث عن الحقيقة في وجهة نظر الآخر، بمعنى أن الحقيقة ليست حكراً لأي طرف. إن الإعتقاد بأن أي واحد منا على صواب، لا يعني بالضرورة أن الآخرين على خطأ. إن الحوار هنا يعني عدم إهمال أو تجاهل أو التقليل من أهمية وجهات النظرالأخرى. يقول مونتجمرى وات في كتابه الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر: (إن الحوار كما أرى يتضمن الإستعداد للقبول الإيجابي بمقولات الدين الآخر، رغم عدم التحول إليه، وبدون شيئ من الإستعداد ليتعلم أصحاب كل دين من أصحاب الأديان الأخرى، يصبح الحوار نوعاً من الهداية المعطلة)[1] هذا الفهم الذي ذهب إليه العالم القدير مونتجمري وات هو عين ما دعا إليه الإسلام إذ أنه يطلب من أهل الكتاب أن يتمسكوا بكتابهم كما أنزل دون تحريف أو تبديل، فأحكام التوراة والإنجيل جاءت تحمل الهدى والنور كما نص القرآن الكريم، وأن التحريف الذي حدث هو الذي عماهم عن رؤية الحق الذي جاء به الرسول الخاتم، فالإسلام أكد صحة الأحكام التي جاء بها التوراة، والأحكام التي جاء بها الإنجيل، وأن القرآن جاء مصدقاً لتلك الكتب، ومكملاً لأحكامها، ومن المناسب نقل الآيات بتمامها لتوضيح كيف أن الإسلام جعل التواصل والتكامل مع تلك الرسالات من صميم دعوته قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ**

(1) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة، دار الشروق، طبعة(2008م) ص(176).

وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:44-50]

إنه أوضح تأكيد على أن المصدر الذي جاءت منه الأديان السماوية واحد، فالكتاب اللاحق يُؤَمِّنُ على أحكام الكتاب السابق، وكل رسول جاء صَدَّقَ من سبقه من الرسل، وأن اختلاف الأحكام ما هو إلا اختلاف في التشريع الذي جاء ليلائم ظروف كل عصر. والإسلام في حواره مع أهل الكتاب بعد كل هذه الحجج يقول:﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ** ﴾لم يحكم عليهم الإسلام بالدمار والهلاك، ولم يقطع منهم الأمل، ويخفف من نقده فيقول ببعض ذنوبهم! أي سماحة هذه؟ وأي احترام أبلغ من هذا لحرية الإنسان ؟! هذا النهج معناه أن نُقْدِم على الحوار مع الآخر من أجل التوصل إلى الحقيقة، وإذا وضعنا في الإعتبار التحولات التي حدثت في الساحة الكونية، والمستجدات في العلاقات البشرية، مفإن ذلك يفرض علينا وعياً بالواقع

المعاصر، فما عاد اليهود اليوم مجموعة من الناس يتنقلون بين الحواضر بحثاً عن جمع الأموال بوسائل تقليدية، ويقيمون في حصون يُجْلَوْنَ منها من وقت لآخر. وما عاد النصارى كيانات مبعثرة في نجران والشام ومصر وغيرها. لقد حدثت تطورات لدى هؤلاء وأولئك فأصبحت لديهم دولٌ يحكمونها، ومؤسسات تعليمية تُدَرِّسُ أديانهم، ومفكرون وعلماء في جميع التخصصات، ومؤسسات إقتصادية تمتلك رؤس أموال ضخمة، وهم في مجال التَّفَوُّق المادي والتقني والعسكري؛ يتقدمون على المسلمين، مما يستوجب إدراك هذا الواقع ونحن نقدم على حوار يتطلب شروطاً معينة، يقول مونتجمرى وات: (وإذا وضعنا في اعتبارنا أن ـ الحوار ـ المقصود هنا يكون بين أشخاص ينتمون إلى ثقافات مختلفة، اتضح لنا ضرورة أن يكون المشاركون في هذه الحوارات، أناس على درجة عالية من التَّفَتُّحِ وتقبل ما يقوله الآخرون، فلا يمكن أن يكون هنالك حوار من أي نوع ما لم يتكلم أحد الأطراف بينما يصغي الطرف الآخر لما يقال محاولاً أن يفهم، وهذا ليس بالأمر اليسير بين ثقافات غريب بعضها عن الآخر، لأسباب منها اختلاف المفاهيم والقيم والأفكار، فإذا راح طرفان أحدهما مسيحي والآخر مسلم يبحث كل منهما للآخر عن حجج وبراهين لدعم الخلاف بينهما، فهما سيجدان بسهولة كثيراً من العناصر لدعم الخلاف، لكن هذا لن يؤدي إلى قيام حوار حقيقي. فمن شروط الحوار الرغبة في التعلم، وإذا كان الأمر متعلقاً بثقافات مختلفة، فهذا يعنى صبراً عظيماً ومحاولة التآلف والتعارف بكل جوانب العقلية الأخرى، أو العقلية الغريبة؛ والتَّدَرُّب على فهم عقليات الآخرين يجعل المرء أكثر تفتحاً، فإذا تقبل القيم الموجودة في الدين الآخر، فإنه سيبدأ بالبحث عن سبيل لإدماجها في دينه) [1].

الحوار مع الآخر الديني والحضاري:

الحضارة الغربية مؤثرة على الحضارت الأخرى، لتفوقها المادي والعلمي والعسكري، ومن خلفها اليهود والنصارى، وهناك تداخل بين المسلمين وبين الحضارة الغربية، وبينهم وبين اليهود والمسيحيين؛ لذلك فإن الحوار معهم مهم للوصول إلى قواسم مشتركة تجنب كوكبنا الصراعات والحروب.

(1)) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، ص (176 ـ 177) سابق.

1) **اليهودية:** فاليهود إشكاليتهم مع العالم الإسلامي تتمثل في وجود إسرائيل التي قامت على أساس إحتلال الأرض وإبدال الشعب الفلسطيني بشعب يهودي، هذا الإجراء هل يوافق عليه كل اليهود باعتباره عقيدة دينية؟ أم هو خاص بالحركة الصهيونية التي تستغل الدين لأغراض سياسية؟ وما هو موقفهم من حق الشعب الفلسطيني في استعادة أرضه المغتصبة؟ أما القضايا الدينية فنحن نؤمن بكل أنبيائهم فليست لدينا مشكلة في التعامل معهم.

2) **المسيحية:** أما المسيحية فيمكن حصر قضايا الحوار معها في الآتي:

- عقيدة الثليث تشكل عقبة أمام علاقة إيمانية بينهم وبين المسلمين.
- الزعم بأن الرسالة الإسلامية انتحال للمسيحية مع تشويهها.
- الحروب الصليبية لديها ظروفها وأسبابها التاريخية ينبغي التخلص من آثارها.
- الحرية الدينية في المعتقد، وممارسة العبادة، وإنشاء دور لها في بلدان العالم الإسلامي التي فيها ديانات مسيحية، مع حرية التبشير.
- الإرتباط بين مسيحي الشرق وبين الغرب الذي لديه أجندة سياسية.

3) **المجتمع الغربي:** الغرب إشكالياته معقدة ويمكن إجمالها في الآتي:

- دوره الإستشراقي والإستعماري وما خلفه من آثار سلبية تعيق علاقته بالعالم الإسلامي.
- نظرته للحضارة الإسلامية نظرة غير منصفة.
- دوره في قيام دولة إسرائيل ودعمه لها.
- محاولته المستمرة للهيمنة والسيطرة على العالم الإسلامي وإخضاعه لنفوذه.
- تعريفه للإرهاب ووسائله لمكافحته.
- استنزافه لموارد العالم الإسلامي عن طريق ربط إقتصاده به منذ فترة الإستعمار.

- مواقفه من بعض التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمرأة والحدود وتقييد الحرية الشخصية.

- المسلمون في الغرب ماهي أسس التعامل معهم.

هذه القضايا وغيرها يمكن أن تعتبر أساساً للحوار مع هذه الجهات وتلك التيارات، لكي يصبح الحوار ثقافة عامة في العلاقات الإنسانية، وقد بدأت بعض التيارات والجهات حواراً فعلياً كالذي حدث في لبنان بين المسلمين والمسيحيين، ومثله ما حدث في السودان عبر الحوارات التي جرت بين المسلمين والمسيحيين وكان ثمرتها إنشاء مجلس التعايش الديني الذي يتكون من الطرفين كمنبر للحوار ولفض النزاعات وللأنشطة المشتركة، ولكن هذا المجلس أهمل بعد إنفصال الجنوب، ومن المهم إعادته لأنه وضع منهجا ممتازا للحوار بين المسلمين والمسيحيين في السودان. كذلك أثمر الحوار بين الإسلاميين والقوميين في تكوين المؤتمر القومي الإسلامي الذي وصل إلى مراحل متقدمة في العلاقة بين التيارين، ولكنه تعطل بعد ثورات الربيع العربي، ووصول الإسلاميين للحكم في بعض البلدان العربية، فلم يلتزموا بما اتفق عليه في أدبيات المؤتمر، وكذلك القوميين في بعض بلاد الشام لم يلتزموا.

ميادين الحوار:

الحوار له ميادين كثيرة، فعالم اليوم فرض التعايش المشترك بوجود التعددية الدينية في الوطن الواحد ، ولظروف الهجرة التي جعلت الإنسان ينتقل من مكان إلى آخر بقصد الإقامة الدائمة، مما يعني أنه انتقل إلى وطن جديد يكون خاضعاً لدستوره وقوانينه ، وسيجد نفسه يقيم مع آخرين يوحدهم الوطن الجديد وتختلف أديانهم ، كذلك فإن نسبة الكوارث تزداد يوماً بعد يوم مع ازدياد السكان وتطورالعلوم والصناعات التي تترك مخلفات تضر بالبيئة الملك المشترك للإنسان ، هذه الأوضاع توجب حواراً بين أهل الأديان للبحث عن دور الأديان في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي، والتعاون على البر، والعمل المشترك لفض النزاعات التي تنشأ بين بني الإنسان ، فالحوار ميادينه كثيرة : [**هنالك أولاً:** حوار الحياة ، وهو يعني الإهتمام بالآخر ، وتفهم خلفياته والإعتراف بتميزاته

، ومـن ثـم بنـاء عيـش مشـترك معـه عـلى قاعدتـي التفهـم والإعـتراف. **وهنـاك ثانيـاً:** حـوار العمـل، وهـو يعنـي العمـل معـاً إجتماعيـاً وإنسـانياً واقتصاديـاً، ومـن شـأن ذلـك أن يحقـق انصهـاراً مجتمعيـاً وتداخـلاً في العلاقـات وتكامـلاً في المصالـح. **وهنـاك ثالثـاً:** حـوار النقـاش، النقـاش الفكـري وحتـى العقـدي، ليسـت غايـة هـذا الحـوار توحيـد الديانـات، إنمـا تفاهمهـا، وليسـت الوسـيلة إلى ذلـك التوقـف أمـام التبايـن؛ بـل البحـث عـن المشـترك فيمـا بينهـا. **وهنـاك رابعـاً:** حـوار التجـارب؛ بمـا في ذلـك التجـارب الدينيـة، وهنـا أيضـاً ليسـت الغايـة ممارسـة العبـادة مثـل الآخـر، ولكـن إدراك الحقيقـة بـأن الآخـر يمكـن أن يعبـد اللـه بطريقـة مختلفـة] [1]. ومما تجـدر الإشـارة إليـه أن الآخـر أيضـاً مَعْنِـيٌّ بشـأن الحـوار مثلمـا أن المسـلمين معنيـون بـه، والواجـب التعـرف عـلى رؤيـة الآخريـن والوقـوف عـلى طريقـة تفكيرهم وآلياتهـم حتـى تسـهل عمليـة الحـوار، فقـد أقيـم عـدد مـن حلقـات النقـاش وورش العمـل وكذلـك مؤتمـرات خصصـت للحـوار شـارك فيهـا مسـلمون ومسـيحيون ويهـود وأصحـاب ديانـات أخـرى، وأصدرمعهـد الدراسـات الإسـلامية المسـيحية التابـع لجامعـة القديـس يوسـف ببـيروت كتابـا جمـع البيانـات الإسـلامية المسـيحية المشـتركة في الفـترة مـن عـام 1954 – 1992م ضـمّ [29] بيانـاً مشـتركاً ، كمـا أنـه قـام بإحصـاء للإجتماعـات والمؤتمـرات الخاصـة بالحـوار الدينـي في الفـترة مـن عـام 1941 – 1992م فكانـت الحصيلـة [251] لقـاء ومؤتمـراً. الأول كان في القاهـرة وموضوعـه إنشـاء جمعيـة الإخـاء الدينـي، والأخـير كان في جنيـف وموضوعـه: الديـن والشريعـة والمجتمـع [2]، وباسـتعراض هـذه المؤتمـرات واللقـاءات، نجـد أن المسـلمين والمسـيحيين شـاركوا فيهـا كلهـا، بينمـا كانـت اللقـاءات التـي ضمـت مسـلمين ومسـيحيين ويهـود [26] واللقـاءات متعـددة الأديـان كانـت [41] وقـد تناولـت جـل المواضيـع ذات الإهتمـام بـين أهـل الأديـان إن لـم تكـن كلهـا، كمـا نلاحـظ تطـوراً واضحـاً في العلاقـة بـين الديانتـين الإسـلامية والمسـيحية. فقـد كان موضـوع الحـوار الـذي عقـد في الخرطـوم عـام 1969م هـو [مـن أجـل اللقـاء مصادفـة] وموضـوع اللقـاء الـذي تـم في [ملطـان بباكسـتان] عـام 1992م كان [العمـل معـاً في سـبيل

(1)) محمد السماك: مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي ص (142 ـ 142) سابق.

(2)) جوليـت حـداد، البيانـات المسـيحية الإسـلامية المشـتركة، إشراف الأب أوغسـطين دوبـرة لاتـور، والدكتورهشـام نشـابة-بيروت-جامعـة القديـس يوسـف: إصـدار معهـد االدراسـات الإسـلامية المسـيحية، دارالمـشرق: الطبعـة الأولى:(1995).

انسجام العالم المخلوق] هذه اللقاءات والمؤتمرات أثمرت تقدماً في العلاقة بين الأديان وهيأت الأطراف المختلفة للعمل المشترك وللتعاون في أوجه الخير والبر، وباستعراض بعض البيانات المشتركة يتضح مستوى ما وصلت إليه العلاقة في بعض المناطق:

(أ) إنعقد لقاء إسلامي مسيحي في مدينة هونغ كونغ بتاريخ 10-4 كانون الثاني 1975م الموافق 26-20 ذوالحجة 1394م نظمه كل من مجلس الكنائس العالمي ولجنة الحوار الإسلامي -المسيحي لجنوب شرق آسيا تحت عنوان [المسلمون والمسيحيون في المجتمع] " لأجل الإدارة الحسنة والتشاور والعمل معاً في جنوب شرق آسيا " وصدر عن اللقاء بيان مشترك وافق عليه المشاركون بالإجماع يعلنون فيه عزمهم على تخطي التعايش السطحي للوصول إلى تعامل وتعاون حقيقي، ويستنكرون النواحي السلبية للتبشير والدعوة الراميين إلى اجتذاب الآخرين. واشتمل البيان على الآتي:

- الحاجة إلى حوار إسلامي مسيحي في جنوب شرق آسيا: سادت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في جنوب شرق آسيا مواقف وممارسات تتضمن النبذ والعداء. فنحن المسيحيين والمسلمين الذين دخلنا الحوار في هونغ كونغ آتين من مناطق ذات أوضاع مختلفة بعضها يتجسد بالتعاون والإنسجام والآخر يشوبه التوتر والصراع بين جماعاتنا في جنوب شرقي آسيا نعلن أن أياً من المواقف أو الممارسات السلبية لا يعكس وجه الإيمان المسيحي أو الإسلامي. فمجتمعاتنا الوطنية المختلفة، برأينا لديها الحق أن تنتظر من الجماعات المؤمنة المسيحية والإسلامية، لا الصراع ومجرد التعايش فحسب؛ بل الإدارة الحسنة والإستعداد للتداول معاً، والحماسة للتعاون في كل اتجاه ممكن. إن المسلمين والمسيحيين بحاجة بعضهم للآخر للتعاون في تخفيف حدة التوتر، وتأمين العدالة، وتخفيف الآلام، وتوفير الحياة اللائقة للشعوب كافة على الصعيد الإجتماعي والمادي والروحي.

- الأسس اللاهوتية للعلاقات بين المسلمين والمسيحيين ، وبينهم وبين المنتمين إلى ديانات أو أيديولجيات أخرى : دعت هذه الفقرة إلى إنشاء علاقة محبة

مـع الكائنـات البشريـة التـي خلقهـا اللـه الرحمـن الرحيـم الـذي يحـب ويحـب ، كمـا دعـت لاسـتعمال القـدرات الماليـة والسياسـية والإجتماعيـة والثقافيـة والفكريـة والروحيـة بمسـئولية وتعاطـف باعتبارهـا أمانـة إلهيـة لا يجوز إسـاءة إسـتعمالها بهـدف إكتسـاب مصالـح أنانيـة عـلى صعيـد الفـرد أوالجماعـة أو الأيديولجيـة، كذلـك تعرضـت للتخـوف الإسـلامي مـن المـوارد التـي يتلقاهـا المسـيحيون مـن الغـرب وتخـوف المسـيحيين في بعـض الأمكنـة مـن ميـل كفـة القـدرة السياسـية والماليـة لصـاح المسـلمين حيـث دعـت إلى ضرورة التطمـين المتبـادل بعـدم إسـاءة إسـتعمال القـدرات ، ودعـت إلى الإعـتراف المتبـادل بحقـوق المواطنـة ، وأكـدت هـذه الفقـرة عـلى العلاقـة الخاصـة بـين الديانـات الثلاثـة ـ اليهوديـة والمسـيحية والإسـلام ـ بانتمائهـا لـلأسرة الإبراهيميـة الروحيـة، وشـددت عـلى تقديـر الكتـب المقدسـة للطرفـين باعتبارهـا كنـوزاً ثمينـة تأمـر بعـدم الإكـراه ولكـن لا تـزال طـرق الإكـراه ، البـين والخفـي ، المعلـن والمبيـت ، تسـتخدم مـن أجـل اجتـذاب النـاس مـن معتقـد إلى آخـر ، يجـب الإقـلاع عـن اللجـوء إلى وسـائل كهـذه فهـي غـير جديـرة بالمسـيحية والإسـلام ، كذلـك دعـت إلى إبـراز القيـم السـامية والفاضلـة في الديانتـين مـن خـلال السـلوك والتعليـم .

- حقـول الإهتمامـات المشـتركة في الأوضـاع الإجتماعيـة والسياسـية: نحـن نؤمـن أن للـه مقاصـد خاصـة لـكل مـن جماعاتنـا ونؤمـن أن علينـا أن نتجـاوب مـع مقاصـده في عملنـا مـن أجـل مجتمـع أخلاقـي وعـادل. فالإزدهـار الحقيقـي لا يتـم مـن دون الإلتـزام الفـردي والشـخصي بالأخـلاق والعدالـة، وإننـا نعيـش في عالـم يسـاء فيـه اسـتعمال القـدرة، تقـع علينـا مسـئولية المسـاعدة عـلى تحقيـق الـشروط لإقامـة حـق القـدرة. فعـلى المسـلمين والمسـيحيين أن يظلـوا متنبهـين للأسـاليب التـي تتمكـن الميـول الأنانيـة أن تتغلغـل بواسـطتها ، ويمكـن للحريـة أن تتفتـت وتضيـع بسـبب تعديـات خفيـة أكثـر ممـا تضيـع في تعديـات صارخـة ومأسـاوية ، ويحـدث هـذا عندمـا تطغـى المصالـح الشـخصية أو الفئويـة عـلى الخـير العـام ، لذلـك يجـب أن يسـعى المسـلمون والمسـيحيون بـكل وعـي للتعاون مـن أجـل الدفـاع عـن خيرهـم المشـترك والعمـل معـاً في خدمـة اللـه وجيرانهـم ، علينـا الإطـلاع بهـذه المهـام حتـى في الحـالات التـي تكـون فيهـا جماعتنـا

السياسية ضعيفة وبدون أي قدرة ، بل عندما تعاني من عدم الأهلية الشرعية أو القانونية ، ومن هذه المهام العمل معاً من أجل المصالحة وإعادة البناء .

- واجبات الديانتين تجاه تغير القيم في مجتمعات سريعة النمو: تاريخياً ساهمت المسيحية والإسلام في تنمية المجتمعات البشرية، ولا سيما في التعبير عن القيم الأخلاقية. ولكن داخلتهما نشأة تقاليد وقوانين اجتماعية طغت على هذه القيم فتجمدت في تعابير دوغمائية وتشريعية حتى أنها انغلقت أمام التغير الضروري الذي اعتمده المجتمع للتجاوب مع الحاجات الطارئة. بل أكثر من ذلك فإن ديانتينا ظهرتا إلى حد ما في بعض قطاعات المجتمع (رجعيتين) تقاومان كل تطور. كثيرون يشعرون أن الديانة يجب أن تكون المرساة الصامدة في حالات التغير الإجتماعي السريع. ولكننا نشعر أن مجتمعاتنا السريعة التغير هي على حق عندما تنتظر من المسلمين والمسيحيين أن يحللوا بعناية ودقة قيمهما الأخلاقية في ضوء الظروف الجديدة التي تتطلب واجبات جديدة وأجوبة ملائمة الأسس الروحية والأخلاقية لإيمان كل منا هي مصدر النور والهدى، ولكن الحالات والظروف التي يجب أن يشع عليها هذا النور وأن يقودها الهدى هي في تغير مستمر. لذلك فإن واجب جماعتينا عن الحالات المجتمعية السريعة التغير يتطلب تعبئة جميع طاقاتنا لأجل عدة أهداف واهتمامات من بينها: كرامة البشرية، وحقوق الأفراد الأساسية، والعدالة الإجتماعية، ومنحى الوعي الوطني، والحرية في اختيار ديانتينا وممارستها. ومن الأهمية بمكان الكف عن التبشير السيئ الذي نحدده كجهد واع ومقصود لإرغام مؤمنين كي ينتقلوا من جماعة دينية لأخرى.

- التشاور والتعاون بين الجماعتين الدينيتين: دعا البيان للتشاور والتعاون بين الديانتين في مجالات: المحافظة على القانون، والمدافعة عن الصحافة الحرة والمسؤولة، وضمانة الحرية الأكاديمية، وتأكيد القيم الإنسانية وحمايتها في مجتمع تتوسع فيه التكنلوجيا يوماً بعد يوم، السعي في جميع الأصعدة من أجل تأمين المشاركة الملائمة والتمثيل الجيد في اتخاذ القرارات،

وتأمين الممارسة العادلة للسلطة من خلال القيادة المسئولة. السعي من أجل تخطي الأخطار التي تشكلها القوى الأيديولوجية لإيماننا ومعتقداتنا، التشارك في التحدي والتوقع من أجل إنشاء مجتمع يقيم وزناً لمستوى الحياة المجسدة في واجبات إنسانية وروحية. التعاون على تشجيع التبني المسئول والإجراءات العملية للحفاظ على البيئة وتأمين التوازن من أجل الأجيال القادمة.

- التعاون على الإسعاف وإعادة التأهيل: دعا البيان لعدم استغلال الظروف المأساوية لربط المساعدات بالتبشير الديني وعدم التمييز في تقديم العون الإنساني على أساس ديني ولضمان تحقيق ذلك دعا البيان لإجراء التشاور بين الجماعتين الدينية الواهبة والآخذة على صعيد التخطيط والإدارة والتنفيذ لبرامج الإسعاف حتى لا تحدث ريبة وسوء تفاهم. كذلك دعا لتطبيق متطلبات عدم التحيز على برامج إعادة التأهيل [1].

(ب) تم لقاء في (كارتيني) بسويسرا بتاريخ: 19 ـ 22 أكتوبر1976م الموافق: 25 ـ 28 شوال 1396هـ شارك فيه إثنا عشر مسلماً وإثنا عشر مسيحياً يمثلون هيئات إسلامية ومسيحية محلية وإقليمية ودولية وبعضهم مدعوون بصفتهم الشخصية لمشاركاتهم السابقة في الحوار الإسلامي المسيحي وشارك معهم الفريق الإداري لمجمع الكنائس الدولي لبحث مراحل الحوار الإسلامي المسيحي المستقبلية وخرج اللقاء بتوصيات جاء فيها:

1. وافق المشاركون على ضرورة التهيئة الدائمة للحوار وتشجيعها على جميع الأصعدة الممكنة داخل كل جماعة دينية. ويمكن أن تمثل الهيئات المسيحية والإسلامية الدولية والإقليمية والمحلية مع الأشخاص ذوي الكفاءة دوراً مهماً في تنظيم هذه [التهيئة] [2] ودعمها.

2. وشعر المشاركون أنه بالرغم من تزايد المبادرات من قبل الجانبين الإسلامي والمسيحي على الصعيد العالمي والإقليمي والمحلي، لا تزال المشكلة قائمة عند

(1)) جوليت حداد،البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة: بيانات مختارة من 1954 – 1992 م 1373-1412هـ الصفحات (73 – 81) بتصرف، السابق.

(2)) وردت في النص الهيئة وأظن الصواب: التهيئة

الكثيرين من المسلمين والمسيحيين الذين يتخوفون من فكرة الحوار. ولكن الجميع وافقوا على أن الإشتراك ذاته في الحوار يتيح فرصة [لإزالة][1] التخوفات وإشاعة جو من التفاهم والصداقة والثقة المتبادلة. وشعر المشاركون أن أية مخططات لخطوات الحوار القادمة يجب أن تقدم إلى الجانبين الإسلامي والمسيحي مع بيان عن أهداف الحوار.

3. كل جانب (إسلامي مسيحي) يجب أن يهدف إلى تحقيق: فهم العناصر المشتركة والعناصر المميزة في إيمان الجانب الآخر وتاريخه وحضارته ـ إحترام ديانة الجانب الآخر وثقافته ـ المساهمة في الإنسجام والمصالحة بين الديانتين – الإلتزام المشترك في إحقاق العدالة الإجتماعية والتنمية المسئولة لموارد الأرض – إغناء روحي متبادل في تحد مستمر للجانبين و(الجيران) العلمانيين.

4. كل جانب يجب أن يهدف إلى تجنب ما يلي: المقارنة السلبية والتشويه – أية محاولة لفرض حل توفيقي – المحاولة المبيتة لكسب عناصر من الجانب الآخر -الإكتفاء القانع بالتعايش الجامد – المواقف الدفاعية أو العدائية للجيران العلمانيين.

5. غالباً ما ينظر إلى الحوار كموضوع محادثة بين متخصصين أو تعاون بين هيئات منظمة. في حين أن الحوار كثيراً ما يبدأ كجزء من الإختبار اليومي بين رجال ونساء شيب وشبان من كلا الجماعتين الدينيتين وقد تباحث المشاركون تفصيلياً في ثلاثة مجالات تلاق وحوار هي: التربية، الحياة العائلية، العبادة والصلاة.

6. الحوار في الموضوعات الإجتماعية السياسية: بعض الموضوعات تستدعي التوضيحات في حوارنا على الصعيد الإجتماعي السياسي: الإيمان والسياسة في الفكر الإسلامي والمسيحي ـ العدالة الإجتماعية والتنمية – الإيمان والسياسة في لبنان – الإيمان والسياسة عند المسيحيين العرب – المسلمون في أوروبا ـ البلدان النامية – المسيحيون والمسلمون في حالات توتر سياسي – اللاهوت والحوار -الوحي – المواقف الدينية المتبادلة – الإيمان والعلم والتكنلوجيا بالنسبة لمستقبل البشرية -الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية[2].

(1)) هذه العبارة من عندى وأظن أن الجملة لاتستقيم بدون هذه الكلمة أوعبارة أخرى شبيهة

(2)) المرجع السابق ص: (110 – 118) بتصرف

وبالنظـر إلى الواقـع نجـد أن المسـيحيين ـ وخاصـة الغربيـين منهـم ـ لديهـم بـاع طويـل في هـذا المجـال، وربمـا نجحـوا في ذلـك لأنهـم اكتـووا بنـيران الصراعـات الدينيـة أكثرمـن غيرهـم، فانتبهـوا إلى أهميـة الحـوار في وقـت مبكـر، وبالممارسـة اسـتطاعوا التوصـل إلى إنشـاء آليـات لفـض النزاعـات، وقـد نجحـوا في ذلـك عـلى الأقـل في محيطهـم الداخـلي، وبالنسـبة لحوارهـم مـع أصحـاب الديانـات الأخـرى فقـد توصلـوا لرؤيـة واضحـة تحـدد أهدافهـم مـن الحـوار. أصـدر مجلـس الكنائـس العالمـي في عـام 1979 وثيقـة تضمنـت المبـادئ العامـة للحـوار مـع أهـل الأديـان الحيـة تتضمـن المبـادئ الآتيـة:

1) عـلى الكنائـس إيجـاد السـبل لتمكـين الجماعـات المسـيحية مـن الدخـول في حـوار مـع جيرانهـا مـن المؤمنـين بديانـات وعقائـد مختلفـة.

2) يجب الإعداد للحوار معاً.

3) عـلى المشـاركين في الحـوار أن يأخـذوا بالاعتبـار المـوروث الدينـي والثقـافي والتنـوع العقـدي الخـاص بـكل منهـم.

4) على المشاركين في الحوار أن يتمتعوا بحرية التعريف عن أنفسهم.

5) على الحوار أن يحرك الجهود الثقافية في المجتمع.

6) يكـون الحـوار مهمـاً للغايـة عندمـا يجعـل المتحـاورون مـن حياتهـم جـزءاً منـه.

7) يتحتم متابعة الحوار من خلال قيام مؤسسات مشتركة في المجتمع.

8) على المشاركين في الحوار التنبه لالتزاماتهم العقدية.

9) على المشاركين في الحوار التنبه لانتماءاتهم الثقافية.

10) على الحوار إثارة مسألة المشاركة في الإحتفالات: الطقوس والعبادة والتأمل.

11) يتحتـم التخطيـط للحـوار وتنفيـذه بصـورة جماعيـة عندمـا يكـون ذلـك ممكنـاً.

12) يتطلب التخطيط للحوار وضع أسس عامة له، محلية وإقليمية.

13) يمكن دعم الحوار من خلال المشاركة الإنتقائية في اللقاءات والمنظمات المتعددة الأديان [1].

هذا التوجه يساعد في تحقيق التعايش المشترك والتعاون بين الأديان ، فالطرف المسيحي ممثلاً في مجلس الكنائس العالمي ـ كما يتضح من هذه الوثيقة ـ لديه تفهم للواقع العالمي القائم على التعدد ، ولديه استعداد للتحاور مع الآخر الديني ، وهو لا يغفل منطلقاته العقدية والثقافية؛ بل يؤكد على الإلتزام بها ، مع استعداده للمشاركة في الطقوس الدينية والمناسبات الإجتماعية للآخرين ، بل لديه استعداد للعمل مع الآخرين ضمن آليات ومؤسسات مشتركة يتفق على أهدافها ، ويتطلع لأن يجعل من الحوار ثقافة تترسخ في حياة المسيحيين، هذا الإستعداد ينبغي أن يقابله استعداد مماثل من المسلمين، مما يفتح الباب للتفاؤل بمستقبل زاهر ينتظر الإنسانية تتوارى فيه ثقافة العنف، وتحل محلها ثقافة التسامح إذا اتبع القول بالعمل بإنشاء آليات لهذا الموضوع تجد دعماً مادياً ومعنوياً من أتباع الديانات كافة .

علينا أن ندرك أن الصراع التاريخي أملته ظروف خاصة بتلك المرحلة لا يجوز إسقاطها على الحاضر، فالإنسانية عبر مسيرتها عاشت تجارب كثيرة أفادتها، وبالتراكم المعرفي، وعِبر التاريخ، وضرورات الواقع؛ قفز وعي الإنسان لأهمية التعايش السلمي على كوكب الأرض، وذلك بالعمل على تجاوز نزعة الإقصاء والتحرر من عبئ الماضي تطلعاً لمستقبل أفضل.

إن ضمير الإنسان الحالي كونته العقائد الدينية. والعقائد الدينية تفاعلت مع العطاء الإنساني لتتحف الإنسانية بعشرين حضارة وبعشرة ألف ثقافة إنسانية.

إن العقائد الدينية قد أعطت الإنسانية الطمأنينة النفسية، والرقابة الذاتية، والتحصين الأخلاقي، والهوية الجماعية.

(1)) محمدالسماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامى المسيحى، السابق.

إننا في هذا المنحنى التاريخي من تطور الإنسانية جدير بنا أن نؤكد مرة أخرى أن الدين هام للحياة البشرية، وأن الهوية الثقافية جزء من تركيب المجتمعات الإنسانية. كذلك جدير بنا أن ندرك أن الإنسانية تخطت مرحلة الحداثة في حركة تطور لا رجعة منها إلى الوراء، بل تقفز عبر العولمة إلى عالم جديد لا يسعد إنسانه ولا يستقر حاله إذا لم يوازن بين مطالب الأصل ومطالب العصر.

مطلوب من أصحاب الديانات كافة من منطلق الحرص على وفاء له مستقبل، ومستقبل له وفاء، أن يؤكدوا تمسكهم بمبادئ تحقق تعايشاً سلمياً على كافة الأصعدة العالمية، والإنسانية، والإقليمية، والوطنية، تهدي الإنسانية سواء السبيل، وتجنبها التدين المتعصب والإنتماء الثقافي المنكفئ، والإندفاع في حداثة مستلبة وعولمة عمياء.

تلك المبادئ هي:

أولاً: الإعتقاد الديني ضرورة للإنسان: ضرورة للطمأنينة النفسية، وللرقابة الذاتية ولتحصين الأخلاق وللتماسك الإجتماعي وللهوية الجماعية. الإيمان حق إنساني إختياري لا يجوز إكراه الإنسان عليه ولا حرمانه منه. إن للحياة معنى روحياً، وكذلك لها معنى خلقياً، وهي معاني نزلت بها رسالات الوحي أو تفتقت عنها الفطرة الإنسانية المتطلعة دائماً لاكتشاف معاني الحياة الروحية والخلقية.

إن الأديان هي المسئولة عن تعريف عقائدها. وإن عقائدها كما تعرفها ينبغي أن تجد الإعتراف والإحترام. إن على المجتمع كفالة حرية العقيدة لأصحابها على أن يلتزموا بالإمتناع عن فرضها بالإكراه أو نشرها بالقوة بل أن يلتزموا بالتعايش مع العقائد الأخرى ونشر العقيدة بالتي هي أحسن.

ثانياً: إن الهوية الحضارية والثقافية حق للإنسانية يجب إحترامه وكفالته على أن تعترف الحضارات والثقافات ببعضها بعضاً، وتسعى للقاح إختياري للإثراء المتبادل، والتواصل النافع لأطرافه.

ثالثاً: حرية الفكر والبحث العلمي أساس لتقدّم الإنسانية. إن على الإيمانيين إحترام العقل الإنساني والحقائق التجريبية.

رابعـاً: إن للإنسـان ضرورات ينبغـي إشـباعها بمعادلـة متوازنـة وإلا اختـل مـزاج الإنسـان وقـلّ عطـاؤه. إن الإلتـزام الدينـي السـوي يتخـذ موقفـاً محيطـاً مـدركاً أن هـذه الـضرورات مرتبطـة بفطـرة الإنسـان وينبغـي توافرهـا في تربيـة الإنسـان وفي حياتـه.

خامسـاً: إن النظـام السـياسي الـذي يليـق بكرامـة الإنسـان، هـو النظـام الـذي يكفل حقـوق الإنسـان كمـا نـصّ عليهـا الإعـلان العالمـي لحقـوق الإنسـان -بعـد أن تتـم تكملتـه بإضافـة الحقـوق الدينيـة والثقافيـة -ويكفـل حريـات الإنسـان الأساسـية. ويقيـم السـلطة السياسـية عـلى أسـاس إنتخابـي حـر ومسـاءلة الحـكام بواسـطة المواطنـين.

سادسـاً: إن إقتصـاد السـوق الحـر هـو الـذي يحقـق أعـلى درجـات التنميـة الإقتصاديـة. عـلى أن يراعـى إقتصـاد السـوق الحـر الرعايـة الإجتماعيـة المطلوبـة للسـلام الإجتماعـي والرعايـة البيئويـة المطلوبـة للآيكلوجيـة المسـتدامة.

سـابعاً: لقـد صيغـت وثائـق حقـوق الإنسـان العالميـة في وقـت لـم تـبرز فيـه أهميـة حقوقـه الروحيـة والخلقيـة والثقافيـة ممـا يوجـب أن تراجـع لتكملـة النقـص.

ثامنـاً: مسـيرة الإنسـانية أوقعـت ظلمـاً عـلى بعـض الشرائـح الإنسـانية: إضطهـاداً لونيـاً ونوعيـاً. وشرائـح إنسـانية مسـتضعفة لصغـر سـنها، أو لكـبر سـنها، أو لأنهـا معاقـة. إن الضمـير الدينـي والخلقـي يتبنـى إنصـاف هـذه الشرائـح الإنسـانية دعمـاً للإخـاء الإنسـاني. كذلـك يتعـرض العالـم لكـوارث طبيعيـة أو مـن صنـع الإنسـان. إن عـلى المنظمـات الدينيـة أن تسـتعد دائمـاً لاحتـواء الكـوارث والنكبـات.

تاسـعاً: الأديـان العالميـة تـدرك أهميـة البيئـة الطبيعيـة وضرورة رعايتهـا. والأديـان الأفريقيـة تركـز عـلى التواصـل بـين أجيـال الإنسـان حاضرهـا وماضيهـا ومسـتقبلها، كمـا تركـز عـلى التواصـل الوثيـق بـين الإنسـان والبيئـة الطبيعيـة. ينبغـي إعطـاء إهتمـام بالبيئـة الطبيعيـة بعـداً روحيـاً وخلقيـاً لتقديـس المحافظـة عـلى كوكـب الأرض وإعطـاء البيئـة الطبيعيـة عافيـة مسـتدامة.

عـاشراً: لقـد تعولـت أنشـطة الإنسـان المختلفـة مواكبـة لمقتضيـات العولـة الحميدة. إن الحاجـة ملحـة لمؤسسـة عالميـة تكـون منـبراً للدراسـات المشـتركة والأبحـاث في الأديـان المقارنـة والإحصـاء والتوثيـق، ممـا يثـري أدب الأديـان المقارنـة لا مـن زاويـة أكاديميـة ولكـن مـن زاويـة إيمانيـة مشـغولة ببنـاء البعـد الروحـي والخلقـي للعولمة وسـاعية لعمـارة الكـون بصـورة موزونـة [1].

هـذا الفصـل تنـاول الحـوار الداخـلي والحـوار الخارجـي واتضـح ممـا سـبق أن الحـوار هـو أفضـل الوسـائل للوصـول للأهـداف بـدون خسـائر تذكـر، فبالحـوار يتـم اسـتجلاء المعانـى الغامضـة، وتصحيـح المفاهيـم الخاطئـة، وسيكتشـف المتحـاورون أن عنـاصر الاتفـاق بينهـم تفـوق عنـاصر الصـدام، فمـن الأجـدى أن يترجـم التنظـير والتوجيـه لواقـع ملمـوس، لتجنيـب كوكبنـا الصدامـات الداميـة التـي يرفدهـا التعصـب بعنـاصر التغذيـة، وسـوء الفهـم يغـرس الكراهيـة ممـا يجعـل الصـدام أمـرا محتومـا, إن مغذيـات البغـض والكراهيـة لايمكـن مواجهتهـا إلا بالوعـي بالقواسـم المشـتركة التـي ينبغـي أن تحـل محـل عوامـل الصـدام ، بهـذا تنتـشر في ثقافـة المجتمـع معانـي التسـامح والتواصـل والتعـاون، ليتشـكل الـرأي العـام الـذي يؤثـر عـلى متخـذي القـرارات وعندهـا سـيراعون تطلعـات المجتمـع ويسـعون للإسـتجابة لهـا .

(1)) الصادق المهدي: نداءات العصر ـ دار الشماسة للطباعة والنشر 2002م سابق.

الفصل الخامس

الإسلام بين الحوار والمواجهة

- المبحث الأول : عوامل الصراع بين الإسلام والآخر
- المبحث الثاني : التواصل الإسلامي مع الآخر
- المبحث الثالث : منهجية جديدة للتفكير

المبحث الأول

عوامل الصراع بين الإسلام والآخر

عندما جاء الإسلام كانت قريش تسيطر على مكة سلطوياً، وعلى كل أرض الحجاز معنوياً، فقد اكتسبت مكانة في نفوس العرب لسدانتها للكعبة وإشرافها على شئون البيت الحرام، وفي يثرب كان لليهود نفوذ على الأوس والخزرج بسيطرتهم على التجارة والصناعة المتاحة في ذلك الزمان، وتفردهم باتباع شريعة موسى، وكانت الإمبراطوريتان الرومانية والفارسية تمثلان القوى العظمى في ذلك التاريخ، وكانت المفارقة أن الدعوة الجديدة استطاعت أن تهدم المفاهيم الجاهلية في جزيرة العرب، وتتهاوى أمام جحافلها الفاتحة معاقل الإمبراطوريتين، وبسطت سلطانها في أقل من قرن على مناطق نفوذهما، هذا النجاح أثار حفيظة المستفيدين من النظام العالمي القديم بجاهليته وامبراطورياته، فسعوا لاستئصال الدعوة منذ البداية والقضاء عليها في مهدها؛ فأهل مكة ما تركوا وسيلة إلا واستعملوها ضد الإسلام والمسلمين مثل : [التشكيك، والتشويه، والتهديد، والإغراء، والتعذيب، والقتل، والإبعاد، والحرب،] واليهود لم يراعوا عهود المواطنة التي قام عليها المجتمع الجديد في المدينة، فغدروا بالمسلمين وانتهكوا عرضهم، وتحالفوا مع أعدائهم، وحاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم تسميماً وغدراً، والغربيون قادوا الحملة الصليبية للقضاء على المسلمين ، وعندما تمكنوا منهم في الأندلس انتقموا منهم فهدموا حضارتهم وأبادوا من تمكنوا منهم، تلك هي الخلفية التاريخية لصراع المسلمين مع الآخر، وبالبحث التاريخي المجرد، نجد أن الإسلام كان هو الضحية والآخر هو المعتدي، فحروب المسلمين كانت دفاعية وليست هجومية، فالآخر عجز عن مواجهة الدعوة الجديدة بالحجة فسعى لاستئصالها والقضاء عليها قضاء مبرماً، وهكذا وُجِدَت الظروف التي تشكلت في ظلها ثقافة العلاقة مع الآخر، وهي ظروف استثنائية بزوالها يعود الأصل لتنظيم العلاقة بالآخر وهو [عدم الإكراه، والتسامح، والوفاء بالعهد، والتعاون على البر.] كما اتضح في المبحث السابق، والواقع أن المجتمع البشري لم يخلُ من الصراعات في أي عصر

مـن عصـوره ـ فالصراع هـو أحـد ظواهـر التاريـخ الـذي لـم يتضـاءل أمـام تقـدم المدنيـة وانتشـار الديمقراطيـة في المجتمعـات.

الـصراع ينشـأ مـن تنـازع عـلى مـال أو جـاه أو سـلطة أو نفـوذ، أو أي شيء وراءه مطامـع. فـإذا تـرك ليتفاقـم، فإنـه سـيقود إلى حـروب مهلكـة، تسـتنفد طاقـات أطـراف الـصراع، بـل تتعداهـم إلى الآخرين. والحـروب لـن تُنْهِـي الـصراع، ولـن تُزيـل مـا وراءه مـن أسـباب، وقد يتعمـق الصراع فيتفجـر بعنـف أكـبر بعـد حـين.

عـلى الجانـب الأرشـد في المسـلك البـشري نجـد ظاهـرة التنافـس و –التنافس–خـلاف الـصراع، يخضـع لمسـتلزمات التعايـش السـلمي، ودوافـع التفاهـم والتعـاون لأجـل المصلحـة المشـتركة، ولتقديـم أفضـل مـا هـو متـاح، فيختـار الإنسـان مـا يريـد بـين البدائـل.

إن النزعـة التَّحَكُّمِيـة المسـيطرة هـي التـي تدفـع أصحابهـا للتصـادم مـع المخالفـين، وتغذيهـا عوامـل كثـيرة منهـا: الطمـع والخـوف والغـيرة والحسـد، إلى غـير ذلـك مـن الأمـراض التـي مـا أصيبـت بهـا أمـة مـن الأمـم إلا وجعلتهامهيـأة للعنـف. وفي العـصر الحديـث تجـدد الـصراع بـين الإسـلام والغـرب عـلى وجـه الخصـوص لأسـباب عديـدة، منهـا الإسـتشراق المشـوه للإسـلام، والممهـد للإسـتعمار، الـذي أذل أمـة الإسـلام ونهـب مواردهـا وزرع في بلدانهـا عوامـل نـزاع مسـتديمة.

إن رد الفعـل الـذي ظهـر في شـكل أعمـال العنـف الموجهـة ضـد الغربيـين، ومظاهـر الرفـض لـكل مالـه صلـة بالغـرب؛ بالشـعور الكامـن في وجـدان الشـعوب تجـاه مافعلـه الإسـتعمار في بلدانهـم.

والصحيـح أن الأسـباب مشـتركة فهنالـك عوامـل غربيـة تسـاهم في نـشر الكراهيـة لـكل مـا هـو غربـي في العالـم الإسـلامي، وهنالـك تصرفـات طائشـة يقـوم بهـا المتطرفـون المسـلمون تسـئ للإسـلام والمسـلمين وتغـذي تيـارات التطـرف الرافضـة لـكل مـا هـو إسـلامي في الغـرب.

ومـع زوال المعسـكر الشرقـي إنـبرى المفكـرون والكتـاب الغربيـون ـ أو بعضهـم عـلى وجـه الدقـة ـ يشـكلون عقليـة الـرأي العـام في بلدانهـم بـأن العـدو القـادم هـو

الإسلام؛ لأن مبادئه تتعارض مع القيم والقواعد التي قامت عليها الرأسمالية، وقد صاغ هذا المفهوم هانتنجتون [1] في أطروحته « الإسلام والغرب آفاق الصدام « وهي في الواقع توصيف لطبيعة الحضارة الغربية على النمط الامريكي، وتحليل لمآلات الاوضاع من وجهة نظرغربية، وتنبؤ بما هو متوقع، وإحساس بمآلات الأمور، وتساءل: (لماذا سيقع الصدام بين الحضارات؟ وأجاب عن هذا السؤل بسبب ستة عوامل هي فرضيات الصراع الحتمي بين الحضارات على حد قوله، تلك العوامل هي:

الأولى: أن التباين والإختلاف الحضاري ليس حقيقة فحسب؛ بل هو الأساس، فالحضارات تختلف عن بعضها بعضاً بفعل التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد، والأكثر أهمية عامل الدين؛ فأصحاب الحضارات المختلفة يعتنقون معتقدات مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان، والفرد والجماعة، وبين المواطنين والدولة، وبين الآباء والأبناء، وبين الزوج والزوجة، وذلك بالإضافة إلى رؤى مختلفة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات والحرية والسلطة والمساواة ...

الثانية: التقارب بين أجزاء العالم، وتزايد التفاعل بين أصحاب الحضارات المختلفة، هذا التفاعل المتزايد يكثف الوعي والإدراك الحضاري للإختلاف بين الحضارات والجماعات الدخيلة على هذه الحضارات. مما ينشط بدوره اختلافات وتباينات تعود أو يعتقد أنها تعود لتضرب في أعماق التاريخ.

الثالثة: إن عملية التحديث الإقتصادي والتغيير الإجتماعي في مختلف أنحاء العالم تنزع الناس من هوياتهم المحلية طويلة الأمد، كما أنها تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية وفي معظم أرجاء العالم تقدم الدين ليسد هذه الفجوة وغالباً في شكل حركات توصف « بالأصولية « وتوجد مثل هذه الحركات في المسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية والإسلام. وفي معظم الدول ومعظم الديانات فإن النشطاء في الحركات الأصولية هم من الشباب الحاصل على شهادات جامعية ومن الفنيين والحرفيين والتجار المنتمين إلى الطبقة المتوسطة.

---

(1)) نشر صامويل. ب. هانتنجتون -وهو مفكر استراتيجي-يهودى الديانة، أمريكى الجنسية – يعمل مديرا لمعهد «جون. م. أولين « للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الامريكية – نشر هذا المقال بمجلة الشئون الخارجية الامريكية – وهي دورية متخصصة عالية المستوى بعنوان: The Clash of Civilization سنة 1993م

الرابعــة: إن الــدور المــزدوج للغــرب عــزَّزَ زيــادة الوعــي الحضــاري. فمــن ناحيــة يعيــش الغــرب أوج قوتــه وفي الوقــت نفســه، ومــع ذلــك وربمــا نتيجــة لذلــك تحــدث ظاهــرة العــودة إلى الجــذور بــين الحضــارات غــير الغربيــة. فالغــرب في ذروة قوتــه يواجــه غــير الغــرب الــذي بــات وبشــكل متزايــد يملــك الرغبــة والإرادة والمــوارد لتشــكيل العالــم بأســاليب غــير غربيــة.

الخامســة: إن الإختلافــات والخصائــص الثقافيــة أقــل قابليــة للتغــير ومــن ثــم فإنها أقــل ســهولة في تســويتها وحلهــا عــن الخلافــات السياســية والإقتصادية.

الســادســة: إن الإقليميــة الإقتصاديــة آخــذة في التزايــد. ومــن المرجــح أن تتواصــل زيــادة أهميــة التكتــلات الإقتصاديــة الإقليميــة في المســتقبل فمــن ناحيــة فــإن الإقليمية الإقتصاديــة الناجحــة ســتعزز الوعــي الحضــاري. ومــن ناحيــة أخــرى فــإن الإقليميــة الإقتصاديــة ربمــا تنجــح فقــط عندمــا تنمــو جذورهــا في حضــارة مشــتركة. وإذا كانــت الثقافــة المشــتركة تمثــل شرطــاً مســبقاً للإندمــاج الإقتصــادي فمــن المحتمــل أن يتركــز محــور الكتلــة الإقتصاديــة الأساســية لــشرق آســيا في الصــين. وتشــكل الثقافــة والديــن أيضــاً أســاس منظمــة التعــاون الإقتصــادي التــي تضــم عــشر دول إســلامية غــير عربيــة هــي: إيــران وباكســتان وتركيــا وآذربيجــان وكازاخســتان وقرغيســتان وتركمانســتان وطاجاكســتان وأوزبكســتان وأفغانســتان. وكمــا يحــدد النــاس هويتهــم وفقــاً لمعايــير عرقيــة ودينيــة فمــن المرجــح أن ينظــروا إلى علاقــة « نحــن « مقابــل « هــم « تقــوم بينهــم وبــين أصحــاب ديانــة أو عــرق مختلــف، وســمح انتهــاء الــدول الآيديولوجيــة في شرق أوروبــا والإتحــاد الســوفيتي الســابق بــأن تحتــل العــداوات والهويــات العرقيــة صفــوف المقدمــة وتخلــق الإختلافــات في الثقافــات والديــن خلافــات حــول قضايــا السياســة تــتراوح مــن حقــوق الإنســان إلى الهجــرة إلى التجــارة والبيئــة. والأهــم أن مســاعي الغــرب لترويــج قيمــه في الديمقراطيــة واللبراليــة كقيــم عالميــة للحفــاظ عــلى هيمنتــه العســكرية وتعزيــز مصالحــه الإقتصاديــة قــد خلقــت ردوداً مضــادة مــن جانــب الحضــارات الأخــرى. ومــع تضــاؤل القــدرة عــلى حشــد التأييــد وتشــكيل التحالفــات والإئتلافــات عــلى أســاس أيديولوجــي ســتحاول الحكومــات والجماعــات بصــورة متزايــدة حشــد التأييــد باللعــب عــلى وتــر الديــن والهويــة الحضاريــة المشــتركة. وهكــذا فــإن صــدام الحضــارات يقــع عــلى مســتويين:

على مستوى صراعات جماعات التخوم على طول حدود الهوة الفاصلة بين الحضارات الذي غالباً ما يتخذ شكلاً عنيفاً حول السيطرة على الأرض وكل منها على الآخر. وعلى مستوى المؤسسات الدولية فإن الدول صاحبة الحضارات المختلفة التي تتنافس على قوة إقتصادية وعسكرية نسبية تتصارع حول السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة كما تتنافس في ترويج قيمها الدينية والسياسية) [1] انتهى [بتصرف].

تلك هي الإفتراضات التي بنى عليها المفكر الأمريكي الياباني الأصل «هنتينجتون» أطروحته، وغذى هذا الشعور بل أكده زلزال الحادي عشر من سبتمبر، الذي قلب الموازين وأدى إلى تغيير في السياسة الدولية قادت كبره الولايات المتحدة الأمريكية. إن قراءة هانتينجتون فيها جانب من الصواب، باعتبار أن الدولة التي يعيش فيها قامت على خلفية صراع دموي، أبادت بموجبه السكان الأصليين أو كادت، وظلت عقلية الصراع تصبغ سياستها ومواقفها\، ولكن إن صحت هذه الإفتراضات فى نهج الغرب الحضاري على النمط الأمريكي؛ فإنه لا يصح على الحضارات الأخرى وخاصة الحضارة الإسلامية. فالإسلام منذ نزوله نشر وسط المؤمنين به وعياً بالتباين والإختلاف بين القوميات والثقافات والعقائد، ووضع تشريعاً ينظم التعامل مع هذا التباين يقوم على العدل والمساواة والبر والتعاون، فالوعي بالإختلاف الحضاري عند المسلمين ليس جديداً، وإن كان التقارب الكوني قد ساعد في تأكيد ما نطق به القرآن وصار مشاهداً رأي العين، أما نزعة الهيمنة والسعي لفرض القيم بالقوة، فهو نهج غربي، واستعمار الشعوب خير دليل على ذلك، ومحاولة فرض المفاهيم والنظم الغربية في الحقبة الراهنة شاهد آخر، وأبلغ دليل واقعي على ذلك هو قيام إسرائيل على أرض عربية بعد تهجير أهلها والسعي لاستئصال الباقين منهم . ومما لا ريب فيه أن محاولة الغرب فرض قيمه على الآخرين، دون أن يكون لهم الحق في الإنتقاء، أو التوليف، أو التكييف، لتلك القيم كي لا تتعارض مع معتقداتهم وثقافاتهم؛ خلق صراعاً في كثير من أنحاء العالم، كما أن محاولات السيطرة والهيمنة من قبل الغرب، أدت إلى ردود فعل عنيفة في كثير من أنحاء العالم.

---

(1)) صموئيل بى. هانتينجتون، الإسلام والغرب – آفاق الصدام: ترجمة مجدي شرشر، القاهرة-مكتبة مدبولى الطبعة الأولى (141هـ–1995م) ص (11 – 20).

إنَّ علاقة الغرب بالإسلام تواجه تحديات كبيرة، فهنالك عوامل تجعل مفهوم الصراع الحضاري مهيمناً على العقليتين الإسلامية والغربية، وبالرغم من المحاولات التي يقوم بها المنصفون هنا وهناك لاحتواء الأمر، إلا أن الأمر يحتاج إلى جهد ووقت، فالغرب ينظر إلى العالم الإسلامي من خلال استدعائه للمخزون التاريخي في علاقته بالإسلام، ومن خلال الأحداث المعاصرة التي حمل فيها المتطرفون الراية وشوهوا صورة الإسلام. والمسلمون لا تزال ذاكرتهم تختزن تاريخ الإستعمار وممارساته ومخلفاته، كذلك وجود الكيان الصهيوني -الصناعة الإستعمارية -في قلب الأمة ينمي بذرة الصراع، إضافة إلى أحداث تنتج يومياً تسئ لكل من له صلة بالإسلام وتحتقره، هذه العوامل وغيرها تعتبر من مغذيات النزعة الصدامية.

لقد أدركت جهات كثيرة في الغرب وفي العالم الإسلامي خطورة الإتجاه الصدامي، وسعت لاحتواء الموقف بعدة وسائل، وحتى المنظمة الدولية -الأمم المتحدة -أدلت بدلوها في هذا الخصوص. ففي كلمة للأمين العام للأمم المتحدة الأسبق -كوفي أنان -خلال منتدى بعنوان «مجابهة التعصب ضد الإسلام: التثقيف من أجل التسامح والتفاهم»، نظمه قسم شؤون الإعلام التابع للمنظمة الدولية. في ديسمبر2004م شدد أنان في كلمته على ضرورة «عدم إغفال السياق السياسي في أي نظرة أمينة لمعاداة الإسلام»، مشيراً إلى «الاستياء [الذي] يعززه عدم حل الصراعات في الشرق الأوسط، والوضع القائم في الشيشان، والفظائع التي ارتكبت ضد المسلمين في يوغوسلافيا السابقة». وأضاف أنان إن «رد الفعل إزاء تلك الأحداث يمكن أن يكون عميقاً وعفوياً، إذ يكاد يثير إحساساً شخصياً بالإهانة». وأوضح الأمين العام أن «ردود الفعل هذه سياسية، إذ أنها خلافات مع سياسات معينة، وغالباً ما يساء فهمها فينظر لها باعتبارها رد فعل إسلامي مناهض للقيم الغربية، مما يؤدي إلى فعل معاد للإسلام». واعتبر الأمين العام للأمم المتحدة أنه «لا بد لأي استراتيجية لمكافحة معاداة الإسلام أن تعتمد بقوة على التثقيف، ليس بشأن الإسلام فقط فحسب، بل بشأن جميع الأديان والتقاليد، بحيث تتراءى وتتضح الأباطيل والأكاذيب». وأشار إلى ضرورة الحيلولة دون استخدام وسائل الإعلام والإنترنت لنشر الكراهية، مع القيام بحماية حرية الرأي والتعبير. انتهى [1].

(1) جريدة الشرق الأوسط العدد (9507) بتاريخ 8 ديسمبر2004م

هـذ الحديـث ينـم عـن إلمـام واسـع للأمـين العـام الأسـبق للمنظمـة الدوليـة بمـا يحـدث في العالـم، كمـا يوضـح معرفتـه بقضايـا العالـم الإسـلامي وتعقيداتهـا، ويؤكـد مـن ناحيـة أخـرى مـا ذهـب إليـه البحـث مـن أهميـة التسـامح لـدى الجميـع، أمـا الصـورة الثانيـة فنراهـا في تصـورات كاردينـال كاثوليكـي بـارز، وفي مفاهيمـه ومقترحاتـه، وهـو الكاردينـال "جـود فرايـد دانيلـز" كاردينـال بلجيـكا، وكبـير أسـاقفة بروكسـل، ميشـلان، لقـد قـال هـذا الكاردينـال: (إن عـلى المسـلمين أن يسـتعدوا لتفسـير القـرآن بقـدر أكـبر مـن المرونـة. وأنـه يجـب عـلى المسـلم الأوربـي: ألا يـرى تناقضـاً بـين اعتنـاق الإسـلام وبـين الاندمـاج في الثقافـة الأوروبيـة. مـن جهـة أخـرى: يجـب أن يتخـلى الجانبـان [المسـيحي والمسـلم] عـن أفـكار المـاضي، وأن يتوصـلا إلى افـكار يقبلهـا الطرفـان، فهنـاك الكثـير مـن الأشـياء الملتصقـة بالذاكـرة، وعـلى سـبيل المثـال: لـدى الطوائـف المسـلمة ذكـرى الصليبيـين التـي مـا زالـت حيـة في الأذهـان) [1]. هـذا الإهتمـام الـدولي يُبَـيِّنُ أن الجميـع يتطلعـون إلى تجـاوز منـاخ الـصراع والبحـث عـن صيغة تسـاعد عـلى التسـامح والتعـايش.

(1)) زين العابدين الركابي: الشرق الأوسط العدد (9510) بتاريخ: 11ديسمبر2004

المبحث الثاني

منهجية جديدة للتفكير

إعجاز الإسلام يتمثل القرآن الكريم، الذي اشمل على المبادئ العامة التي تضمنها، والتعاليم المرنة التي جاء به التشريع، والرؤية المحيطة للكون والحياة والأحياء؛ إن إعجاز القرآن باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[فصلت:41-42] أما الإسلام كتطبيق وتنزيل على أرض الواقع؛ فهو عمل بشري، يعتريه ما يعتري البشرية من نقص وقصور ، ونجاح التجربة البشرية محكوم بتوفر شروط النجاح ، قال تعالى : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ..** ﴾[آل عمران:110] ولكن واقع المسلمين يقول إن كثيراً من المسلمين يركنون إلى هذه الخيرية دون أن يلتزموا بشروطها، وهذا يدخل في باب الأماني.

إن بعض أوجه القصور التي صاحبت المسلمين سببها : تضخيم الذات، والتطلع إلى النصر دون بذل مجهود، وتحميل الغير مسئولية الإخفاقات، هذه النظرة إن لم تتغير سوف تتوالى الكوارث علينا ونسلم قيادنا لأعدائنا، فيبرموا أمرنا دون أن نُسْتَشَارَ قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ..** ﴾[الرعد:11]، إن الفهم الخاطئ لرسالة الإسلام يعود إلى مناهج التربية والتعليم؛ فهي في الغالب مناهج تعتمد على الرواية، والتحفيظ، والتخويف، فهي تخرج نسخا متكررة تحفظ ولا تعي، وتروي ولا تجسد القيم في سلوكها؛ لذلك هنالك ضرورة لإعادة النظر في هذه المناهج.

الدعوة لإعادة النظر في المناهج التعليمية والتربوية، رفضها بعض دول العالم الإسلامي، والفضائيات العربية تستضيف من تعتبرهم قادة الرأي والفكر لمعرفة آرائهم في هذا الموضوع، وكالعادة بعضهم رفض ذلك بشدة واعتبره استعماراً جديداً، وبعضهم أيّد على أساس أن المشروع

الإسلامي قد فشل في إيجاد حلول لمشاكل الأمة، وآخرون تحفظوا !! فما هو الموقف الصائب؟

إن مراجعة مناهجنا التربوية والتعليمية ضرورية للأسباب الآتية:

أولاً : العالم الإسلامي تهيمن عليه عدة مناهج : فالمنهج الرسمي في الغالب منهج مذهبي تقليدي، يعتمد آراء صاحب المذهب الذي تتبعه الدولة في التعليم والقضاء الشرعي، وبعض الدول تتبع أكثر من مذهب، وهنالك المنهج الذي تتبعه حلقات الدروس التقليدية في المساجد، والحوزات، والمجامع العلمية، وكلا المنهجين يعتمد على الحفظ، والرواية، والتقليد، والالتزام الحرفي بآراء السلف، في التفسير والفقه والسيرة وفهم السنة دون اجتهاد، وهنالك مناهج الحركات الإسلامية الحديثة؛ التي ثارت على الأوضاع القائمة، وادعت التجديد والاجتهاد، ولكنها ما لبثت أن لجأت إلى التقليد، وفرضت على عضويتها دراسة كتب بعينها، وحرمت عليها الانفتاح على اجتهاد الآخرين، هذه المناهج تخلو من التحليل والنقد والمقارنة، وأهم الأخطاء التي لازمتها هي :

الخطأ الأول: إعطاء قدسية لآراء المجتهدين السابقين فأصبحوا هم مراجع الماضي والحاضر والمستقبل.

والخطأ الثاني: هو عدم التمييز بين النصوص القطعية الورود والدلالة، والنصوص الظنية. وبالتالي عدم التمييز بين الثابت والمتغير من أحكام الإسلام.

والخطأ الثالث: هو إسقاط مشاكل الماضي على الحاضر، فالخلاف التاريخي بين السنة والشيعة، لا زال يُلقي بظلاله على علاقات الطرفين، وفقه الصراع مع الآخر الملي، الذي يقسم العالم إلى دولة سلم ودولة حرب، لا زال يُدَرَّس بالرغم من أن كل الدول الإسلامية موقعة على ميثاق الأمم المتحدة! وبالرغم من أن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين قطعت شوطاً بعيداً حتى أنه في فبراير2004م عقد اتفاق بين السنة والشيعة في العراق، رعته الكنيسة الأنجليكانية وأشرفت عليه! وما زالت حلقات العلم والمعاهد والجامعات الإسلامية تدرس أحكام الرق وملك اليمين، وأم الولد والمكاتب والمدبر؛ بالرغم من إلغاء الرق وزواله منذ عدة عقود.

والخطأ الرابع: هو تبرير الاستبداد السياسي، واعتبار أي دعوة لتغييره هي دعوة إلى الفتنة، هذا النهج غيب فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأسقط النصح الذي هو فريضة إسلامية، ووسيلة لحماية السلطة من الانحراف.

إن هذه المناهج هي التي شَكَّلَت عقلية غالب المسلمين وهي المسئولة -مع عوامل أخرى -عن أوضاعنا الراهنة التي تقودها أفكار عاجزة عن مواجهة تحديات الحاضر، وفشلت في استنهاض الأمة فأسلمتها إلى أعدائها ليقرروا مصيرها.

ثانياً : الولايات المتحدة طعنت في عقر دارها في الحادي عشر من سبتمبر 2001م فتحركت بأساطيلها البحرية والجوية وجنودها لتغيير النظم السياسية التي تعمل ضد مصالحها وتهندس الآن – في عهد الرئيس بوش الابن- مشروعاً ثقافياً وسياسياً لتغيير المناهج التي تفرخ الإرهاب فكما أنها غزت أفغانستان والعراق دون اعتبار للشرعية الدولية فهي تتشاور مع حلفائها الغربيين لصياغة مشروعها السياسي والثقافي الذي تسعى لتطبيقه في منطقة الشرق الأوسط دون أن تستشير أصحاب الشأن، وجاء الرئيس ترامب فقلب الطاولة على الجميع، وأعلن رؤية الرأسمالية الأمريكية للعالم بوجهها الحقيقي الساعي للهيمنة دون اعتبار للآخرين.

إن المشروع الأمريكي يحمل في باطنه الخير والشر: فالتغيير مطلوب ولكن الوسائل غير شرعية والأهداف غير نبيلة (إنها كلمة حق يراد بها باطل). فإن لم نبادر لتغيير المناهج بالصورة التي تحقق لنا التمسك بالأصل ومسايرة العصر، فإن التغيير سيفرض علينا، وسيكون تغييراً لخدمة المصالح الأجنبية وليس لمصلحة الإسلام والمسلمين، والمكابرة غير مجدية في هذه المرحلة، فالآخرون يفعلون ما يريدون، ونحن نكثر من الإحتجاج بوسائل عقيمة لا تلبث أن تتلاشى؛ والشواهد أكثر من أن تحصى، فالقضية الفلسطينية تراجعت عما كانت عليه عندما رُفض التقسيم، والوحدة الإسلامية تتصدع كل يوم، والخطاب الدينى لم يكن تأثيره كما كان؛ لا بد من إدراك الواقع للتعامل معه بوعي.

ثالثـاً: المفاهيـم الخاطئـة لا تجـد وسـائل مقاومـة تتصـدى لهـا بفاعليـة، فوسـائل نشرهـا متقدمـة عـلى وسـائل كبحهـا، فـلا بـد مـن إعـادة النظـر في وسـائل المقاومـة وأدواتهـا.

إن تغيـير المفاهيـم الخاطئـة لـن يتـم مـا لـم نجفـف المنابـع التـي تغذيهـا، والمناهـج القائمـة واحـدة مـن عوامـل تفريـخ المفاهيـم والمواقـف الخاطئـة. كنـت أتناقـش مـع أحـد الأسـاتذة، فوجدتـه مشـبعاً بأفـكار خلاصتهـا: أن الجهـاد واجـب علينـا ضـد الكفـار إمـا أن يسـلموا أو نقتلهـم، وأن النصـارى هـم أهـل ذمـة ومواطنـون مـن الدرجـة الثانيـة، وواجبنـا أن نضايقهـم في الطرقـات فيسـيروا في أطـراف الطريـق!! وأن الحديـث عـن المواطنـة والدولـة المدنيـة هـو تطويـع للإسـلام مـن أجـل إرضـاء الكفـار، وهـذا الأسـتاذ ملتـزم بتدريـس هـذه الأفـكار لتلاميـذه، وهـو مسـلم مـن عامـة المسـلمين، لا ينتمـي لأي جماعـة إسـلامية، حتـى نقـول إنهـا جنّدتـه وغرسـت في ذهنـه هـذه الأفـكار، إنـه اسـتقى هـذه المفاهيـم مـن المناهـج الدراسـية ومـن خطـب الجمعـة، وأمثالـه كثـر في مجتمعاتنـا !!.

إن التغيـير مطلـوب، ولكن يجب أن يكـون بأيدينـا وإرادتنا لا أن يفرض علينـا، فالتغيير عـلى الطريقـة الأمريكيـة اسـتبدال لباطل بباطـل؛ لأن المـشروع الأمريكي يهـدف للقبول بإسرائيـل وتطبيـع العلاقـات معهـا، واعتبـار حـركات المقاومـة حـركات إرهابيـة؛ أما مشروعهـا الديمقراطـي، فقد رأينا نموذجـه في العـراق؛ فحاكم العراق الأسـبق (بريمر) رفـض نتائـج الإنتخابـات العراقيـة الأولى؛ لأنها أتت بأحـزاب تتبنى الشريعة الإسـلامية كمصـدر للتشريـع، وقال نرفض أن يكون الإسـلام مصـدراً للتشريع في الدسـتور العراقي المقـترح، ومعاقبة الشـعب الفلسـطيني على قـراره الحـر في اختيار من يمثلـه، يوضح لنا أن الغـرب الرسـمي لا يقبـل الإصلاح إلا وفق رؤيتـه فالمشروع الأمريكـي مشروع تدجين وتطويـع وحمايـة للمصالـح الأمريكية، لا مـشروع تغيير لمصلحة شـعوب المنطقـة، وإذا كان الحـكام في عالمنـا لا يسـتجيبون لإرادة الجماهـير إلا بالضغـوط الخارجيـة فإنهـم سـيرتكبون خطأين :

الأول: إنعـدم الاسـتجابة لتطلعـات شـعوبهم تفقد هـذه الشـعوب الثقة، وفقـدان الثقة أحد عوامـل الإنحطـاط الحضاري.

والثانـي: دفـع شـعوبهم للاسـتعانة بالأجنبـي ليحقـق لهـم أهدافهـم، وهـذا يفتـح البـاب للانبهـار بالآخـر ويدفـع الشـعوب للاسـتلاب. والإنصـاف يقتـضي عـدم التعميـم فالموقـف الأمريكـي لا ينطبـق عـلى كل الغربيـين؛ بـل لا ينطبـق عـلى كل الأمريكيـين، فهنالـك تيـارات عديـدة أمريكيـة تعـارض نهـج الهيمنـة، الـذي ينـزع نحـو العنـف، وبعـض الـدول الأوربيـة موقفهـا إيجابـي، حيـث تسـعى إلى تحقيـق الإصـلاح بالتعـاون مـع أهـل المنطقـة ففـي مؤتمـر ميونيـخ الأربعـين الـذي عقـد في: 17 فبرايـر 2004م قـدم وزيـر خارجيـة ألمانيـا ـ آنـذاك ـ السـيد: يوشـكا فيـشر مقترحـاً دعـا فيـه إلى توقيـع إعـلان مـن اجـل مسـتقبل مشـترك يقـوم عـلى ثلاثـة مبـادئ هـي:

المبـدأ الأول: يعلـن الموقعـون إيمانهـم بالأمـن ونبـذ العنـف، وبالديمقراطيـة والتعاون الاقتصـادي، وبالحـد مـن التسـلح ونـزع السـلاح، ونظـام الأمـن التعاونـي ويلتـزم كل الموقعـين بالمشـاركة في مكافحـة الإرهـاب معـاً.

المبـدأ الثانـي: يـرى الموقعـون في سياسـة الإصـلاح السـياسي والاقتصـادي والاجتماعي في الدولـة والمجتمـع الـرد الحاسـم عـلى تحديـات القـرن الحـادي والعشريـن ويدعمون دمـج اقتصاداتهـم الوطنيـة كمـا يسـعون إلى الحكـم الرشـيد الـذي يلتـزم حقـوق الإنسـان والحـق والقانـون والى مشـاركة المواطنـات والمواطنـين في عمليـة صنـع القرار السـياسي والى مجتمـع مدنـي قـوي ومسـتقل ومسـاواة المـرأة ودمجهـا في الحيـاة العامـة.

المبـدأ الثالـث: يلتـزم الموقعـون بإتاحـة فرصـة المعرفـة والتعليـم للجميـع مـن نسـاء ورجـال عـلى قـدم المسـاواة، والهـدف مـن ذلـك بنـاء مجتمعـات المعرفـة في المنطقـة. ويتفـق هـذا الهـدف والمهمـة الاسـتراتيجية المحوريـة التـي عرفهـا تقريـر التنميـة الاسـتراتيجية العربيـة. إن مـا يميـز المـشروع الألمانـي هـو أنـه يدعـم التطلعـات الشـعبية في المنطقـة بالتعـاون مـع أهلهـا ولا يؤيـد فـرض إصلاحـات خارجيـة.

رابعـاً: التغيـير الـذي ننشـده هـو تغيـير للمناهـج المنتجـة للمفاهيـم الخاطئـة والتي أقعـدت أمتنـا عـن النهضـة، وتغيـير للنظـم السياسـية القائمـة عـلى الاسـتبداد والتـي قتلـت في شـعوبنا روح المقاومـة بسـبب الانتهـاكات المسـتمرة لحقـوق الإنسـان وغياب

الحريات، وتغيير للوسائل التي نفّرت ولم تبشر، وعسّرت ولم تيسر، حيث غابت الحكمة والرحمة والتدرج، وسادت وسائل الحماقة والتطرف والغلو.

خامساً: لكي تصحو أمتنا من غفوتها وتقوم بأداء رسالتها فإننا محتاجون لثورة معرفية تنفض عن معارفنا غبار السنين، وتضع مناهج تستند على مصادر المعرفة الأربعة: (الوحي والإلهام والعقل والتجربة) ومحتاجون لمناهج تأصيلية تُمَيِّزُ بين الثابت والمتغير من أحكام الإسلام، وتوفق بين الأصل والعصر، وتستوعب المستجدات في الساحة العالمية، وتحدد مرابطها في الفقه الإسلاميومقاصد الشرع الحنيف. ومحتاجون لمؤسسة للاجتهاد تضم أهل التخصص في شتى العلوم والمعارف؛ لتقوم بواجب الاجتهاد العصري، حتى نكتب لأمتنا عمراً جديداً، ونحقق عالمية هذا الدين، الذي جاء لكل الناس قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[الأنبياء:105]**.

هذا المنهج الذي نتطلع إليه، يؤسس لقواعد ضرورية لإدارة الحوار تعالج مثالب المنهج الإعتذاري الدفاعي منها:

1. الإهتمام بالحوار البيني ومنه الحوار السني الشيعي والحوار الداخلي، فمن الضروري ألا يستأثر الحوار بين الحضارات على الاهتمام، فهنالك أهمية للحوار الداخلي بين الشعوب وحكوماتها، وبين التيارات الفكرية والحركية المتنوعة. ورغم أن هناك توجساً من إمكانية نجاح مثل هذا الحوار، إلا أن المهتمين به يؤكدون أنه لا بد من التعويل على عنصر الوقت، لإنجاح هذا الحوار على المدى المتوسط والطويل.

2. المطلوب في الحوار ليس الدفاع عن الأصل فقط، ولكن إدراك أن الهجوم على الأصل -الإسلام -ليس إلا وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، ومن ثم ضرورة أن نتصدى لسيل تشويه صورة المسلمين في كل القنوات الممكنة، وبكل السبل المتاحة، وفق إستراتيجية مخططة للحركة المنظمة.

3. ومن اهم أسس هذه الإستراتيجية: نقد الذات أولاً، ثم العمل المؤسسي، ومن خلال تنسيق الجهود بين المؤسسات الإسلامية سعياً نحو تفعيل الموارد المادية البشرية المحدودة القادرة على الحوار بفعالية.

4. التنسيق وتوزيع الأدوار يجب ألا يقتصر على المؤسسات الرسمية ولكنه يجب أن يمتد إلى المستوى المدني والأكاديمي والشعبي، فالحوار الحضاري متشعب ومتعدد المستويات. فَمَن يُحاورَ من وأين؟ هذا سؤال مهم، يتوقف عليه تحديد أطراف الحوار وموضوعاته وأهدافه. والإجابة عن هذا السؤال تمثل جوهر الإستراتيجية التي يلزم أن تضعها وتنفذها مؤسسة فاعلة تخطط وتنسق وتنفذ.

5. الحاجة إلى اجتهاد فكري معاصر قوى وفاعل؛ لأن الإسلام -وإن كان يتضمن تنظيرات ورؤى تأصيلية حول وحدة الإنسانية والإستخلاف والعمران والتوازن في الكون وغيرها - إلا أن الممارسات في تاريخ المسلمين وواقع المسلمين، تثير أكثر من علامة استفهام حول الفجوة بين الأصل والعصر وبين الواقع، مروراً بخبرة التاريخ[1] .

إن مشاكل الأمة تزداد كل يوم وتتحول إلى أزمات، والمنهجية المتبعة غيرقادرة على إيجاد حلول لها؛ لأنها منهجية وُضعت لزمان غير زماننا، ولظروف تختلف عن الظروف المعاصرة، فكما أن المصلحين من فقهاء وعلماء الأمة قديماً قد اجتهدوا بالتصدي للمستجدات في زمانهم ووجدوا تكييفاً شرعياً للتعامل معها؛ فإن واجب المصلحين من الخلف لا يقل عن واجب من سبقهم، وعطاء القرآن لم يتوقف، فقط يحتاج إلى من يستنطقه.

(1) نادية مصطفي وعلاء أبوزيد، خطابات عربية وغربية في حوارالحضارات ص (10 ـ 11) سابق.

المبحث الثالث

التواصل الإسلامي مع الآخر

النقلة الكبرى التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإنساني؛ تتمثل في المفاهيم الجديدة التي جاء بها، والمبادئ التي دعا إليها، والقواعد التي رسخها، وهي جديدة على المجتمع الإنساني، الذي كانت تسيطرعليه مفاهيم ساذجة، وعقائد وثنية في الغالب، وفوارق إجتماعية، بسبب اللون أو العرق أو النوع؛ ومن أبرز ما جاء به الإسلام: أن العقيدة جاءت بتوحيد الله وكرامة الإنسان، والعبادة ليست علاقة روحية بين العبد وربه فحسب؛ بل لديها بعد إجتماعي، والعلاقات الإجتماعية تقوم على المساواة والعدل والرحمة والبر. لقد ألغى الإسلام التمايز الطبقي بين الناس، وأكد وحدة الأصل الانساني، وشرع لإلغاء الرق الذي كان سائداً في المجتمع البشري، وكما حرر الإسلام الإنسان من إستعباد أخيه الإنسان، حرره أيضاً من رِقٍّ آخر هو أسوأ من الإستعباد: ألا وهو خضوع العقل للخرافة والتضليل المعرفي؛ فقد (كان الناس يتعاملون مع الكون بحشد من المخاوف والأساطير، وكانوا يخشون أنهم لو فشلوا في ممارسة السحر والطقوس والترانيم الوثنية في اتصالهم بالكون، فإنهم سيباغتون بانقلاب في نظام الطبيعة كله. وكانوا يفسرون الكون تفسيراً خرافياً عجيباً. فمنهم من يفسر حركة الكسوف والخسوف بأن وحشاً ضخماً قد قضم الشمس أو القمر. ومنهم من يقول بأن الأرض محمولة على قرن ثور، وأن حركة المد والجزر ليست سوى أثر من آثار شهيق الثور وزفيره. ومنهم من جزم بأن السماء «قبة» من نحاس، وان من يزعم غير ذلك فهو ملحد مهرطق يجب قتله. ولم يكن العرب استثناء من هذه الأساطير والأوهام فيما يتعلق بالكون. فقد كانوا ملفوفين في ظلمة التنجيم والتكهن والتطير. وخرافات الهامة والصفر والغراب الأسود:

يَا عَبْلُ كَمْ يَشْجَى فُؤَدِي بِالنَّوَى وَيَرُوعُنِي صَوْتُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ [2]

(2) إبراهيم محمد قاسم، شاعرالحب والحرب عنترة بن شداد، الزقازيق – مصر-مطابع الإشعاع ص(60).

هـذه ـ ونظـائرها ـ هـي: «مفاهيـم» النـاس في العالـم -بوجـه عـام -عـن الكـون: تصـوراً وتفسـيراً وموقفـاً وتعامـلاً) [1]. هـذه الأوهـام نتـاج طبيعـي لنهـج العقائـد المتبعـة في ذلـك الزمـن، ومصـادر المعرفـة قائمـة عـلى الظنـون والتخمـين، وليـس على التفكـير واسـتنتاج العقـل، وقـد حـارب الإسـلام هـذا النهـج بقولـه:﴿ **إِنْ هِـيَ إِلَّا أَسْـمَاءٌ سَـمَّيْتُمُوهَا أَنتُـمْ وَآبَاؤُكُـم مَّـا أَنـزَلَ اللَّـهُ بِهَـا مِـن سُـلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُـونَ إِلَّا الظَّـنَّ وَمَـا تَهْـوَى الْأَنفُـسُ وَلَقَـدْ جَاءهُـم مِّـن رَّبِّهِـمُ الْهُـدَى** ﴾[النجـم:23].

ويمكـن أن نلخـص مبـادئ الإسـلام العامـة الْمُؤَصِّلَـةِ لعلاقـات إنسـانية أخويـة تشـمل جميـع بنـي البـشر في النقـاط الآتيـة:

النقطـة الأولى: البعـد المعـرفي: لقـد كانـت الدعـوة للقـراءة أول كلمـات الوحـي نـزولاً:﴿ **اقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّـذِي خَلَـقَ * خَلَقَ الْإِنسَـانَ مِـنْ عَلَـقٍ * اقْـرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْـرَمُ * الَّذِي عَلَّـمَ بِالْقَلَـمِ * عَلَّـمَ الْإِنسَـانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق:1-5] والدعوة للتفكـر والتدبـر والتعقـل، مَيَّـزَتِ الْإِسْـلَامَ عـن غـيره مـن الأديـان، ونقلـت الإنسـان مـن العقليـة الخرافيـة إلى العقليـة العلميـة. فالقـرآن الكريـم يحـث عـلى التفكـر في الكـون؛ سـماء وأرضـاً، وفي المخلوقـات المبثوثـة في الأرض، وفي النفـس البشريـة، فهـذه الكونيـات واحـدة مـن قضايـا الإسـلام الكـبرى، التـي ينبغـي للإنسـان إدراك سـننها وقوانينهـا ليسـتفيد مـن تسـخيرها في تحقيـق مصالحـه، وبذكـر بعـض النصـوص القرآنيـة في هـذ الجانـب يتضـح هـذا المعنـى:

قـال تعـالى:﴿ **فَلْيَنظُـرِ الْإِنسَـانُ إِلَى طَعَامِـهِ * أَنَّـا صَبَبْنَـا الْمَـاء صَبًّـا * ثُـمَّ شَـقَقْنَا الْأَرْضَ شَـقًّا * فَأَنبَتْنَـا فِيهَـا حَبًّـا * وَعِنَبًـا وَقَضْبًـا * وَزَيْتُونًـا وَنَخْـلًا * وَحَدَائِـقَ غُلْبًـا * وَفَاكِهَـةً وَأَبًّـا * مَّتَاعًـا لَّكُـمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾[عبـس:24-32] هـذه الآيـات تحـث الإنسـان عـلى عـدم تغييـب تفكـيره حتـى في الأمـور التـي تعتـبر بدهيـة، كالطعـام والـشراب، ومـا يحيـط بـه مـن خـضرة وحيـوان. إن الإسـلام بدعوتـه لهـذا النـوع مـن التفكـير يؤكـد أهميـة الجديـة للحيـاة، فـكل نشـاط فيهـا يجـب أن يخلـو مـن العبـث واللامبـالاة.

وقـال تعـالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتُـم مَّـا تُمْنُـونَ * أَأَنتُـمْ تَخْلُقُونَـهُ أَمْ نَحْـنُ الْخَالِقُـونَ ***

(1)) زين العابدين الركابي: الشرق الأوسط. سابق.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ * أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ ﴾[الواقعة:58-72] هذه النعم لارتباطها بالإنسان يتعامل معها بتلقائية تكاد تنسيه الربط بينها وبين مصدرها، مع أنها عناصر الحياة البشرية إذا فقد واحدة منها لتعذرت حياته، إن الخالق يذكرنا بهذه النعم حتى يكون حاضراً دائماً معنا فبذكره وشكره، نحافظ على استمرار الحياة وننال بركتها.

وقال تعالى:﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾[الغاشية:17-20] إذا تدبرنا هذه الآيات، وجدناها تمثل أصول العلوم البايلوجية، والفلكية، والجيويولوجية، والطبيعة، والجغرافيا؛ وهي ملك عام للإنسانية، فالإسلام عن طريق المعرفة؛ خلق جسور تواصل بين بني البشر، وأصل لعلاقات إنسانية هادفة لتحقيق المصالح المشتركة للإنسانية. وللأستاذ: زين العابدين الركابي مقال رائع بهذا الخصوص نشر في جريدة الشرق الأوسط نقتبس منه الآتي: {{ثبت -بالاستقراء العلمي-: أن نهضة « التنوير « التي بثها القرآن، قد شملت كل مجال. وكل مستوى. وكل قضية. وكل دائرة من دوائر الحياة والكون.ذلك أن القرآن قد جعل « الكونيات «: واحدة من قضاياه الكبرى: تجديداً للإحساس والوعي بها. وتصحيحاً لفهمها. وحفزاً على التفكر الذكي فيها، والنظر الفطن إليها، والتعامل المتقن معها. وحرصاً على الانتفاع بها:

1. جدد القرآن: الإحساس بالكون بإزالة الغفلة المعطلة لرؤية الأشياء بسبب الإلف الطويل الذي يحرم العين من التحديق فيما حوله:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحج:63].

2. واقترن تجديد الاحساس بأشياء الكون ووحداته: بالتحريض على النظر في الكون:﴿ **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.** ﴾[يونس:101].

3. وبتجديد الإحساس، وبالنظر: يحض القرآن على التفكير في الكون:﴿ **وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[الرعد:3].

4. وبتجديد الاحساس بالكون، وبالنظر السديد إليه، وبالتفكير النابه فيه: يتهيأ الانسان القوي للتعامل المنهجي الموضوعي العلمي مع الكون « المسخر له « ومن أجله. فوحدات الكون وأشياؤه ليست « آلهة « تخاف فتعبد، ولا «مقدسات» خرافية يؤدي المساس بها إلى انقلاب في نظام الطبيعة!! بل إن هذه الوحدات والأشياء الكونية «مسخرّة « للإنسان: بشروط التسخير بداهة وهي: العلم الصحيح بسنن الكون وقوانينه وطاقاته ومفاتحه) [1].

فبتحرير العقل من الخرافة، وتسخير الكون للناس، خلق الإسلام تواصلاً معرفياً بين الإنسانية، إن نتائج العلوم التجريبية لا تخضع للهوى ولا هوية لها، فكل من امتلك أدواتها وصل إلى نفس النتيجة، لذلك كان التنوير القرآني في مجال الكونيات ليس محتكراً للمسلمين، وإنما هو متاح لكل الإنسانية وهي مدعوة له، وكان لهذا «التنوير القرآني» بالكونيات: أثره العميق الواسع في الواقع البشري: في الحضارة الإسلامية وفي الحضارة الغربية.

هذه المعرفة متاحة لكل الناس وليست مقتصرة على المسلمين، وبقانون التبادل كان المسلمون ينقلون ما عندهم للآخرين ويقتبسون منهم ما لم يعرفوه، وبقدر معرفة الإنسان بعناصر الأشياء وقدرته على الربط بينها يحقق كسباً معرفياً بغض النظر عن معتقده؛ قال تعالى:﴿ **كلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا** ﴾[الاسراء:20].

النقطة الثانية: الوحدة الإنسانية: التمييز الطبقي، والتفاضل العرقي، واسترقاق الإنسان لأخيه الإنسان؛ كانت من المفاهيم السائدة في العلاقات

(1) الشرق الأوسط (9468) بتاريخ: 30 أكتوبر2004م سابق.

الإنسانية في الحقبة التي سبقت مجيء الإسلام، وتعاليم الإسلام جاءت مُلْغِيةً لتلك المفاهيم الظالمة، وقد تبين في فصل سابق ريادة الإسلام وسبقه في هذا المجال، وفي هذا العصر تجددت الدعوة إلى (إحياء كل ما هو إنساني) في عالمنا هذا، وإلى إقامة العلاقات على أساسه، وفي ضوئه. لأن هنالك وعياً عالمياً بالقرية الكونية التي سيتأثر أي ركن فيها بما يحدث في أي جزء من أجزائها، مما يتطلب تعاوناً بين عُمَّارها للمحافظة عليها أولاً من الممارسات السيئة المضرة: مثل تلوث البيئة، وانتشار المخدرات، ونقل الأمراض الفتاكة، والهجرة غير الشرعية، وغيرها من أمراض العصر التي سماها أحد الإمام الصادق المهدي رحمه الله بأسلحة الضرار الشامل، وثانياً للتعاون الإيجابي بين شعوبها لتحقيق الوحدة الإنسانية في ظل التنوع.

لقد دعا الإسلام دعوة واضحة لمنع الضرر في أكثر من موضع؛ ولذلك نجد أن خليفة المسلمين أبوبكر الصديق يوصى يزيد بن أبي سفيان عندما بعثه على رأس جيش للشام قائلاً: (وَإِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ :لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ.وَلَا تَحْرِقَنَّ نَحْلًا، وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ، وَلَا تَغْلُلْ وَلَا تَجْبُنْ.)[1] والسنة النبوية دعت إلى منع من يسعى للضرر؛ بل أكدت أن الناس إذا لم يمنعوا المفسدين فسوف تحل الكارثة عليهم جميعاً ، كما وضح ذلك حديث السفينة حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ :حَدَّثَنَا زكريا قَالَ: سَمِعْتُ عَامِرًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا :لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[2] إن الإلتزام بهذه التوجيهات يحقق الإصلاح في الأرض ويمنع الفساد، ويحقق المحافظة على البيئة الملك المشترك للعنصر

(1)) الإمام مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي عام النشر (1406 هـ -1985 م) الجزء الثاني ص(447).

(2)) أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، صحيح البخاري، رقم الحديث: (2493) تحقيق: جماعة من العلماء، مصر، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر (1311 هـ) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى: (1422 هـ) لدى دار طوق النجاة – بيروت.

البشرى قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا** ﴾[الأعراف:56] وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ** ﴾[البقرة:204-205] فالتواصل الانساني دينياً وثقافياً وحضارياً تبادلاً للمصالح والمعارف أمراً بديهياً في الإسلام ، ولم يكن من القضايا التي يحتار فيها المسلمون في السابق ، لأنهم كانوا معافين من العلل المقعدة التي لحقت بالخلف ، وعاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه روح الإسلام فرأوا كيف أنهم تسامحوا حتى مع الذين سعوا لاستئصالهم فعفوا عنهم عند المقدرة وتجازوا عند التمكن فرفدوا الإنسانية لأول مرة بمنظومة قيم لا تعرف الثأر ولا الإنتقام بل إنهم أقروا للذين آذوهم بالأخوة ، فعندما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة منتصراً وتمكن من خصومه قال لهم : (يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا :خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال :فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ اذهبوا فأنتم الطلقاء)[1]!! ولم تمنعهم مخالفة الآخرين لهم في الدين أن يقتبسوا من تجاربهم، وجاء التشريع الإسلامي داعياً لبسط العدل مع كل الناس، ونهى عن الظلم والعدوان، ودافع القرآن عن اليهودي وبرأه وأدان المسلم؛ لأن معيار العدل واحد يطبق على كل الناس؛ فعندما سرق طعمة بن أبيرق - أحد بني ظفر من الأنصار- درعاً وانكشف أمره، فجاءت عشيرته إلى رسول الله تطلب إلحاق التهمة باليهودي وتبرئة المسلم، أنزل الله سبحانه وتعالى تسع آيات تبرئ اليهودي وتدين المسلم، وتطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر الله لاستماعه إلى عشيرة طعمة، ولاعتقاده أن يكون المسلم صادقاً، مبيناً للعالم كله أن من اكتسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه، وأنه لا ربط بين الإسلام وبين تجاوزات المنتمين إليه. قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَاأَنتُمْ**

(1)) صفي الرحمن المباركفوري [ت ١٤٢٧ هـ]، الرحيق المختوم -بيروت -دار الفكر (طبعة خاصة بدار ومكتبة الهلال) -عام النشر:(٢٠٠٢ م)، ص(372).

هَـــؤُلاء جَادَلْتُـمْ عَنْهُـمْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا فَمَن يُجَـادِلُ اللّهَ عَنْهُـمْ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّـن يَكُـونُ عَلَيْهِـمْ وَكِيلاً * وَمَـن يَعْمَلْ سُـوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَـهُ ثُـمَّ يَسْـتَغْفِرِ اللّهَ يَجِـدِ اللّـهَ غَفُـورًا رَّحِيمًـا * وَمَن يَكْسِـبْ إِثْمًـا فَإِنَّمَا يَكْسِـبُهُ عَـلَى نَفْسِـهِ وَكَانَ اللّـهُ عَلِيمًـا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِـبْ خَطِيئَـةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَـرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَـدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًـا وَإِثْمًـا مُّبِينـًا * وَلَـوْلاَ فَضْلُ اللّـهِ عَلَيْـكَ وَرَحْمَتُـهُ لَهَمَّت طَّآئِفَـةٌ مُّنْهُمْ أَن يُضِلُّـوكَ وَمَـا يُضِلُّـونَ إِلاَّ أَنفُسَـهُمْ وَمَـا يَضُرُّونَكَ مِـن شَيْءٍ وَأَنـزَلَ اللّـهُ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـكَ مَـا لَـمْ تَكُـنْ تَعْلَـمُ وَكَانَ فَضْـلُ اللّـهِ عَلَيْـكَ عَظِيمًا ﴿ [النسـاء:105-113] فهـذه دعـوة صريحـة بـأن الإختلاف مـع الآخر لا يسـقط حقه في العدالـة، والإنتمـاء للإسـلام لا يعطـي حصانة للمسـلم عندمـا يتجاوزالحـدود، لا بد من تصحيـح النظـرة التي تحـرم المخالف مـن أي فضيلة، وتضخـم الذات بـدون جهد، لا بد مـن معرفـة الآخـر ووصفه عـلى حقيقته لا كمـا نود.

النقطـة الثالثـة: إعتبار الفوارق والإختلافـات دافعاً للتلاقح والتعـارف: إن الفوارق لا تمنـع التواصـل فالإسـلام بـين أن الفـوارق للتعـارف وللإعتبـار، وليسـت للتصـادم والتقاطـع، فالأفـكار تتلاقـح، والمنافـع يتبادلهـا النـاس، والمعـارف تتكامـل، والأديـان تتعايـش، والحضـارات تتواصـل، ونلمـح في كثـير مـن أفـكار المسـلمين وممارسـاتهم، آثـار الديانـات والنحـل التـي كانت سـائدة في الأمصـار التـي افتتحها المسـلمون، فالأثر الرومانـي في الإدارة والقوانـين والمدنية ملحو ، وأثر الزرادشـتية والمانويـة والمزدكية بارز يقـول : أحمـد أمـين (وإذا كانت هـذه الأمـم المفتوحة أرقى مـن العرب مدنيـة وحضارة وأقـوى نظمـاً إجتماعيـة كان مـن الطبيعـي أن تسـود مدنيتهـم وحضارتهـم ونظمهم ، وإذا كان العـرب هـم العنـصر القـوي الفاتـح عدلـوا هـذه النظم بمـا يتفـق وعقليتهم ، فسـادت في البـلاد المفتوحـة النظم التـي كانت متبعـة من قبل الفتـح ، كنظـام الدواوين ونحـوه، وَأُقِـرَّ عـلى مـا كان عليـه، حتى لغـة الدواوين نفسـها ظلـت باللغـة الأصلية إلى عهـد عبد الملـك بن مـروان)[1]

إن مرونـة الإسـلام اسـتصحبت كثـيراً مـن القيـم النافعـة والمبـادئ العامـة التـي لا تتعـارض مـع أصـول الديـن الحـق، فالرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم جـاء متممـاً لمـكارم الأخـلاق، وكثـير مـن تعاليـم زرادشـت وجـدت طريقهـا للإسـلام إمـا لأنهـا

(1)) أحمد أمين، موسوعة الحضارة الإسلامية ـ فجرالإسلام ـ (الجزء الأول ص: 108) سابق.

لا تتعارض مع مبادئه، وإما بسبب تأثر بعض المسلمين بها فظنوها مبادئ إسلامية ، مع ملاحظة أن كثيراً من الذين أسلموا وكانوا يدينون بهذه النحل قد استصحبوا معهم كثيراً من أفكارهم السابقة التي من الصعب أن يتخلصوا منها بين عشية وضحاها، فتعاليم زرادشت تقول : (أن الماء والهواء والنار والتراب عناصر طاهرة يجب ألا تنجس .. وللإنسان حياتان : حياة أولى في الدنيا، وحياة أخرى بعد الموت، ونصيبه في حياته الآخرة نتيجة لأعماله في حياته الأولى، قد أحصيت أعماله في كتاب، وعدت سيئاته ديونا عليه، وفي الأيام الثلاثة الأولى التي تعقب الموت، تحلق نفس الإنسان فوق جسده، وتنعم أو تشقى تبعاً لأعماله، ومن أجل هذا تقام الشعائر الدينية في هذه الأيام إيناساً للنفس، وعند الحساب تمر النفس على صراط ممدود على شفير جهنم، وهو للمؤمن عريض سهل المجاز، وللكافر أرق من الشعرة، فمن آمن وعمل صالحاً جاز الصراط بسلام، ولقى " أهوراً " فأحسن لقاءه وأنزله منزلاً كريماً، وإلا سقط في الجحيم وصار عبداً " لأهرمن " وإن تعادلت سيئاته وحسناته ذهب الروح إلى الأعراف إلى يوم الفصل . وقد غُيِّبَ على الإنسان في حياته الدنيا ما أُعِدَّ له بعد موته، ولم يعلم الخير من الشر فكان من رحمة الله أن أرسل رسولاً يهدى به الناس، ويعلم زرادشت أن يوم القيامة قريب، وأن نهاية هذه الحياة ليست بعيدة وسيستجمع " مزدا" قوته ويضرب إله الشر ضربة قاضية، ويعذبه بالجحيم هو ومن أطاعه) [1].

واضح أنها نفس التعاليم التي جاء بها الإسلام، اللهم إلا الإختلاف في اسم الله واسم إبليس. وأيام المأتم الثلاثة شائعة عند المسلمين في بلدان كثيرة، إن تواصل المسلمين مع الآخر أثمر حضارة إسلامية إنسانية استصحبت النافع من عطاء الإنسان، وحتى ذلك التواصل الخشن فإن فيه مظاهر إيجابية، فالحروب الصليبية أتاحت للغربيين الوقوف على تجارب المسلمين وعرفوا منها أن الإسلام لا توجهه سلطة دينية بابوية، كذلك نقلوا المعارف اليونانية التي ترجمها المسلمون ونقحوها، والمغول بالرغم من تفوقهم العسكرى ونزعتهم المتوحشة وانتصاراتهم على المسلمين، إلا أنهم ما لبثوا أن اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من حماته.

---

(1)) موسوعة الحضارة الآسلامية: ص (116)، سابق:

إن عالمية الإسلام تؤكدها تعاليمه، وتصدقها وقائع التاريخ، واليوم نعيش عالماً جديداً تديره حكومة عالمية، وتعولمت كل مظاهر نشاطه فتزداد أهمية التواصل بين الإسلام وبين الديانات والحضارات والثقافات المنتشرة في ربوع الدنيا وذلك لاعتبارات كثيرة : فإضافة لموقفه المبدئي من الدعوة للتعاون بين بني البشر، فإن هنالك مصلحة حقيقية للمسلمين من التواصل الإيجابي مع الأديان والحضارات والثقافات، فالعالم الاسلامي محتاج لنقل التكنلوجيا وتوطينها في بيئته، ومحتاج للخبرات العلمية والمعرفية في معظم مجالات النشاط الانساني، كما أن هنالك عدد لا يستهان به من المسلمين يقيمون في هذه العوالم الحضارية، فإن أحسنا التعامل فيمكن أن يتحول هؤلاء المسلمون إلى سفراء يبرزون الجانب الإيجابي المغيب للمسلمين.

إن تصدر الحضارة الغربية للريادة حجب الرؤية عن حضارات أخرى لا تقل أهمية عن الحضارة الغربية، فهنالك الحضارة الصينية، والحضارة اليابانية، والحضارة الهندية، والحضارة الأفريقية، وغيرها من الحضارات التي يمكن أن ينفتح عليها المسلمون، خاصة وأنها حضارات غير ملغومة بأهداف سياسية حاجبة من الرؤية المستبصرة، وغير مشدودة لماض صراعي مع الحضارة الإسلامية يعطلها من الإنفتاح والتواصل المتبادل. فالمطلوب تأكيد إنحياز الإسلام لمبادئ التواصل والتعايش والتعاون مع الآخر المنصوص عليها في مراجعه الثابتة، وهذا التأكيد يكون أبلغ بالممارسة وإيجاد الآليات التي تتبناه أكثر من الكلام النظري، وهو ما يتطلب جهوداً مضنية يقوم بها أهل التخصص في كل المجالات لبلورة هذا المشروع وتنزيله لأرض الواقع.

إن مبدأ التواصل الحضاري عند المسلمين يقابله حماس مماثل من تيارات في الحضارات الأخرى التي استهجنت فكرة صراع الحضارات، المطلوب التواصل بين هذه التيارات المؤمنة بالعلاقة السلمية بين الطرفين، وتقوية العلاقة بينها، والاتفاق على القيام بعمل مشترك يتصدى لتيارات الصدام هنا وهناك وتجفيف منابعها، فبالتقاء هذه التيارات المستنيرة والتواصل معها، يمكن إحداث نقلة من العقلية الصدامية إلى مفهوم التواصل والتحاور وهو ما دعا إليه الإسلام كما اتضح مما سبق.

إن تقديم بديل إسلامي لصراع الحضارات يقتضي عقلية قادرة على استنطاق القرآن وقراءة عميقة للسيرة النبوية ووعي حضاري وإحاطة بالواقع المعاصر وتعقيداته وتشابك مصالحه ، وهذا لا يتم إلا عبر مؤسسة تضم ممثلين لكل ذوي الإختصاص في كافة العلوم لتأتي بمفاهيم منضبطة متحررة من العفوية والتلقائية وردود الأفعال ، لا شك أن الإسلام منحاز لحوار الحضارات لا لتصادمها فكما ثبت من عقائده وتعاليمه وأحكامه أنه دين التسامح والتعايش السلمي والتعاون الإيجابي ، مطلوب صياغة نظرية معرفية تتضمن تلك المبادئ والمفاهيم لتكون بديلاً لأطروحة الصدام وتصلح لتحويلها إلى ثقافة مجتمعية تسامحية ترسخ مبدأ الحوار الحضاري .

الفصل السادس

وسائل بناء ثقافة الحوار

- الوسيلة الأولى : معرفة أسباب التوتر والتخلص منها
- الوسيلة الثانية : معرفة الذات ومعرفة الآخر
- الوسيلة الثالثة : التربية
- الوسيلة الرابعة : الإعلام الهادف
- الوسيلة الخامسة : تبادل الزيارات
- الوسيلة السادسة : الأنشطة المشتركة

تمهيد

مع بروز ظاهرة العولمة خرجت أصوات تتنبأ بصدام الحضارات، مقروءة بقارعة الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من أحداث، أدت إلى منطق جديد في العلاقات الدولية، ولكن العقلاء هنا وهناك قدموا أطروحات بديلة لصدام الحضارات تتمثل في حوار الحضارات، وقُدِّمت أبحاث كثيرة في هذا المجال، وعُقِدت مؤتمرات، وكتبت مقالات تفند دعوى صدام الحضارات وترجح الحوارالحضاري، إنَّ التنظير للحوار مجهود مقدر ولكنه سيصبح ترفاً فكرياً إن لم يجد طريقه للتطبيق، ويصبح ثقافة ممارسة في المجتمع.

التجربة الإنسانية على طولها آمنت بديانات منزلة وأخرى وضعية، وشهدت ممارسات صارت مع طول المدة أعرافاً لصيقة، وأفرزت هذه الممارسة ثقافات متعددة بتعدد البيئات والعصور، ثم أحكمتها التجربة وهذبتها الأديان؛ فتطورت إلى حضارات كاتبة حاسبة صانعة، وبسنن التقادم تآكلت الحضارات القديمة لتحل محلها حضارات جديدة، تأخذ من المندثرة ما يلائمها وتضيف إليها جديدها، وبهذا تكون الحضارات متكاملة ومتداخلة : (والحضارات الحية اليوم ثمانية هي : الحضارة الإسلامية ؛ والحضارة الغربية ؛ والحضارة الصينية ؛ والحضارة اليابانية ؛ والحضارة السلافية الأورثوذكسية ؛ والحضارة الأمريكية الجنوبية؛ والحضارية الهندية ؛ والحضارة الأفريقية . هنالك تشكك لدى بعض الناس حول حقيقة الحضارة الأفريقية. إن في أفريقيا جنوب الصحراء ثقافات عديدة وقد تناول الأستاذ علي مزروعي تراث أفريقيا فسماه تراثاً ثلاثياً مكوناً من: الإسلام ـ الغرب ـ الموروث الافريقي. هذا الموروث الافريقي فيه مؤثرات مشتركة كوّنت الذهنية الأفريقية ولوّنت تأثر أفريقيا بالمؤثرات الوافدة. هذه الذهنية الأفريقية انفردت بالتركيز على العلاقة بين البشر والطبيعة، وبين المادي وغير المادي، وبين العقلاني والفطري، وبين الأجيال الحاضرة والماضية. هذه الذهنية يمكن أن تساعد في حل مشاكل معاصرة، كإنقاذ البيئة، وتحقيق توزيع عادل للحقوق والواجبات بين الأجيال) [1] والحضارات التي عاشت في عصر واحد كانت العلاقات بينها غالباً تنافسية، وأحياناً كثيرة عدائية . وكما سلف فإن البشرية بعد تجارب مريرة مع الصراع، أفرزت إتجاهاً عاماً ينزع

(1)) الصادق المهدي: نداءات العصر ص (45) سابق.

نحـو التعايـش السـلمي والحـوار الإيجابي، وفي عصرنـا هذا تجلـت هذه الدعـوة في أبلغ صورهـا، فالوعـي العالمـي بالمصلحـة الإنسـانية المشـتركة يـزداد باضطـراد، والتعصب الدينـي جلـب كـوارث طالـت الجميع حتـى المتعصبـين منهـم، والعالم صـار يوجّه جل مـوارده للتسـلح وآثار الحروب، ممـا يتطلب معه تفكيراً جـاداً للخروج من هذا المـأزق المدمـر، يقـول الإمـام الصادق المهـدي (علينا أن نتنـاول بحث العلاقات بـين الحضارات في هـذا العـصر على ضـوء حقيقتـين جديدتـين هما:

الحقيقــة الأولى: وجـود عوامل كثيرة توجب الوفـاق العالمي. تلك العوامـل هي: تكنلوجيا الإتصـالات والمواصـلات كفكفت أطـراف العالـم وجعلته متداخـلاً. المصلحـة الأيكلوجية لكوكـب الأرض توجـب إيجاد خطة مشـتركة لبيئة صالحـة. تقريب وجهـات النظر عالمياً وإصـدار مواثيـق عالميـة حـول القضايـا البيئيـة ـ النسـوية ـ السـكانية ـ والإجتماعية. عـلاوة عـلى إجـراء حوارات كثـيرة ثنائيـة وجماعية عـبر مؤتمـرات جمعت الأديـان وهي كلها تهـدف إلى التوصل للتسـامح والتعايش المشـترك.

إن في الإسـلام ولـدى كثـير مـن المسـلمين؛ بـل غالبية المسـلمين توجهـاً تسـامحياً يحترم كرامـة وحقوق الإنسـان، ويسـعى للتعامل مـع الآخر الملي والـدولي بالحسـنى. كما أن في الحضـارة الغربية كثـيرون يدركون مخاطر الهيمنـة، ويدركـون أن مصلحتهم ومصلحة الإنسـانية توجـب التعايـش من أجل مصير إنسـاني مشـترك.

الحقيقــة الثانيــة: لأول مـرة في التاريـخ صـار الإنسـان يمتلـك أسـلحة دمـار شـامل قـادر عـلى تحطيم العالـم، بحيث لـن يكون في نهايـة النزاع غالـب ومغلـوب كالمعهود في الحـروب الماضيـة. لذلـك صار التعايـش والتوافـق والحوار بـين الحضارات اليـوم واجباً حياتياً) [1].

إن الحـوار يعتـبر وسـيلة مـن وسـائل التواصـل بـين البـشر، وهـو كغـيره من وسـائل التفاعـل في المجتمـع يحتـاج إلى شروط خاصة لكي يكـون صفة غالبـة في العلاقات البينية الإجتماعيـة، فالعنـف والغضب والسـيطرة والتصـادم ومثيلاتها، نزعات سـهلة الحضور في علاقـات النـاس ، ولا تحتـاج إلا للمثـيرات كالإسـتفزاز والإسـاءة والتحـدي، وقد نهى الإسـلام عـن ذلـك ، عن أبـي هُريـرةَ رَضِيَ الله عنـه قـال: بينَما يَهـوديٌّ يَعرِضُ سِـلعَتَه

(1)) انداءات العصر السابق ص (49 ـ 50)

أُعطِيَ بها شَيئًا كَرِهَه، فقال: لا والذي اصطَفى موسى على البَشَرِ، فسَمِعَه رَجُلٌ من الأنصارِ، فقامَ فلَطَمَ وَجْهَه، وقال: تَقولُ: والذي اصطَفى موسى على البَشَرِ، والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بينَ أظهُرِنا، فذَهَبَ إليه، فقال أبا القاسِمِ، إنَّ لي ذِمَّةً وعَهدًا، فما بالُ فُلانٍ لَطَمَ وَجهي؟ فقال: لمَ لَطَمْتَ وَجْهَه؟ فذَكَرَه، فغَضِبَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حَتَّى رُئِيَ في وَجهِه، ثُمَّ قال) :لا تُفَضِّلوا بينَ أنبياءِ الله، فإنَّه يُنفَخُ في الصُّورِ، فيَصعَقُ مَن في السَّمَواتِ ومَن في الأرضِ إلَّا من شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنفَخُ فيه أُخرى، فأكونُ أوَّلَ من بُعِثَ، فإذا موسى آخِذٌ بالعَرْشِ، فلا أدري أحُوسِبَ بصَعقَتِه يَومَ الطُّورِ أم بُعِثَ قَبْلِي) [1]. فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يوضح أن التفاضل بين أنبياء الله لا يجوز، خاصة في وجود أتباع ديانات متعددة؛ لأن ذلك يدعو لإثارة العصبية وحمية الجاهلية التي تؤدي إلى التباغض والتنازع والإحتراب، أما الحوار فيحتاج إلى الهدوء وتحكيم العقل وعدم التسرع. إلخ.

ولكي تترسخ ثقافة الحوار في المجتمع فإن هنالك وسائل بتكاملها في المجتمع الإنساني سيضعف الميل نحو العنف، ويحل محله التسامح وبالتالي سيكون الحوار ركيزة من ركائز الثقافة الاجتماعية. تلك الوسائل هي:

الوسيلة الأولى: معرفة أسباب التوتر والتخلص منها:

العلاقات بين الأديان والحضارات شهدت صراعات وحروباً عبر تاريخها، خلفت مرارات كثيرة وخلقت حواجز تمنع التواصل بين كثير منها، وبالرغم من التوجه العالمي المتصاعد نحو علاقة لا تشوبها نزاعات، إلا أن آثار الماضي تُلقي بظلالها على الحاضر وتعرقل مستقبل العلاقات الإنسانية، عليه يكون من ضرورات ترسيخ ثقافة الحوار، معرفة عوامل الصراع، ومسببات النزاع، والتخلص منها، ليكون الطريق سالكاً نحو علاقات قائمة على الثقة والإستدامة، ففي الإطار الداخلي لا بد من حصر الخلاف السني الشيعي في طبيعته السياسية، وتحريره من العوامل العقائدية التي أُقحمت في تلك المرحلة لخدمة أهداف سياسية للطرفين، والصراعات المذهبية تُفهم في إطار إختلافات المناهج والخلفيات البيئية وهي إجتهادات مسموح بها في ظل الإسلام ، والخلاف الإسلامي العلماني

(1)) رواه البخارى في صحيحه (3414) سابق.

ينبغي تفسيره على أساس إختلاف التصور للأشياء، واستخدام مصطلحات يختلف فهم كل طرف عن فهم الطرف الآخر لها، هذه المصطلحات عندما تُحرر وُتضبط سَتُقَرِّب الشُّقَّة ، والصراع الإسلامي المسيحي يُبَيَّن أن ظروفاً تاريخية مرحلية أوجبته، وبزوالها سقطت مبررات الصراع، والصراع الإسلامي اليهودي تاريخياً انحصر في أحداث المدينة الثلاثة، وهي وقائع لا تُورث، وقد انتهت مع أصحابها ، وأما الصراع الحالي؛ فليس بين الإسلام واليهودية، بقدر ما هو صراع بين الإسلام والصهيونية؛ التي هي حركة سياسية استغلت الدين لأغراض سياسية . وأما علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية فإنها من أكثر العلاقات حساسية، بسبب الصراعات التاريخية والحديثة، وأي كلام عن حوار حضاري بينهما لا يحقق أهدافه ما لم يتخلصا من تلك العوائق ويتجها لإقامة علاقات جديدة غير مشدودة بحبال الماضي.

يقول الإمام الصادق المهدي رحمه الله: إن علاقة الحضارة الغربية بالحضارة الإسلامية معقدة لأسباب أهمها:

1. الحضارة الإسلامية تكمن فيها تيارات مشدودة إلى نجاحها القديم لدرجة تجعلها تظن أن استنساخ ما حدث تاريخياً ممكن. هؤلاء يسقطون نجاح الماضي على الحاضر فيشلون حركته.

2. الحضارة الغربية الحديثة تعاملت مع الحضارة الإسلامية بدرجة عالية من الذعر؛ لأنها الحضارة الوحيدة التي كادت تمتصها بسبب تفوقها الفكري والتكنولوجي والثقافي عليها في الماضي. كما كانت الحضارة الوحيدة التي هدّدت الحضارة الغربية في وجودها أكثر من مرة. لذلك صار التخوف من الإسلام والمسلمين شيئاً عادياً في النفوس الغربية.

الحضارة الغربية الحديثة تعاملت مع الحضارات الأخرى بدرجة كبيرة من التعالي وافتراض الدونية. وكان تعاملها مع المسلمين ظالماً مُهيناً غَدَّاراً لم تراع فيهم إلاً ولا ذمة. لذلك صار بُغض الغرب وأهله في نفوس كثير من المسلمين. كذلك فإن ظاهرة التشدد الإسلامي في مجتمعاتنا. والتشدد الأصولي في غيرها من المجتمعات، وظاهرة الهيمنة الحضارية في الغرب تيارات تبرر العنف وتدفع

بالإنسانية نحو الخصام والصدام. وظاهرة الإستنارة الإسلامية -والإستنارة عند أهل الحضارات المختلفة -وظاهرة الإعتدال الغربي تشكل تيارات تغذية للسلم وتبرر التواصل الحضاري. فإن تغلبا فإنهما يفتحان ابواب التواصل والحوار البناء ويمهدان لتنوير عالمي يبشر بمستقبل إنساني أفضل. إن شروط ذلك التواصل تتمثل في الآتي:

أولاً: أن يدرك الغرب ويعترف بأن الحضارة الغربية الحديثة حضارة مركبة، ساهمت كل حضارات الإنسان السابقة لا سيما الحضارة الإسلامية في تكوينها.

ثانياً: الإعتراف بأن الحضارات الإنسانية والثقافات الأخرى لها دورها في بناء حاضر ومستقبل الإنسانية، ولا يجوز التعامل معها ككيانات منقرضة أو في طريقها للإنقراض الوشيك.

ثالثاً: التسليم بأن منجزات الحضارة الغربية الحديثة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والعلمية والتكنولوجية التي نضج عودها في الغرب والصالحة لاستصحاب البشر لها في كافة البلدان، سيتم استصحابها برؤية ذاتية لا بالإكراه. والرؤية الذاتية هذه تشتمل على أقلمة ثقافية واجتماعية تحددها الشعوب المعنية باختيارها.

رابعاً: إدراك أن الظلم الإجتماعي على صعيد الدولة الواحدة مثل الظلم الإجتماعي على الصعيد العالمي. كلاهما يقوض الإستقرار والسلام. إن إزالة الغبن التنموي عن عالم الجنوب والسعي الحثيث لدعم التنمية في عالم الجنوب المتخلف ضرورات لحفظ السلام العالمي.

خامساً: إقامة علاقات حوار إيجابية بالحضارات الأخرى على أساس التعلم المتبادل.

سادساً: التوصل عن طريق حوار متكافئ قدر المستطاع للإتفاق على غايات إنسانية وأيكلوجية مشتركة.

سابعاً: إدراك أن الغرب قد كان سبباً أساسياً في تكوين عدد من بؤر النزاع الساخنة، ومهما كانت مسئولية الأطراف المحلية عن إستمرار تلك البؤر

الملتهبة، فإن اعتراف الغرب بدوره في تكوينها واستعداده للقيام بدور تكفيري في علاجها أمر هام وعتبة نحو علاقات دولية سلمية وسوية [1].

الوسيلة الثانية: معرفة الذات ومعرفة الآخر:

الإنسان عدو ما جهل ، وقلة المعرفة تجعل المرء متعصباً سريع الإنفعال ، والمعرفة لا تتعلق بالآخر وحده ، بل معرفة الذات أولاً ثم تتكامل بمعرفة الآخر ، لقد وقعت كوارث كثيرة بسبب سوء تقدير الموقف [تضخيم الذات والإستخفاف بالآخر] فانتصار المسلمين في بدر كان معجزة، ولكن كثيراً منهم اعتبروه قانوناً عاماً فلم يقدروا الموقف تقديراً صحيحاً فَهُزِموا أول الأمر في أحد ، وفي حنين غرتهم كثرتهم فكان الغرور سبباً للهزيمة : ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾[التوبة:25] وكثير من الحوادث التاريخية والمعاصرة أقدم عليها أصحابها دون معرفة لقدراتهم ولا لقدرات خصومهم فجنوا عاقبة فعلهم خسراً ، والشواهد أكثر من أن تحصى لعل أبرزها حرب الخليج الثانية ، وما أقدم عليه مرتكبوا حوادث الحادي عشر من سبتمبر ضد الولايات المتحدة الأمريكية، وحرب غزة ولبنان مؤخرا – بالرغم من مشروعية المقاومة للاحتلال – إلا أن الإقدام على عمل عسكري يتطلب معرفة قدرات الخصم وأساليبه حتى لا يؤدي الإقدام إلى ضرر أكبر إعمالا لقاعدة: « الضرر يزال ولكن ليس بضرر أكبر». إن ما يعنينا هنا البعد الفكري والجانب النظري، فمعرفة الإسلام بعمق تُظْهِرُ للمرء الجذور الممتدة لهذا الدين، والتي تربط بينه وبين الرسالات الإلهية التي سبقته ، والصلات الإنسانية بينه وبين بني البشر أين ما وجدوا ، مما يؤكد أصالة هذا الدين من ناحية وعالميته من الناحية الأخرى ، والأصالة هنا أعني بها استيعابه لأصول الرسالات السماوية وتكامله معها ، هذا الفهم يسهل على المرء إمكانية التواصل مع الآخر الديني والتحاور معه؛ لأنه يعلم أن كل ديانة سماوية صحيحة لديها صلة بالإسلام ، وكل نحلة وضعية خَيِّرة فيها إشراقة إيجابية ، وكل عطاء إنساني مفيد يدخل ضمن المعروف الذي هو أحد أركان

(1) الصادق المهدي: نداءات العصر ـ دار الشماسة للطباعة والنشر، (2000م)

الأخلاق المتفق عليها من جل علماء العلوم الإنسانية ، فالأخلاق الإجتماعية اتفقت عليها جميع الأديان السماوية ، ورحبت بها كثير من الفلسفات البشرية وهي مفصلة في سورة الإسراء ، ومفهوم البر في الإسلام ليس قاصراً على المسلمين بل يمتد ليشمل جميع بني البشر : ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[البقرة:177] فإذا علم المرء ذلك كان مهيئاً للتواصل مع كل البشر عبر الحوار وليس عبر العنف الذي هو وسيلة العاجزين عن الحجة.

إن معرفة الآخر تعتبر عاملاً مهماً في ترسيخ ثقافة التعايش السلمي والتواصل الإيجابي، فربما تكون الأهداف متقاربة، والمعاني متشابهة، ولكن غيّبها الجهل أو اختلاف الصيغ ، فسهيل بن عمرو عندما رفض أن تصدر وثيقة صلح الحديبية بعبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) مفضلاً صيغة (باسمك الله) لم يتردد الرسول صلى الله عليه وسلم في قبولها؛ لأن المعنى متقارب إن لم يكن واحداً، مع أن صيغة البسملة تشتمل على معنى الصيغة المقترحة مع زيادة الثناء على الله بما هو أهله، لكن أهل مكة كانوا يستغربون من اسم الرحمن كما ذكر القرآن:﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**﴾[الفرقان:60] والصيغة الجديدة التي يفتتح بها المسيحيون الأقباط حديثهم تسقط مفهوم التثليث وتقربهم من المسلمين ، حيث يقولون: (باسم الإله الواحد الذي نعبده جميعاً) وهي صيغة من ابتكارات الأنبا شنودة السابق كما ذكر الدكتور محمد سليم العوا ، في محاضرة قدمها في ملتقى الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي، الذي انعقد في القاهرة في الفترة من 30ـ31 أبريل 2006م

إن من أهم طرق معرفة الآخر، أن يتم التعرف عليه من مصادره، ولا نكتفي بما نعلمه عنه من مصادرنا وحدها، كما ينبغي وصفه على حقيقته لا كما

نتمنى ، وأن يتم التعامل معه حسب تعريفه هو لنفسه لا كما نعرفه نحن ، فأهل الكتاب اليوم ليسوا مثل أسلافهم ، فقد أحدثوا تغييرات كبيرة في عقائدهم وأفكارهم وتنظيماتهم ، وإذا استثنينا الصهيونية اليهودية، والمسيحية المتصهينة؛ فإن أغلبهم يميلون إلى التسامح وإلى إقامة علاقات ودية مع المسلمين ، وكثير منهم لا يؤيدون دولهم في سياساتها تجاه العالم الإسلامي والمظاهرات التي قامت في الغرب ضد الغزو الأمريكي للعراق كانت أكثر من تلك التي قامت في العالم الإسلامي ، أيضاً من التحولات التي حدثت أن النصارى يفضلون أن يسموا مسيحيين لا نصارى . وقد جمعتني ملتقيات كثيرة خاصة بالحوار الديني مع مسيحيين فأدركت أننا لا نفهم بعضنا بعضاً كما ينبغي، فنحن نتعامل معهم على أساس ما نعرفه عنهم من كتبنا بينما حدثت تطورات كثيرة في أفكارهم ومعتقداتهم، وحتى أولئك الذين كانوا من موتطنينا من مسيحيي جنوب السودان، فإن سوء التفاهم بيننا كان سبباً في تعقيد الأزمة وتوسيع الشقة مما أدى لانفصال السودان ضمن عوامل أخرى.

وتواصلاً لمعرفة الآخر فإن كثيراً من المواقف التي تتخذ من المسلمين والغربيين تجاه بعضهم بعضاً ، سببها الجهل المتبادل والمعلومات الخاطئة التي هي عبارة عن إنطباعات أكثر منها معلومات واقعية ، فكثيراً ما نسمع تصريحات بعض المسلمين تصف الغرب بأنه على حافة الإنهيار ، وأنه يعيش حالة من الفوضى ، وفي نقدهم للسياسات الغربية تجدهم يوجهون نقدهم للأشخاص لا للمؤسسات، وهكذا فإسقاط واقعنا على الآخرين هو الذي يوقعنا في أخطاء منهجية نتيجتها أخطاء استراتيجية قال تعالى : ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾[الإسراء:36] ومما يجدر الإنتباه إليه أن الحضارة الغربية الحديثة ليست صناعة غربية خالصة وإنما هي نتاج تراكم معرفي وتجارب إنسانية كان للحضارة الإسلامية فضل كبير فيها ، فإذا بحثنا نجد أن كثيراً من القواعد القانونية، والمفاهيم الفكرية، لها جذور إسلامية ، فهى ليست غربية في الأصل وإنما هي بضاعتنا ردت إلينا . والغربيون أيضاً لدى كثير منهم جهل بالإسلام وبالشعوب الإسلامية، فيحكمون عليهما بمنظار الإستعمار والإستشراق غير المنصف أو من خلال ممارسات بعض المتطرفين الذين اختطفوا الشعار الإسلامي وشوهوه.

واتصالاً بمعرفة الذات ومعرفة الآخر فإن هنالك أهمية لمعرفة الواقع، فالجهل بالواقع يوقع أيضاً في أخطاء منهجية وسلوكية، ويلاحظ ذلك في تعامل بعض المسلمين مع الآخر حتى الآن بوسائل العصر الأموي والعصر العباسي، حيث كانت الإمبراطورية الإسلامية -إذا جاز التعبير-يمتد سلطانها من السند إلى المغرب ومن سمرقند إلى السودان، حيث كان الرشيد يقول للسحابة: أمطري حيثما شئت فسيحمل إلينا خراجك. في تلك الفترة أسست الدولة الإسلامية على أنقاض الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، والآخر بادر بالعدوان ـ كما أسلفنا ـ ولذلك عومل بموجب السياسة الشرعية بالأسلوب الذي يتلاءم مع تلك المرحلة. أما الآن فنحن نعيش واقعاً مغايراً فعلى مستوى الذات تفككت الخلافة الإسلامية إلى أقطار صغيرة تحكمها دساتير وطنية جعلت المواطنة أساساً للحقوق والواجبات ، والقيادة الإسلامية الموحدة غابت عن عالم المسلمين وحل محلها حكام الدول وأمراء الجماعات الدينية ، والمرجعية الفقهية ليست واحدة فكل دولة وكل جماعة - وإن أعلنت أن الكتاب والسنة مرجعيتها - إلا أنها تتبع مذهباً ومنهجاً خاصاً بها، ولا توجد جهة تملك فرض سلطة دينية على الجميع، ومعظم الأحكام السائدة في الأقطار الإسلامية هي من إجتهادات السلف من أئمة المذاهب. وعلى المستوى الدولي فإن تقسيم العالم الذي كان سائداً – دولة الإسلام ودولة الكفر الحربية، والمعاهدة -قد اختفى وحل محله نظام جديد تديره الأمم المتحدة بمواثيقها الدولية ومنظماتها المنبثقة عنها إضافة إلى المنظمات الإقليمية التي تضم الدول التى تقع في الإقليم المعني كمنظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية والإتحاد الأوروبي والإتحاد الافريقي وغير ذلك.

إن الأمم المتحدة تضم دولاً تنتمي لجميع الديانات على وجه الأرض، وهي جميعها ملتزمة بمواثيق الأمم المتحدة الداعية لحفظ الأمن والسلم الدوليين، وأي دولة تخرق هذه المواثيق ستفرض عليها عقوبات دولية تلتزم الدول بتفيذها دون أي إعتبار للعقيدة التي يدين بها أهل البلد المعني، كما فعلت الدول الإسلامية مع عراق صدام ومع أفغانستان طالبان، حيث التزمت بقرارات الأمم المتحدة ولم تخالفها بحجة أنها صادرة من جهة كافرة ضد دولة

مسلمة! أيضاً من مستجدات العلاقات الدولية أن بلداناً إسلامية كثيرة تضم ديانات متعددة مسلمة وغير مسلمة ومواطنوا تلك الدول هم أصحاب حق في بلدانهم دون إعتبار لعقائدهم، ولا يحق لأي مسلم ليس مواطناً في البلدان المعنية أن يتدخل في شئونها بحجة الولاء الإسلامي. والأمر اللافت للنظر أن كثيراً من المسلمين هاجروا إلى بلدان غربية مسيحية، ونالوا جنسياتها وأصبحوا ملتزمين بدساتيرها وانخرطوا في قواتها المسلحة وينفذون أوامر قيادة دولتهم الجديدة في شن الحرب على أي دولة تصنف من أعدائها، وربما تكون الدولة المعادية هي الدولة الإسلامية التي هاجر منها الجندي! ومن مستجدات العلاقات الدولية أن السيادة الوطنية لا معنى لها في ظل انتهاك حقوق الإنسان المنصوص عليها في المواثيق الدولية، هذه المستجدات لا بد من إدراكها والوعي بها، لنتبين طبيعة الواقع الذي نعيشه في عصرنا هذا. إن المعرفة الواعية بالذات وبالآخر وبالواقع الدولي، سوف تجعل الحوار خياراً إرادياً للعقلاء وخياراً جبرياً للحمقى!

الوسيلة الثالثة: التربية:

الإنسان ابن بيئته أي أنه يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه سلباً كان أو إيجاباً ، فالبداوة تنعكس على سلوك أصحابها فتجد البدوي (عصبي المزاج ، سريع الغضب ، يهيج للشئ التافه ، ثم لا يقف في هياجه عند حد ، وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته ، أو انتهكت حرمة قبيلته ، وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه)[1] وعكس ذلك تماماً البيئة الحضرية فإنها تجعل الإنسان أميل إلى التسامح والتجاوز والتريث وتقدير العواقب قبل الإقدام على الفعل ، فالبيئة إذن تعتبر أحد عوامل تكوين الشخصية البشرية بل أهمها ، وما يتعلمه الإنسان ويتربى عليه في مرحلة تكوين شخصيته سيصحبه طيلة فترة حياته، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الأنبياء والمرسلين والمصلحين يولون إهتماماً كبيراً للتربية إعداداً لحملة الرسالة والفكرة ، والملاحظة تتجلى في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه : إذ كان يعدهم لحمل الرسالة للعالمين ، فحرص على إزالة ما تراكم في أذهانهم من آثار الجاهلية أولاً ثم غرس المعاني والقيم والمفاهيم التي جاء بها الإسلام ، وأكدت تعاليمه أثر التربية على حياة الإنسان

(1) أحمد أمين: موسوعة الحضارة الإسلامية ج / 1 ص (53) سابق.

، وأن كل مولود يولد على الفطرة الصافية النقية ، والتغيير يحدث تبعاً للأسلوب الذي يتبعه الوالدان في تربية الأبناء .

إن وسائل التربية التي اعتمد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم تتمثل في القدوة والتعليم والتجربة والمقارنة. فمن طبع الإنسان أن يرد على العنف بمثله وربما بصورة أقسى ، ولكن الإسلام عمل جاهداً على تغيير هذه الطبيعة في المسلم فدعا إلى العفو والإيثار والإحسان ، روى البخاري عن خباب أنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة] قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ قال: (كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَ مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)[1] فهو هنا يروض النفس على الصبر وتحمل الأذى والتحرر من نزعة الإنتقام ، فالرسالة ستنتصر حسب سنن الله في خلقه ، لا حسب أماني الناس ، والتضحيات مهر الإنتصار، فنبي الرحمة لم يكن يوماً ميالاً للإنتقام ، وحتى في أحلك الظروف التي يتعرض فيها للأذى والظلم حيث تكون النفس مشحونة بالغضب فإن الرحمة تتغلب على الإنتقام . عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لَقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عبدِ يَا لِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما ردُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقالَ

(1) رواه البخارى في صحيحه (3612) سابق.

لـه رَسـولُ اللـهِ صَـلَّى اللَّـهُ عليـه وَسَـلَّمَ: بَـلْ أَرْجُـو أَنْ يُخْـرِجَ اللَّـهُ مِـن أَصْلَابِهِـمْ مَـن يَعْبُـدُ اللَّـهَ وَحْـدَهُ لا يُـشْرِكُ بـه شـيئًا)[1].

واللـه سـبحانه وتعـالى يرشـد رسـوله بالعفـو عـن المسـئ ويأمـره باتبـاع المعـروف حتـى مـع مـن جهـل ، وعلمـه الكيفيـة التـي يـرد بهـا نزغـات الشـيطان التـي تدفـع الإنسـان دفعـاً نحـو الإنتقـام قـال تعـالى : ﴿ خُـذِ الْعَفْـوَ وَأْمُـرْ بِالْعُـرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَاهِلِـينَ * وَإِمَّـا يَنزَغَنَّـكَ مِـنَ الشَّـيْطَانِ نَـزْغٌ فَاسْـتَعِذْ بِاللّـهِ إِنَّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيـمٌ﴾ **[الأعـراف:99-100]** بـل يذهـب الإسـلام أكثـر من ذلـك عندما يأمـر المسـلم أن يقابل السـيئة بالحسـنة عندهـا سـيتحول العـدو إلى ولي حميـم ، قال تعـالى : ﴿ **وَلَا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ ادْفَـعْ بِالَّتِـي هِـيَ أَحْسَـنُ فَـإِذَا الَّـذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّـهُ وَلِيٌّ حَمِيـمٌ * وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الَّذِيـنَ صَـبَرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيـمٍ * وَإِمَّـا يَنزَغَنَّـكَ مِـنَ الشَّـيْطَانِ نَـزْغٌ فَاسْـتَعِذْ بِاللَّـهِ إِنَّـهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيـمُ** ﴾**[فصلـت:34-36]** هـذا النهـج التربـوي يخلـص المـرء مـن نزعـات الغضب والإنتقـام والتـسرع وهـي عوامـل تتصـادم مـع الحـوار ، وفي مجـال التربيـة هنالـك عامـل مهـم في ترسـيخ ثقافـة الحـوار: ألا وهـو موضـوع الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر. فقـد جعلـه الإسـلام مـن أساسـيات الديـن بـل إنـه يحافـظ عـلى الديـن كلـه، لأنـه يشـكل الـرأي العـام فيحافـظ عـلى مبـادئ الديـن وقيمـه ويحـاصر كل اتجـاه نحـو الإنحـراف والميـل عـن الصـواب. عـن أبـي رقيـة تميـم بـن أوس الـداري رضي اللـه عنـه أن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال : (الديـن النصيحـة) قلنـا لمن ؟ قـال (للـه ولكتابـه ولرسـوله ولأئمـة المسـلمين وعامتهـم)[2] ولـم يكتـف الإسـلام بالنصيحـة الفرديـة بـل دعـا لتكويـن جماعـة تتخصـص في هـذا الأمـر قـال تعـالى : ﴿ **وَلْتَكُـن مِّنكُـمْ أُمَّـةٌ يَدْعُـونَ إِلَى الْخَـيْرِ وَيَأْمُـرُونَ بِالْمَعْـرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ وَأُوْلَـئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُـونَ** ﴾[آل عمـرن:104] وكذلـك الشـورى فهـي صفـة مـن صفـات المؤمنـين ففـي قضايـا الأسرة تدخـل الشـورى : ﴿ **وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِعْـنَ أَوْلاَدَهُـنَّ حَوْلَـيْنِ كَامِلَـيْنِ لِمَـنْ أَرَادَ أَن يُتِـمَّ الرَّضَاعَـةَ وَعَـلَى الْمَوْلُـودِ لَـهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْـوَتُهُنَّ بِالْمَعْـرُوفِ لاَ تُكَلَّـفُ نَفْـسٌ إِلاَّ وُسْـعَهَا لاَ تُضَـآرَّ وَالِـدَةٌ بِوَلَدِهَـا وَلاَ مَوْلُـودٌ لَّـهُ بِوَلَـدِهِ وَعَـلَى الْـوَارِثِ مِثْـلُ ذَلِـكَ فَـإِنْ أَرَادَا فِصَـالاً عَـن تَـرَاضٍ**

(1)) متفق عليه: رواه البخارى في صحيحه (3231) ومسلم (2327) سابق.

(2)) رواه مسلم ح (1336).

مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا..﴾[البقرة:233] وقضايا المجتمع يتشاور حولها : ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..﴾ **[الشورى:38]** وحتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسدّد بالوحي أُمِرَ باستشارة أصحابه ، وحدوث النكسة الواحدة لا يجعله يتخلي عن الشورى، بحجة أنها عندما مورست واستجيب لرأي الأغلبية القاضي بالخروج لملاقاة العدو خارج المدينة كانت النتيجة سلبية ، حيث هزم المسلمون أول الأمر في أحد بسبب مخالفة الرماة للأوامر، فمع ذلك أمر الله رسوله أن يستشيرهم ، قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ..﴾ [آل عمران:159]** لقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على مبادئ وقيم جعلتهم حملة حضارة دينية إنسانية في وقت تراجعت فيه الإمبراطوريات القديمة ، وكان مجتمع الصحابة يضم رموزاً برعوا في ثقافة الحوار ، وكانوا يتحاورون على السليقة دون تكلف . لما تواجه جيش المسلمين مع جيش الفرس في القادسية طلب رستم قائد جيش الفرس من قائد جيش المسلمين: سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما يسأله عنه. فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فلما قدم عليه جعل رستم يقول له: (إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذُل، ولا يعتصم به إلا عز، فقال رستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شئ منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، فقال: ما أحسن هذا ؟! وأي شئ أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله. قال: وحسن أيضاً وأي شئ أيضاً؟ قال: والناس بنو آدم، فهم إخوة لأب وأم، قال: وحسن أيضاً. ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر

رستم رؤساء قومه في الإسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه. ثم بعث سعد رسولاً آخر هو ربعي بن عامر فدخل عليه وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: إئذنوا له، فلما أقبل قالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلناه منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم! كم أحب إليكم؟ يوماً أو يومين؟ قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل، فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا: ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شئ من هذا وتدع دينك. أما ترى إلى ثيابه، فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة. إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل، ويصونون الأحساب. ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً فبعث إليهم حذيفه بن محصن فتكلم نحو ما قال ربعي) [1].

إن الأشخاص الثلاثة كأنهم سفراء هذا العصر، ينقلون رغبة الدولة التي يمثلونها دون تنازل وبأسلوب دقيق وحصيف ، وتعجُّب رستم واندهاشه يؤكد أن هذا النهج جديد عليه، فقد كان العرب في إمارة الحيرة يدينون للفرس بالولاء، وما شهدوا منهم مثل هذا الكلام، مما يوضح أن نقلةً جديدة حدثت لهم مع هذا الدين الجديد وبراعة الثلاثة توضح من جانب آخر أن التربية الإسلامية قد رسخت ثقافة الحوار في المجتمع الإسلامي عبر الشورى والنصيحة

(1)) ابن كثير، البداية والنهاية الجزء الرابع ص (39 ـ 40) سابق.

والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر وحريـة الـرأي ؛ هـذه البيئة الإسـلامية رسـخت ثقافـة التعبـير عـن الـرأي وبالتـالي جعلـت الحـوار ثقافـة مجتمعيـة راسـخة، طابعهـا التلقائيـة والبداهـة . ولمـا أفضـت الخلافـة إلى عمـر بـن عبـد العزيـز أتتـه الوفـود ، فـإذا فيهـم وفـد الحجـاز، فنظـر إلى صبـي صغـير السـن وقـد أراد أن يتكلـم فقـال : ليتكلـم مـن هـو أسـن منـك، فإنـه أحـق بالـكلام منـك، فقـال الصبـي : يـا أمـير المؤمنـين ، لـو كان القـول كمـا قلـت لـكان في مجلسـك هـذا مـن هـو أحـق بـه منـك ! قـال : صدقـت، فتكلـم فقـال : يـا أمـير المؤمنـين ، إنـا قدمنـا عليـك مـن بلـد نحمـد اللـه الـذي مـن علينـا بـك ، مـا قدمنـا عليـك رغبـة منـا ولا رهبـة منـك ، أمـا عـدم الرغبـة ، فقـد أمنـا بـك في منازلنـا ، وأمـا عـدم الرهبـة ، فقـد أمنـا جـورك بعدلـك ، فنحـن وفـد الشـكر والسـلام . فقـال لـه عمـر رضى اللـه عنـه: عظنـي يـا غـلام؛ فقـال: يـا أمـير المؤمنـين إن أناسـاً غرهـم حلـم اللـه وثنـاء النـاس عليهـم، فـلا تكـن ممـن يغـره حلـم اللـه وثنـاء النـاس عليـه، فتـزل قدمـك وتكـون مـن الذيـن قـال اللـه فيهـم:﴿**وَلاَ تَكُونُـواْ كَالَّذِيـنَ قَالُـوا سَـمِعْنَا وَهُـمْ لاَ يَسْـمَعُونَ**﴾ [الأنفـال:21] فنظـر عمـر في سـن الغـلام فـإذا لـه اثنتـا عـشرة سـنة، فأنشـدهم عمر رضي اللـه عنـه:

تَعَلَّـمْ فَلَيْـسَ الْمَـرْءُ يُولَـدُ عَالِمًـا وَلَيْـسَ أَخُو عِلْـمٍ كَمَنْ هُـوَ جَاهِلُ
وَإِنَّ كَبِـيرَ الْقَـوْمِ لَا عِلْـمَ عِنْـدَهُ صَغِيرٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْـهِ الْمَحَافِلُ [1]

إن مجتمـع الإسـلام الـذي تحكمـه الخلافـة الراشـدة، لا يعـرف النفـاق ولا التملـق، فهمـا محـاصران بوعـي الجمهـور وحكمـة الخلفـاء الذيـن يسـتجيبون للنصـح ويمتثلـون للحـق مهمـا كان مصـدره، فمثـل هـذه البيئـة تحتفـي بالنبـوغ وتحـترم أهـل العلـم والفضـل، وتسـود فيهـا ثقافـة الحـوار، لأن التربيـة تهـدف لترسـيخ القيم التـي جـاء بهـا الإسـلام، والمجتمـع بـكل فئاتـه يراعـي هـذه القيـم ويتشربهـا ثقافـة وسـلوكاً.

قحطـت الباديـة في أيام « هشـام بـن عبد الملـك « فقدمت عليـه العرب فهابـوا أن يتكلموا

(1)) شـهاب الديـن محمـد بـن أحمـد أبـى الفتـح الأبشـيهي، المسـتطرف في كل فـن مسـتظرف، بـيروت -لبنـان -دار الكتـب العلميـة، الطبعـة الأولى: (1423هـ 2002م)، الجـزء الأول، ص (54).

وكان فيهم «درواس بن حبيب « وهو [صبي] فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: (ما يشاء أحد أن يدخل عليَّ إلا دخل حتى الصبيان ؟! فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً فقال: يا أمير المؤمنين إن للكلام نشراً وطياً، وإنه لا يعرف ما في طيه إلا بنشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته، فأعجبه كلامه وقال له: أنشره لله درك، فقال يا أميرالمؤمنين: إنه أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين. فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذراً، فأمر للبوادي بمائة ألف دينار، وله بمائة ألف درهم ثم قال له: ألك حاجة؟ قال: ما لي حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين، فخرج من عنده وهو من أجل القوم) [1]، فالعهد الأموى [على علاته] كان لا يخلو من إشراقات ومن بينها حلم الخلفاء واعتزازهم بعروبتهم وتجاوبهم مع رعيتهم في ساعات الصفاء والرضا.

هنالك عامل مساعد في انتهاج التربية المراعية لترسيخ ثقافة الحوار والتسامح، يتمثل هذا العامل في التعدد، فكل ما كان المجتمع متعدد الأديان ومتنوع الثقافات ومتباين الأفكار، مع قبوله لهذه المكونات سهلت التربية المؤسسة لثقافة الحوار. لأن الناشئ يعيش الواقع عملياً ، إضافة للتربية النظرية ، ووعي المجتمع بطبيعة التعدد يرسخ ثقافة الحوار، خاصة وأنه من الطبيعي أن تحدث تساؤلات بين الأطفال والشباب المتعددي الإنتماءات عن الممارسات التي يقوم بها نظراؤهم، والمواقف التي تحدث من حين لآخر فإن أجيبوا إجابة واعية تشرح الإختلاف والتباين وتوضح الطرق المثلى للتعامل مع هذا الإختلاف فسوف توضع لبنة في بناء العقلية المعتدلة القابلة للتسامح وقبول الآخر، وبالتالي تترسخ ثقافة الحوار في المجتمع، وأما المجتمعات أُحادية الثقافة، أحادية الدين، أحادية العرق، فيصعب عليها قبول الآخر أو تفهمه؛ لأنها عاشت نمطاً واحداً من الحياة لم تعرف فيه الغيرية، ولهذا فإن أكثر المتطرفين ينحدرون من مجتمعات أحادية التوجه أو تعددية تسودها العصبية.

(1)) المستطرف في كل فن مستظرف: ص (54) سابق.

الوسيلة الرابعة: الإعلام الهادف:

الإعلام له تأثير كبير على الرأي العام، فهو يشكل ثقافته ويعبؤه للتفاعل مع الأحداث سلباً أو إيجاباً، وعالم اليوم تعددت فيه وسائط الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية بصورة لم يسبق لها مثيل ، وأضحت المعلومات متاحة لكل راغب بأيسر السبل ، ولا شك أن المعلومة واحدة من العناصر التي يعتمد عليها الإنسان في اتخاذ قراراته ومواقفه؛ لأنك بالمعلومة تعرف قدراتك وقدرات الآخرين، وتحدد أهدافك حسب طاقتك متفاعلاً مع معطيات الواقع، فالإعلام إذاً وسيلة من وسائل نشر الثقافة وترسيخها، بل وسيلة تتجلى أهميتها في هذا العصر، ويؤكد ذلك كثرة وسائط الإعلام، والقدرات الهائلة لوكالات الأنباء العالمية المسيطرة على قدر كبير من المعلومات.

إن الإعلام هو أيقونة العصر المعلوماتية، فإذا استخدم إستخداماً هادفاً سيساهم في ترسيخ ثقافة الحوار ، وذلك عن طريق نشر مواضيع تدعو للتسامح، وتبين حتمية الإختلاف وضرورته وكيفية التعامل معه، وأن تتجنب وسائل الإعلام المواضيع التي من شأنها أن تثير الفتنة وتدعو للتعصب وتنشر الكراهية، والمؤثرات في هذا العصر أصبحت متعددة، فإضافة إلى وسائل الأخبار التقليدية؛ نجد هنالك المسرح والسينما والأفلام التلفزيونية المؤثرة والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت أخطر وسائل تشكيل الرأي العام، فإذا اتبعت هذه الوسائل نهجاً تسامحياً فإنها ستساهم في نشر ثقافة قبول الآخر والتعايش السلمي معه واتخاذ الحوار وسيلة لفض النزاعات. مع أن هذا صعب المنال في ظل وسائل التواصل المفتوحة التي يستطيع كل شخص استخدامها، وفي الغالب إن دعاة الشر أكثر نشاطا من دعاة الخير.

سيظل الإعلام مؤثرا فليجتهد الخيرون في توظيفه لترسيخ ثقافة الحوار.

الوسيلة الخامسة: تبادل الزيارات:

التعرف على الآخر لا يتم بالقراءة عنه وحدها، وإنما تتعمق المعرفة بالمعايشة والتواصل، لأن الواقع الملموس أبلغ من التنظير، إن كثيراً من الناس يتخذون مواقفهم بناء على معلومات ناقصة فيَظْلِمُونَ غيرهم وَيَظْلِمُونَ أنفسهم، وربما يدلون بشهادتهم مستندين إلى تلك المعلومات التي تمثل جزءً من الحقيقة، لا كلها. فأجهزة الإعلام مثلا تنقل المعلومة من الزاوية المتاحة لكاميرا المصور أو قلم المشاهد، ولكن تظل هنالك زوايا أخرى لم يتمكن الناقل من الوصول إليها. فالمعرفة تقتضي الإحتكاك بالآخر للتعرف عليه عن قرب وللإلمام بكل مكوناته الثقافية ، والإجتماعية ، والبيئية ، عليه فإن من وسائل ترسيخ ثقافة الحوار تبادل الزيارات والدخول في المجتمع المعني لمعرفة القواعد التي يقوم عليها ، والنظم التي يدير بها أموره ، ولعلّ النص القرآني يهدف إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[العنكبوت:20] فالمعرفة المأخوذة من وسائل الإعلام السيارة معرفة ناقصة؛ لأنها تنقل جانباً محدوداً من الحقيقة ، وكثير من الذين زاروا المجتمعات الغربية دُهشوا مما رأوا كما شرح ذلك الشيخ محمد عبده عندما زار أوروبا ، فالواقع مغايراً للصورة الموجودة في الأذهان ، لأن عدسة المصور وقلم الصحفي ورواية الراوي؛ تنتزع الجوانب التي تشكل إهتماماً لدى كل واحد منهم ، وبعض الذين يعممون أحكامهم على الغربيين لم يدركوا أن المجتمعات الغربية مجتمعات مفتوحة ، وحرية التعبير فيها مكفولة، والتنظيم مسموح به لأي جماعة ، وكل الحريات المنصوص عليها في الميثاق العالمي لحقوق الإنسان ملزمة للدول ، وتوجد منظمات محلية تراقبها وتتأكد من أن الإلتزام بها واقعا وليس تنظيراً ، وحرية الإنسان لا تنتهي إلا حيث تبدأ حرية الآخرين ، ومواقف الحكومات لا تعبر إلا عن السلطة الرسمية في الغالب وهي قابلة للتغيير عبر وسائل الضغط الكثيرة ، كذلك توجد تيارات كثيرة تتطلع لتعايش سلمي مع الحضارات الأخرى وانفتاح على ثقافات الآخرين ، إن التواصل مع هذه التيارات يفتح الباب لعلاقات تسامحية ولحوارت هادفة ، ترفد العلاقات الإنسانية بمفاهيم تنظر بإيجابية للتعدد الديني والتنوع الثقافي .

الوسيلة السادسة: الأنشطة المشتركة:

هنالك مجالات متعددة تتيح العمل المشترك بين بني البشر ، دون أن تشكل عقائدهم وثقافاتهم وإثنياتهم عائقاً يحول بينهم وبينها ، كالمعارف الإنسانية ، والأنشطة الإقتصادية ، والمعونات الإنسانية لضحايا الحروب والكوارث الطبيعية وغيرها ، إن تنفيذ برامج مشتركة يقوم بها المنتمون لديانات متعددة، وثقافات متباينة، وحضارات متنوعة، من شأنه أن يعطي نموذجاً عملياً للتعايش المشترك؛ بل للتعاون المشترك في البر والخير، ولا توجد حساسية في هذا العصر من قيام أنشطة وبرامج مشتركة، فقد كسرت حواجز كثيرة ، وتم تخطي عقبات كبيرة، وهنالك أكثر من منبر يجمع أشخاصاً ينتمون إلى ديانات متعددة والأمم المتحدة ومنظماتها الفرعية خير نموذج لذلك، كذلك عُقدت ملتقيات كثيرة للحوار في مجالات كثيرة وتكونت ثقافة نظرية لا حدود لها حول هذا الموضوع، والمطلوب أن تخطو البشرية خطوات عملية لإختبار هذه الثقافة التراكمية.

إن أكثر المجالات إلحاحاً لهذه الأنشطة المشتركة المجال الديني والمجال الحضاري، فالتعصب الديني من أخطر عوامل النزاعات البشرية، والفوارق الحضارية تشجع العنف، ولعل بعض الجهات قد سعت لتحقيق ذلك ، وكالعادة فإن الغربيين لهم السبق دائماً في مثل هذه القضايا والسبب في ذلك هو أنهم حققوا ضروراتهم المعيشية، وحلوا قضاياهم الأساسية ، فصاروا يخططون كيف يواجهون ما يستجد في حياتهم، ففي ملتقى الحوار الأروبي المتوسطي الذي عقد بمدينة « خافيا الأسبانية »[1] في الأسبوع الثالث من مايو 2006م وشارك فيه مسئولون أوروبيون إضافة لأمين عام جامعة الدول العربية، ووزيرخارجية المغرب، ومدراء مؤسسات معنية بالحوار الحضاري، وآخرين من ذوي الإهتمام فقد تمخض الاجتماع عن { التفكير في إقامة مؤسسة يكون مقرها في مدينة « خافيا » ، تضاف إلى الجسور التي يجري بناؤها باسم حوار الحضارات، أو حوار الأديان، أو علاقات حسن الجوار، غير أنه تم الاتفاق على أن تكون تلك المؤسسة الجديدة موجهة بصفة خاصة إلى الشباب باعتبارهم

(1) خافيا: بالأسبانية (javea) هي بلدية تقع في مقاطعة لقنت، جنوب شرق أسبانيا، سكانها حوالي ثلاثين ألف نسمة.

المستقبل الذي يمكن بناؤه على أساس تبادل المعرفة والفهم المتبادل والابتعاد عن التطرف الذي ينبع غالباً من الجهل وتبني الصورة الأحادية والرمادية للعالم ، وقد تركزت المقترحات في نقاط محددة :

1. التركيز على الشباب المتميزين وقادة المستقبل من مختلف الأوساط الاجتماعية ومتنوعي الخبرات والتخصصات، وعقد لقاءات بينهم حول موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية لتعميق المعرفة المتبادلة والفهم والتقدير وتنظيم معسكرات صيفية.
2. تشجيع المنح الدراسية وتبادل الطلبة والباحثين.
3. تشجيع تبادل الآراء حول الحكم الصالح وسيادة القانون.
4. تشجيع الاتصالات بين أصحاب الأعمال والعمال، وخلق فرص عمل عن طريق دورات تدريبية مع التركيز على المشروعات الصغيرة والمتوسطة.
5. تشجيع الاتصالات عن طريق وسائل الإعلام.
6. الاستفادة من المؤسسات والمبادرات القائمة في هذا الشأن، مثل: مؤسسة أنا لند، ومهرجان أصيلة الثقافي بالمغرب، ومؤسسة «بروكنجز»، واللجنة الدولية للأزمات، مع تنظيم ورش عمل للشباب حول موضوعات الحوار، والموضوعات المتنوعة، ومنها فرص العمل للشباب.

وتم الاتفاق على أن يتم تعميق دراسة النقاط سالفة الذكر لتشكل منظومة متكاملة في إطار مؤسسة صغيرة يكون مقرها في تلك المدينة الاسبانية الصغيرة والمضيافة} [1].

كذلك فإن التعاون في المجالات الأكاديمية والثقافية وتخصيص مقاعد في الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحث من شأنه أن يعضدد الإنفتاح ويشجع الحوار، ولعل هذا المجال قد طرق بالفعل ولكن المطلوب التوسع فيه حتى يتواصل ويصبح هدفاً مقصوداً ليثمر تلاقحاً حضارياً وتعاوناً إنسانياً على مستوى القرية الكوكبية.

(1) أحمد ماهر، وزير الخارجية المصرى الأسبق: مقال نشر في الشرق الأوسط: 26 مايو 2006م

إن مثل هذه الأنشطة المتبادلة ينبغي ألا تأتي عفو الخاطر؛ بل يتم التخطيط لها وفق برمجة مدروسة وهادفة لأنها من أنجح وسائل ترسيخ ثقافة الحوار، ومن وجد الإحسان قيداً تقيد.

فكما أن علينا أن نعيد النظر في كثير من المواقف فعلى الطرف الآخر فعل الشيئ نفسه ليصحح معلوماته عن ديننا وثقافتنا ليكون قادرا على تفهم كثير من المواقف التى قد لاتتفق مع ما هو سائد في بيئتهم ولاتقره قيمهم. إن ترسيخ ثقافة الحوار يحتاج إلى إرادة من المعنيين بالأمر وقناعة تترجم إلى آليات تعنى بهذا الأمر، وإذا اتبعت الوسائل السابقة بدقة سوف تؤتى أكلها رغم العوائق العقائدية والفكرية والسياسية، فالعنف أفسد كل شئ ومع ذلك فإن الإصلاح ممكن.

الفصل السابع

من ثمرات الحوار

- المبحث الأول : ثمرات الحوار في الدعوة
- المبحث الثاني : ثمرات الحوار في التربية
- المبحث الثالث : ثمرات الحوار في الثقافة والإعلام

المبحث الأول

ثمرات الحوار في الدعوة

باستعراض الفصول السابقة يتضح لنا أن الإسلام هو دين الحوار، والمجادلة بالحسنى ، وإقامة الحجة ، فالحوار كان وسيلة التخاطب بين الله سبحانه وتعالى وملائكته ، وكان حاضراً في مخاطبة إبليس ، وكان الوسيلة الغالبة في العلاقة بين الله ورسله ، وبدراسة مسيرة الرسل الطويلة مع قومهم نجد أن الحوار كان هو الأساس في التخاطب معهم وشرح مراد الله لهم ، وأكثر القصص القرآنية اشتمالاً للحوار قصة موسى مع فرعون من ناحية ومع قومه من الناحية الأخرى ، كما أن قصص الأنبياء الأخرى ، تخللتها حوارات كثيرة بينهم وبين قومهم ، وسبق أن ذكرنا أن نبي الله شعيب عليه السلام كان يسمى خطيب الأنبياء. ومن المناسب أن نتعرض في فصل الثمرات التي تحققت من الحوار إلى قصة بلقيس ملكة سبأ مع نبي الله سليمان والتي وردت مفصلة في سورة النمل هذه القصة اشتملت على حوارات متعددة : حوار النملة مع بقية النمل وتحذيرهم من موكب سليمان ، وحوار نبي الله سليمان مع النملة عن طريق التبسم، حيث هو الوحيد الذي عرف لغتها، ثم افتقاده للهدهد وتساؤله عنه وتهديده بالعذاب أو الذبح، ولا ينجيه إلا الإتيان بسلطان مبين -أي سبب مقنع للعفو- وجاء الهدهد فقال لسليمان عليه السلام : ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾[النمل:22] وهي كلمة في غاية الجمال تعني : إنني أنا الهدهد الضعيف الذي لا يكاد يكون شيئاً بجوار النبي الملك سليمان العظيم ، قد أحطت من العلم بما لم يحط به نبي الله ، وذلك أن العلم لا نهاية له وأن الإحاطة المطلقة به مستحيلة ، والناس يتقاسمون بعضه ، يحيط فريق منهم بما لم يحط به الآخر، وهم جميعاً لا يحيطون إلا بالبعض الضئيل : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء:85] ويستمر الهدهد في حديثه : ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا**

يَهْتَدُونَ ﴾ واستمرت الآيات المتعلقة بالقصة حتى قوله تعالى : ﴿ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[النمل:20-44] ونستخلص من القصة الفوائد الآتية :

1. أن المخلوقات الأخرى لديها لغات تتخاطب عبرها كما لديها معارف ربما تتفوق على البشر:﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾[الأنعام:38].

2. أن نبي الله سليمان قبل أن يصدر حكماً حرص على التأكد من رواية الهدهد أولاً، مما يشير إلى أهمية التدقيق في المعلومات قبل اتخاذ المواقف وإصدار الأحكام، وهو ما ينبغي للدعاة ولكل من يتعامل مع المخلوقات أن يسلكوه:﴿ **قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** ﴾[النمل:27-28].

3. أن بلقيس كانت امرأة حكيمة تتمتع برجاحة عقل وبعد نظر ، فنقلت إلى قومها رسالة سليمان بأسلوب رقيق لا يشتم منه رائحة الإستفزاز، حيث : ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ ثم استشارتهم كيف يتصرفون مع هذا الموقف، فلما فوّضوا الأمر إليها مع الإعتزاز بأنفسهم وقوتهم لم تستجب لاندفاع قومها، وإنما تريثت لتتبين حقيقة الأمر وردت رداً مختلفاً عن منطق القوة والتحدي : ﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[النمل:29-35].

4. وأخيراً فإن التفاوض كتابة وشفاهة وعبر التقنيات الحضارية التي بهرتها قادها للإسلام والإيمان بالله : ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[النمل:44].

أما الرسالة الخاتمة فهي رسالة الحجة والإقتناع والبراهين وهي لا تتحقق إلا بالحوار والنقاش والجدال بالتي هي أحسن. فقد كان الحوار منهجا في الدعوة

الإسلامية غطى كل مساحات المجتمع الأسرية، والمجتمعية، وعلى نطاق الدولة، والعلاقات الدولية فتحققت نتيجة لهذا المنهج ثمار كثيرة.

إن الثمار التي تحققت للدعوة عن طريق التفاوض والحوار كثيرة لا تحصى ودراسة سير الأنبياء والمرسلين تقنع كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وإذا دققنا في الرسالة الخاتمة سنجد أن الحوار حقق ثمرات كثيرة في مجال الدعوة، نشاهدها في التحولات الكبيرة التي حدثت في جزيرة العرب، ومن ثم في عالم المعمورة ، وهي تحولات تتأكد أهميتها بمعرفة ما كان عليه الحال في عصر الجاهلية من انتشار للوثنية، وتمسك بالعصبية، وتمايز بالألوان والأعراق، وحروب مدمرة لأتفه الأشياء، فلا شك أن الإسلام قد أحدث تحولاً كبيراً نحو الأحسن، مقارنة بما كان عليه الحال قبل مجيئه، ويستحسن كمدخل لهذا الموضوع أن نتناول الحوار الذي حدث في بلاط الروم بين أبي سفيان - وكان وقتها على شركه - وبين هرقل عظيم الروم حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حوار مهم يبين أن أهل الكتاب كانوا على علم بأن زمان النبي الخاتم قد أطل ، ولكن منعهم الجحود من التصديق والإتباع ، والحوار قد ورد في صحيح البخاري الذي قال: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس أخبره أن أباسفيان بن حرب أخبره (أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل

أن يقـول مـا قـال؟ قلـت: لا. قـال: فهل يغـدر؟ قلـت: لا ونحن منـه في مدة لا نـدري ما هـو فاعـل فيهـا، قال: ولـم تمكنـي كلمة أدخـل فيها شـيئاً غير هـذه الكلمة، قـال: فهل قاتلتمـوه؟ قلـت: نعـم. قال: فكيـف كان قتالكـم إياه؟ قلت: الحـرب بيننا وبينه سـجال، ينـال منـا وننـال منه، قـال: مـاذا يأمركم؟ قلـت: يقـول: اعبدوا اللـه وحـده ولا تشركوا بـه شـيئاً، واتركوا ما يقـول آباؤكـم، ويأمرنا بالصلاة والصـدق والعفـاف والصلة، فقال للترجمـان: قـل له: سـألتك عن نسـبه فذكـرت أنه فيكـم ذو نسـب فكذلك الرسـل تبعث في نسـب قومهـا، وسـألتك هل قـال أحد منكم هـذا القول؟ فذكـرت أن لا، فقلـت: لو كان أحـد قـال هـذا القـول قبله لقلـت رجل يتـأسى بقـول قيل قبلـه، وسـألتك هـل كان من آبائـه مـن ملـك؟ فذكـرت أن لا، قلـت: فلـو كان من آبائـه من ملـك، قلت: رجـل يطلب ملـك أبيـه، وسـألتك هـل كنتـم تتهمونه بالكـذب قبـل أن يقول ما قـال؟ فذكـرت أن لا، فقـد أعـرف أنـه لم يكـن ليـذر الكذب عـلى النـاس ويكذب عـلى اللـه. وسـألتك أشراف النـاس اتبعـوه أم ضعفاؤهم؟ فذكـرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسـل وسـألتك أيزيـدون أم ينقصـون؟ فذكـرت أنهـم يزيـدون وكذلـك أمر الإيمـان حتى يتم، وسـألتك أيرتـد أحد سـخطة لدينه بعـد أن يدخل فيـه؟ فذكـرت أن لا وكذلك الإيمـان حين تخالط بشاشـته القلـوب، وسـألتك هـل يغـدر؟ فذكـرت أن لا، وكذلك الرسـل لا تغدر، وسـألتك بـم يأمركـم؟ فذكـرت أنـه يأمركـم أن تعبـدوا اللـه ولا تشركـوا بـه شـيئاً، وينهاكم عن عبـادة الأوثـان، ويأمركم بالصـلاة والصـدق والعفاف، فـإن كان ما تقول حقاً فسـيملك موضـع قدمـي هاتـين. وقـد كنـت أعلـم أنه خـارج ولـم أكن أظـن أنـه منكم، فلـو أني أعلـم أنـي أخلـص إليـه لتجشـمت لقـاءه، ولو كنـت عنده لغسـلت عـن قدميه. ثـم دعا بكتـاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم الـذي بعث به دحيـة إلى عظيم بـصري فدفعه إلى هرقـل فقرأه فـإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم.

سـلام عـلى مـن اتبـع الهـدى، أمـا بعـد: فإنـي أدعـوك بدعايـة الإسـلام أسـلم تسـلم يؤتـك اللـه أجـرك مرتـين، فـإن توليـت فإنمـا عليـك إثـم الأريسـيين، و﴿ **قُـلْ يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ تَعَالَـوْاْ إِلَى كَلَمَـةٍ سَـوَاء بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُـمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللّـهَ وَلاَ نُـشْرِكَ**

بِـهِ شَـيْئًا وَلاَ يَتَّخِـذَ بَعْضُنَـا بَعْضـاً أَرْبَابًـا مِّـن دُونِ اللّـهِ فَـإِن تَوَلَّـوْاْ فَقُولُـواْ اشْـهَدُواْ بِأَنَّـا مُسْـلِمُونَ ﴾[آل عمـران:64].

قـال أبـو سـفيان: فلمـا قـال مـا قـال وفـرغ مـن قـراءة الكتـاب كثـر عنـده الصخـب، وارتفعـت الأصـوات وأخرجنـا فقلـت لأصحابـي حـين أخرجنـا: لقـد أَمِـرَ أَمْـرُ ابـن أبـي كبشـة إنـه يخافـه ملـك بنـي الأصفـر، فمـا زلـت موقنـاً أنـه سـيظهر حتـى أدخـل اللـه عـلى الإسـلام) [1] هـذا الحـوار يسـتفاد منـه عـدة أمـور:

أولهـا: أن أهـل مكـة كانـوا عـلى درايـة تامـة بأحـوال الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم ودعوتـه، بدليـل مـاورد عـلى لسـان أبـي سـفيان في هـذا الحـوار، وأن المعانـي والقيـم التـي يدعـو إليهـا رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قيـم نبيلـة، وأكـد لهـم هرقـل أن كل مـا ذكـر يؤكـد صـدق الدعـوة، ومـع ذلـك لـم يزدهـم الأمـر إلاضـلالاً ونفـوراً ممـا يفهـم معـه تحكـم العنـاد عليهـم فأوردهـم المهالـك.

ثانيهـا: أن هرقـل موقـن في قـرارة نفسـه بصـدق الدعـوة، ولكـن سـطوة السـلطة وبهرجـة الملـك ونفـرة أعوانـه جعلتـه ينحـاز إلى الفانيـة، ويؤكـد ذلـك مـارواه البخـاري: (أن هرقـل كتـب إلى صاحـب لـه برومية، وكان نظـيره في العلـم. فأتـاه كتـاب مـن صاحبـه يوافـق رأيـه عـلى خـروج النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأنـه نبـي، فـأذن هرقـل لعظمـاء الـروم في دسـكرة لـه بحمـص، ثـم أمـر بأبوابهـا فغلقت ثـم اطلـع فقـال: يـا معـشر الـروم، هـل لكـم في الفـلاح والرشـد، وأن يثبـت ملككـم فتبايعـوا هـذا النبـي فحاصـوا حيصـة [2] حمـر الوحـش إلى الأبـواب، فوجدوهـا قـد غلقـت، فلمـا رأى هرقـل نفرتهـم وأيـس مـن الإيمـان قـال: ردوهـم عـليَّ، وقـال: إنـي قلـت مقالتـي آنفـاً أختـبر بهـا شـدتكم عـلى دينكـم، فقـد رأيـت فسـجدوا لـه ورضـوا عنـه) [3] فشـهوة السـلطة تحـول مـن اتبـاع الحـق.

وثالثهـا: أن هـذا الحـوار بـين شـخصين لـم يكونـا مسـلمين، ولكـن اللـه أجـرى الحـق عـلى لسـانيهما فأبـرزا الدعـوة عـلى حقيقتهـا، ممـا يثبـت شـهادة أخـرى عـلى صـدق دعـوة الإسـلام، والحـق مـا شـهدت بـه الأعـداء.

(1)) متفق عليه رواه البخارى في صحيحه (7) ومسلم في صحيحه (1773) سابق.

(2)) حاص: عدل وحاد: مختار الصحاح

(3)) رواه البخارى في صحيحه (7) سابق.

إن الثمرات التي تحققت وتتحقق للدعوة بفضل الحوار كثيرة لا يتسع لها هذا البحث ولكن يمكن الإشارة إلى بعضها بما يلي:

أولاً: تحول أفراد وجماعات للإسلام عن طريق الحوار:

بيّن الله سبحانه وتعالى أنه أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وتجلت هذه الرحمة في سيرته العطرة، التي كانت تميل إلى اللين والتسامح، قال مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ؛ وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)[1] ومن شفقته على الناس ورحمته بهم كان صلى الله عليه وسلم يرهق نفسه عندما يرفض الناس دعوته شفقة عليهم قال تعالى : ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾[الكهف:6]. لقد كانت صفات الرحمة والتسامح والتيسير ملازمة له صلى الله عليه وسلم ولم تكن وليدة ظروف عابرة، ومنذ فجر الدعوة كان متبعاً لنهج التفاوض والحوار مع المشركين، حريصاً على إخرجهم من الظلمات إلى النور، فلم يترك سبيلاً إلا سلكه، ولا فرصة إلا استغلها لمخاطبة قومه بما يكون به صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. ففي الحوار مع أهل مكة الذي أشرنا إليه سابقا، ورفضوا الاستجابة قائلين :» إن على قلوبهم أكنة» بعد هذا الحوار هبط جبريل وقال : يا محمد ، إن الله يقرئك السلام ، ويقول : (أليس يزعم هؤلاء أنّ : ﴿ **عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا** ﴾ [الإسراء:46] فليس يسمعون قولك ، كيف : ﴿ **وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا** ﴾[الإسراء:46] لو كانوا كما زعموا لم ينفروا ، ولكنهم كاذبون يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهية له) قال : فلما كان الغد أقبل منهم سبعون رجلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، اعرض علينا الإسلام ، فلما عرض عليهم الإسلام أسلموا عن آخرهم ، فتبسم منهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : (الحمد لله ، بالأمس تزعمون أن على قلوبكم غلفاً ، وقلوبكم أكنة مما ندعوكم إليه ، وفي آذانكم وقر وأصبحتم

(1)) رواه البخاري في صحيحه (3560)

اليـــوم مسـلمين) فقالـوا : يـا رسـول اللـه ، كذبنـا واللـه بالأمـس ، لـو كان كذلـك ما اهتدينـا أبـداً ولكـن اللـه الصـادق ، والعبـاد الكاذبـون عليـه ، وهـو الغنـي ونحـن الفقـراء }}[1] بهـذا النهـج المتسـامح اسـتقطب النـاس للإسـلام وغـرس في نفـوس المؤمنـين بـه العفـو عنـد المقـدرة والتجـاوز عـن الإسـاءة والرفـق بالعبـاد وقـد حقـق أهـم ثلاثـة إنجـازات بالوسـائل السـلمية :

1. إقامة الدولة في المدينة.
2. واستمالة القبائل العربية في فترة صلح الحديبية.
3. وفتح مكة.

وبالرغـم مـن أن المشركـين بـادروه بالعنـف إلا أنـه لـم يـرد عليهـم وأمـر أصحابـه بالكـف، ولـم يـرد عـلى العـدوان إلا عندمـا أُذِنَ لـه في العـام الثانـي للهجـرة، ومـا كان راغبـاً فيـه، وكل الذيـن قُتِلـوا في المعـارك في حياتـه صـلى اللـه عليـه وسـلم مـن شـهداء المسـلمين، وقتـلى المشركـين كان عددهـم: 1018 شـخصاً. فالدعـوة جـاءت سـلمية وكان الحـوار ديدنهـا كمـا اتضـح في الفصـول السـابقة، كان العـصر الجاهـلي تسـوده الوثنيـة وعبـادة الأصنـام، وخرافـات مسـيطرة عـلى عقليـة البـشر كالطـيرة والهامـة والصفـر، وهـي عقائـد مكثـت دهـراً طويـلاً حتـى اسـتقرت، ومحوهـا يحتـاج إلى إثبـات بطلانهـا وتقديـم حجـج دامغـة تقـوض أركانهـا، ولا يتـم ذلـك إلا بالحـوار والنقـاش والمقارنـة وهـذا مـا ركـز عليـه الإسـلام:

- كان أهل مكة يدركون قوة منطق الرسول صلى الله عليه وسلم ووضوح حجته فاجتهدوا على منع الناس من السماع إليه، وكانوا يتلقون الركبان القادمين لمكة للحج وللزيارة أو للتجارة فيحذرونهم من رجل في مكة يدّعي النبوة ويطلبون منهم ألا يستمعوا إليه. ذكر ابن إسحاق : { أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني كرسفـاً ـ قطناً ـ فرقا من أن يبلغني شئ من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه، قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول

(1) أخرجـه السـيوطي في الـدر المنثـور 5 / 360 موسـوعة أصـول الفكـر السـياسي والإجتماعـي والإقتصـادي الجـزء الأول ص (433) سـابق.

الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، قال : فقمت منه قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال : فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته دخلت عليه فقلت : يا محمد إنّ قومك قالوا لي كذا وكذا [الذي قالوا] قال : فوالله ما برحوا بي يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا اسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعت قولاً حسناً، فأعرض علي أمرك؛ قال : فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم للإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه؛ قال فقال : (اللهم اجعل له آية) ولما وصل الطفيل إلى بلده دعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأت دوس فجاء إلى مكة وطلب من رسول الله أن يدعو عليهم فدعا لهم وقال : (اللهم اهد دوساً وأت بهم)[1]، (ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم) قال : فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق، ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين- أو ثمانين بيتاً - من دوس فلحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين }[2] . نلاحظ هنا أثر الحوار وقوة الحجة، فالطفيل كان عاقلاً ومبصراً فلما تسلل القرآن إلى سمعه رغماً عنه حمله ذلك على مراجعة موقفه فلم يستجب لطلب قريش بعدم الإستماع للنبي وعندما استمع إلى رسول الله ميّز منذ اللحظة الأولى قوة حجته وأدرك أنه نبي ثم حمل معه الدين الجديد لقومه وأقنع من أقنع منهم بالحوار حتى قادهم للإسلام.

- بيعة العقبة كانت حدثاً مهماً في مسيرة الدعوة، فعبرها فُتِحَت أمام الدعوة أفاق جديدة، وبها استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرفع

(1)) رواه البخارى في صحيحه (4392) في كتاب المغازى

(2)) ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء الثانى ص (22-24). وابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثاني، ص (97 ـ 98) سابق.

الحصار الذي فرض عليه وعلى أصحابه، وتعتبر أول عهد وقع في الإسلام، إذ بموجب هذه البيعة أُسِّسَ مُجْتَمَعٌ إسلاميٌّ جديد في المدينة ،كان اللبنة الأولى في بناء الدولة الإسلامية التي ستبسط سلطانها وتعاليمها في أركان الدنيا الأربعة .. قال ابن اسحاق : { لما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه؛ وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم، فبينا هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً . فحدثني عاصم بن عمر عن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج قال: (أمن موالي يهود؟) قالوا: نعم! قال: (أفلا تجلسون أكلمكم؟) قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ، آمنوا وصدقوا }[1] ففي هذه العقبة دار حوار حول الأسس التي تمت عليها البيعة، والإلتزامات المتعلقة بها، والواجبات التي تفرضها، والحقوق التي تكفلها: { عن أبي إسحاق السبيعي عن الشعبي وعن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن عمر عن عقيل بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن الزهري، أنّ العباس بن عبد المطلب مرّ بالنبي

(1)) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص(54) و البداية والنهاية : ج 3 ص (46 ـ 47)

صلى الله عليه وسلم وهو يكلم النقباء ويكلمونه، فعرف صوته صلى الله عليه وسلم فنزل وعقل راحلته ، ثم قال لهم : (يا معشر الأوس والخزرج ، هذا ابن أخي وهو أحب الناس إلي ، فإن كنتم صدقتموه، وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم، فإني أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئن به نفسي، ولا تخذلوه ولا تغروه، فإن جيرانكم اليهود، وهم لكم عدو ولا آمن مكرهم عليه) فقال أسعد بن زرارة - وشق عليه قول العباس حين اتهم عليه أسعد وأصحابه- يا رسول الله إئذن لي فلنجبه غير مخشنين لصدرك، ولا متعرضين لشئ مما تكره إلا تصديقاً لإجابتنا إياك وإيماناً بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أجيبوه غير متهمين) فقال أسعد بن زرارة وأقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنّ لكل دعوة سبيلاً إن لين وإن شدة، وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمة للناس متوعرة عليهم، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك إلى دينك وتلك مرتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام والقريب والبعيد وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا ونحن جماعة في عز ومنعة لا يطمع فينا أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلا من عزم الله على رشده والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا إيماناً بما جئت به وتصديقاً بمعرفة ثبتت في قلوبنا نبايعك على ذلك ونبايع الله ربنا وربك، يد الله فوق أيدينا ودماؤنا دون دمك وأيدينا دون يدك نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا، فإن نفِ بذلك فبالله نفي ونحن به أسد ، وإن نغدر، فبالله نغدر ونحن به أشقى، هذا الصدق منا يا رسول الله والله المستعان، ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه، وأما أنت أيها المعترض لنا القول دون النبي صلى الله عليه وسلم فالله أعلم بما أردت بذلك، ذكرت أنه ابن أخيك وأنه أحب الناس إليك فنحن قد قطعنا القريب والبعيد وذا الرحم ونشهد أنه رسول الله أرسله من عنده ليس بكذاب، وإنّ ما جاء به لا يشبه كلام البشر، وأما ما ذكرت أنك لا تطمئن إلينا في أمره حتى تأخذ مواثيقنا فهذه خصلة لا نردها على أحد

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ ما شئت، ثم التفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله خذ لنفسك ما شئت، واشترط لربك ما شئت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم) وقالوا : فذلك لك يا رسول الله }[1] أعتقد أن التاريخ يشهد بأن هذا الحوار كان فتحاً بموجبه اكتسبت الدعوة أرضاً جديدة احتضنت نواة المجتمع الإسلامي الذي أفاض على الإنسانية خيراً وعسلاً ولبناً، بهذا الصدق وهذا الوضوح وهذا الإلتزام خطت الدعوة بخطى ثابتة نحو آفاق لا تحدها قيود المشركين ولا عقباتهم .

- كان رسول الله يختار خيرة أصحابه ويبعث بهم لينشروا الإسلام ويعلموا القرآن، وكان مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام؛ حيث بعثه رسول الله مع أهل المدينة ليعلمهم الإسلام، وكان مصعب مفاوضاً بارعاً ومتحدثاً لبقاً ويتمتع بهدوء مكنه من تحويل غلظة من يفاوضهم إلى لين وتجاوب، ذكر ابن إسحاق { أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال له بئر مرق، فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد لأسيد : لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً، قال : فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، قال: فوقف عليهما متشتماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟ قال: أنصفت، قال : ثم ركز حربته وجلس إليهما

(1) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (106) موسوعة أصول الفكر : ج / 5 ص (2820 ـ 2821)

فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقال فيما يذكرعنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهل ، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآ ، سعد بن معاذ .. فلما جاء إليهما وقف متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ قال وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم إثنان، قال فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً رغبت فيه قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن. فأسلم ثم أخذ حربته وأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة (قيادة) قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة} [1] فثمرة الحوار هنا أبلغ من أي بيان، والشاهد أنّ مصعب كان بحق مثالاً للداعية الذي يستطيع بالحكمة أن يمتص غضب الناس، ويحول مجرى الحديث إلى جانب موضوعي يتمكن به من كسب المحاور إلى جانبه.

ثانياً: الحوار وسيلة لتوضيح الأحكام الشرعية:

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله

(1)) ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء الثانى الصفحات (159-161) سابق.

عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال : صدقت ؛ فعجبنا له يسأله ويصدقه ! قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت؛ قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [1] فثمرة هذا الحوار بين جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصحابة علموا الأركان والقواعد التي يقوم عليها الإسلام، وعلموا أن الساعة علمها عند الله ولكن لديها علامات ذكرها رسول الله.

- وهذا حوار آخر بين رسول الله ووفد من الذين أسلموا. فيه ثمرات كثيرة تظهر من خلال الحوار: عن علقمة عن أبي سليمان الداراني قال: سمعت علقمة بن سويد بن علقمة بن الحارث يقول: سمعت جدي علقمة بن الحارث يقول: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة من قومي، فسلمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرد علينا فكلمناه فأعجبه كلامنا، وقال: (ما أنتم؟) قلنا: مؤمنون، قال: (لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟) قلنا: خمس عشرة خصلة، خمس أمرتنا بها، وخمس أمرتنا بها رسلك، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، ونحن عليها إلى الآن إلا أن تنهانا يا رسول الله، قال: (وما الخمس التي أمرتكم بها؟) قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، قال: (وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟) قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ونقيم الصلاة المكتوبة، ونؤدي الزكاة المفروضة، ونصوم شهر رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه السبيل، قال: (وما الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟)

(1)) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان: (8) سابق.

قلنـا: الشـكر عند الرخـاء، والصبر عنـد البـلاء، والصـدق في مواطن اللقـاء، والرضا بمـر القضـاء، وتـرك الشـماتة بالمصيبـة إذا حلـت بالأعداء، فقـال رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: (فقهـاء، أدبـاء، كادوا أن يكونـوا أنبياء مـن خصال مـا أشرفها) وتبسـم إلينـا ثم قـال: (أوصيكـم بخمس خصـال ليكمل اللـه لكم خصـال الخير، لا تجمعـوا مـا لا تأكلـون، ولا تبنوا ما لا تسـكنون، ولا تنافسـوا فيما غداً عنـه تزولون، واتقـوا اللـه الذي إليـه تحـشرون وعليه تقدمـون، وارغبـوا فيما إليه تصـيرون وفيه تخلدون) ([1]).

هـذا الحـوار بـين الرسـول والمسـلمين القادمـين بـين عـدة حقائـق **أولهـا:** وعـي المسـلمين بالأسـس والمبـادئ التـي يقوم عليهـا الإسـلام. **وثانيها:** اسـتصحاب الإسـلام للقيـم النافعـة مـن تجـارب الإنسـانية وقـد أقرهـم الرسـول عـلى ذلـك. **وثالثهـا:** أن الرسـول أشـاد بعلمهـم وأدبهـم وخصالهـم التـي ذكروهـا ممـا يوضـح أنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كان لصيقـاً بأصحابـه ويـسرّه نبوغهـم ومـن إعجابـه ببلاغتهـم وفقههـم زادهـم خصـالاً أخـرى لتكمـل لهـم خصـال الخـير.

ثالثاً: المحافظة على وحدة الجماعة في أحلك الظروف:

كثـير مـن الإنجـازات الحاسـمة بعـد وفـاة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم تحققـت نتيجـة لمحـاورات بـين كبـار الصحابـة مـن أهـل الـرأي والعلـم، منهـا : بيعـة أبـي بكـر والتـي تمـت بعـد حـوار مسـتفيض بـين الأنصـار والمهاجريـن، وبالرغـم مـن أن عمـر قـد حسـم الأمـر بالمبـادرة، إِلَّا أَنَّ الحـوار الـذي تـم قـد بـين وجهـة نظـر الطرفـين، ومـن ثـم كان التأييـد لـرأي المهاجريـن، بدليـل أن الأغلبيـة بايعـت أبـا بكـر مـا عـدا سـعد بـن عبـادة، وقضيـة الـردة التـي حدثـت بعـد وفـاة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم كانـت مـن القواصـم التـي عصـم منهـا موقـف الخليفـة أبـي بكـر الحاسـم الـذي لـولاه لا نهـار البنيـان، وَرَقَّ الديـن . فبعـد وفـاة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، جعلـت وفـود العـرب تُقْـدِم إلى المدينـة يقـرون بالصـلاة ويمتنعـون عـن أداء الـزكاة، ومنهـم مـن امتنـع مـن دفعهـا إلى الصديـق، محتجـين بقولـه تعـالى: ﴿

(1) أخرجـه الحاكـم في المسـتدرك (4 / 257، 409) موسـوعة أصـول الفكـر السـياسي والإجتماعـي والإقتصـادي، إعـداد خديجـة النـبراوي المجلـد الخامـس ص (2819 ـ 2820) سـابق.

خُـذْ مِنْ أَمْوَالِهِـمْ صَـدَقَةً تُطَهِّـرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَـا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَـلاَتَكَ سَكَـنٌ لَّهُـمْ وَاللّـهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:103] قالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا إلى من صلاته سكن لنا، وأنشد بعضهم:

أَطَعْنَـا رَسُـولَ اللـهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَـا فَـوَا عَجَبًـا مَا بَـالُ مُلْـكِ أَبِـي بَكْرِ[1]

وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم: ثم هم بعد ذلك يزكون، فامتنع الصديق من ذلك وأباه. وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجة عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: علام تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُمِرْت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟ فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقاً، وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلَّا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق [2].

فالحوار أثمر قناعة بضرورة الحسم مع هؤلاء الذين شقوا عصا الطاعة، فلو تُركوا دون عقاب لشجعوا غيرهم لانتقاض عرى الإسلام عروة عروة، والذي من شأنه أن يؤدي في النهاية إلى زوال دولة الإسلام الوليدة. (إن موقف الصحابة رضي الله عنهم في قضية الردة والمعالجة الصديقية لها، كان منهجاً يدل على مدى الوعي، والفهم للطبيعة البشرية، وطبيعة النظم والعلاقات في جوانبها المتعددة، وضبط النسب عند المعالجة. فحين يختل الفهم في حلقة منها، فإن ذلك يشكل تهديداً خطيراً لجميعها. فاختلاط الفهم لدى حديثي الإسلام بين دوري النبوة والخلافة، والتفريق المرفوض بين فرائض المال وفرائض البدن، كان دليل خروج على الجماعة، وتدمير لنواة الأمة، ومصادرة لدور الأمة المنتظر في الشهود الحضاري. ومن هنا كان الموقف الصديقي: الرفض الواعي المطلق لهذا الموقف. ولم يلتفت الصديق رضي الله عنه إلى المسوغات الواهية التي احتج

(1)) ابن كثير، البداية والنهاية الجزء السادس ص(311) سابق.

(2)) ابن كثير، البداية والنهاية: الجزء الثالث (315) سابق.

الأعـراب بهـا لموقفهـم؛ لأن تأصيـل المنهـج مقـدم عـلى الكسـب السـياسي المؤقـت، والمعالجـات الجزئيـة هـي أقـرب إلى التأزيـم منهـا إلى الحـل) [1] ومـن أهـم حـوارات هـذا العـصر ذاك الحـوار الـذي حـدث بـين عمـر وأبـي بكـر حـول جمـع القـرآن الكريـم في مصحـف واحـد بعدمـا كثـر القتـل في القـراء، ممـا يخـشى معـه ضيـاع أهـم مصـدر للتشـريع، وكان ما اهتـدوا إليـه تأكيداً لقـول الله تعالـى:﴿ **إِنَّـا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْـرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجـر:10].

رابعاً: إجلاء الحقيقة التي تغطيها الشبهات مع إقامة الحجة:

عندمـا هاجـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى المدينـة ، كان اليهـود هـم المجموعـة الوحيـدة التـي تديـن بديـن سـماوي ، وكانـوا أهـل علـم ومعرفـة، وقـد سـبق أنهـم كانـوا يهـددون الأوس والخـزرج بأنـه قـد دنـا وقـت ظهـور نبـي آخـر الزمـان الـذي سـيتبعونه ويقتلونهـم قتـل عـاد وإرم، فلمـا جاءهـم مـا عرفـوا كفـروا بـه، ومـع ذلـك اعتبرهـم الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم أمـة مكونـة للدولـة الجديـدة، لهـم كافـة الحقـوق وعليهـم جـل الواجبـات، وكان كلمـا يجـد فرصـة يناقشـهم ويجادلهـم بالحسـنى، عـن عـوف بـن مالـك قـال : انطلـق النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يومـاً وأنـا معـه، حتـى دخلنـا كنيسـة اليهـود، بالمدينـة يـوم عيدهـم، فكرهـوا دخولنـا عليهـم، فقـال لهـم النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم : (يـا معـشر اليهـود أرونـي اثنـي عـشر رجـلاً منكـم يشـهدون أنـه لا إلـه إلا اللـه، وأن محمـداً رسـول اللـه، يحـط اللـه عـن كل يهـودي تحـت أديـم السـماء الغضـب الـذي غضبـه عليـه) فأمسـكوا ، مـا أجابـه منهـم أحـد، ثـم رد عليهـم فلـم يجبـه أحـد، ثـم ثَلَّـثَ فلـم يجبـه أحـد، فقـال : (أَبَيْتُـم فواللـه إنـي لأَنـا الحـاشر والعاقـب وأنـا المقفـي النبـي المصطفـي، آمنتـم أو كذبتـم) ثـم انـصرف وأنـا معـه، حتـى كدنـا أن نخـرج فـإذا رجـل مـن خلفنـا، فقـال : كمـا أنـت يـا محمـد، فقـال ذلـك الرجـل : أي رجـل تعلمونـي فيكـم يـا معـشر يهـود ؟ قالـوا : واللـه مـا نعلـم فينـا رجـل أعلـم بكتـاب اللـه، ولا أفقـه منـك، ولا مـن أبيـك مـن قبلـك، ولا مـن جـدك قبـل أبيـك، قـال : فإنـي أشـهد باللـه أنـه نبـي اللـه الـذي تجدونـه في التـوراة، قالـوا لـه

(1) طـه جابـر العلوانـي: إصـلاح الفكـر الإسـلامي بـين القـدرات والعقبـات، مصر-مكتبـة المنـار، الطبعـة الثانيـة (1412هـ ـ 1992م)، ص (37) بتـصرف.

كذبت، ثم ردوا عليه وقالوا فيه شراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كذبتم ، لم يقبل قولكم، أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن كذبتموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم) فخرجنا ونحن ثلاثة، رسول الله، وأنا، وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ**﴾ **إلى قوله** ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأحقاف:10] }[1].

كان الخوارج من أوائل الفرق الإسلامية التي خالفت الجماعة، مستندة إلى فكرة، ومتأولة للنصوص في دعم موقفها، وقد أثارت هذه الفرقة أسئلة عقدية خلقت بلبلة في المجتمع الإسلامي، خاصة وأن أصحابها كانوا أهل صلاح وعبادة وإخلاص لمعتقدهم، وقد حاربهم خلفاء المسلمين في عهود مختلفة حيناً وحاوروهم حيناً آخر، وقد أثمرت بعض الحوارات وآتت أكلها، وأقنعت بعضهم ببطلان موقفهم، مما ترتب عليه رجوعهم إلى صفوف الجماعة { فهذا ابن عباس يطلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يذهب إليهم ويحاورهم، فقال له : إني أتخوف عليك منهم، فقال : كلا إن شاء الله، فدخل عليهم فلم ير قوماً أشدّ اجتهاداً منهم في العبادة ! فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس. ما جاء بك ؟! فقال: جئت أحدثكم، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: قل نسمع منك، فقال: أخبروني ما تنقمون عليه (ابن عم رسول الله) وزوج ابنته، وأول من آمن به ؟! قالوا: ننقم عليه لثلاثة أمور، قال: وما هي؟ قالوا: أولها: أنه حَكَّمَ الرجال في دين الله. وثانيها: أنه قاتل (عائشة) و(معاوية) ولم يأخذ غنائم ولا سبايا. وثالثها: أنه محا عن نفسه لقب (أمير المؤمنين) مع أن المسلمين قد بايعوه وأمروه، فقال أرأيتم إن أسمعتكم من (كتاب الله) وحدثتكم من حديث (رسول الله) ما لا تنكرونه، أترجعون عما أنتم فيه؟ قالوا: نعم، قال: أما قولكم: إنه حَكَّمَ الرجال في دين الله، فالله سبحانه وتعالى يقول:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ.** ﴾[المائدة:95] أنشدكم الله. أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3 / 425) والطبري في تفسيره (8 / 26) والهيثمي في مجمع الزوائد (7 / 105) راجع: موسوعة أصول الفكر (ج:1/431 ـ 432) سابق.

ذات بينهم أحق أم حكمهم في أرنب ثمنها ربع درهم ؟! فقالوا: بل في حقن دماء المسلمين وصلاح ذات بينهم، فقال: أخرجنا من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم: إن (علياً) قاتل ولم يسب كما سبى (رسول الله) أفكنتم تريدون أن تسبوا أمكم (عائشة) وتستحلون ما تستحل السبايا؟ فإن قلتم نعم ، فقد كفرتم، وإن قلتم : أنها ليست بأمكم : كفرتم أيضاً، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب:6] فاختاروا لأنفسكم ما شئتم، ثم قال : أخرجنا من هذه أيضاً ؟ قالوا : اللهم نعم. قال : وأما قولكم : إن (علياً) قد محا عن نفسه إمرة أمير المؤمنين، فإن (رسول الله) صلى الله عليه وسلم حين طلب من المشركين يوم الحديبة أن يكتبوا في الصلح الذي عقده معهم : (هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله) قالوا : لو كنا نؤمن أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب (محمد بن عبد الله) فنزل عند طلبهم وهو يقول: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني) فهل خرجنا من هذه ؟ فقالوا اللهم نعم. وكان من ثمرة هذا اللقاء، وما أظهره فيه (عبد الله بن عباس) من حكمة بالغة وحجة دامغة، أن عاد منهم عشرون ألفاً إلى صفوف (علي) وأصر أربعة آلاف على خصومتهم له عناداً وإعراضاً عن الحق} [1]. مما سبق يتضح أن الأفكار تُدْفَعُ بالأفكار والمفاهيم الخاطئة تزال عبر الحوار، فكثير من المتطرفين مخلصون لعقائدهم ويظنون أن ما يقومون به هو الحق الذي لا حق سواه، فمثل هؤلاء لا يمكن استئصالهم بالإجراءات الأمنية وحدها؛ بل ربما يساهم استعمال العنف معهم أحياناً في نشر أفكارهم، ويعتبرهم بعض الشباب المتحمسين أبطالاً! فمع أهمية الردع لحماية أرواح الناس وممتلكاتهم، إلا أن الحوار ينبغي ألا يُهْمَل، فالحوار منهج إسلامي أصيل كما اتضح مما سبق، ويجب أن يقوم بالحوار علماء يجمعون بين المعرفة والحكمة، وأن يكونوا محل ثقة حتى يتمكنوا من تصحيح المفاهيم الخاطئة في أذهان الشباب.

كان الإمام أبو الحسن الأشعري ربيب المعتزلة، فقد تربى عندهم وأخذ الكلام منهم، وقد روى السبكي في طبقات الشافعية (أنه أقام على الإعتزال أربعين

(1) سيد صديق عبد الفتاح، موسوعة مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء، مصر -مكتبة الدار العربية للكتاب، طبعة (1999م) ج / 1 ص (109 ـ 113).

سـنة، حتـى صـار للمعتزلـة إماماً) وأول مـا بلغنـا من شـكه وخروجـه عـن الإعتزال أنـه ناظـر أسـتاذه الجبائـي، فقـال الأشـعرى لـه: مـا قولـك في ثلاثـة: مؤمـن وكافـر وصبـي؟ فقـال الجبائـي : المؤمـن مـن أهـل الدرجـات، والكافـر مـن أهـل الهلـكات، والصبـي مـن أهـل النجـا ، فقـال الأشـعرى : فـإذا أراد الصبـي أن يرقـى إلى أهـل الدرجـات هـل يمكـن ؟ قـال الجبائـي : لا، يقـال لـه : إن المؤمـن إنمـا نـال هـذه الدرجـة بالطاعـة، وليـس لـك مثلهـا، قـال الأشـعري : فـإن قـال : التقصـير ليـس منـي، فلـو أحييتنـي كنـت عملـت مـن الطاعـات كعمـل المؤمـن، قـال الجبائـي يقـول اللـه : كنـت أعلـم أنـك لـو بقيـت لعصيـت ولعوقبـت، فراعيـت مصلحتـك، وأَمَتُّـكَ قبـل أن تنتهـي إلى سـن التكليـف .. قـال الأشـعري : فلـو قـال الكافـر : يـا رب علمـت حالـه كمـا علمـت حـالي، فهـلا راعيـت مصلحتـي مثلـه ؟ فانقطـع الجبائـي) [1].

شـهد المجتمـع الإسـلامي إنتشـار الأفـكار، وتنامـي علـم الـكلام، ومجالـس الجـدل؛ نتيجـة للإنفتـاح الكبـير الـذي حـدث للمسـلمين بدخـول قوميـات كثـيرة، فارسـية، وهنديـة، وصينيـة، وغيرهـا في الإسـلام، كذلـك ظهـرت الفـرق الإسـلامية بقـوة؛ كالسـنة، والشـيعة، والخـوارج، والمعتزلـة، والمرجئـة؛ وهـي فـرق تقـوم عـلى مناهـج تخالـف كل واحـدة فيهـا الأخـرى، ممـا يجعـل النقـاش محتدمـاً، إضافـة إلى ظهـور المذاهـب الإسـلامية الفقهيـة، التـي قامـت عـلى مناهـج وقواعـد متنوعـة، ممـا يخلـق جـدلاً بـين أتبـاع هـذه المذاهـب، والحـق يقـال أن هـذا العـصر هـو عـصر نمـو الحضـارة الإسـلامية، فقـد وُضِعَـتْ قواعـد العلـوم، وتُرجمـت المعـارف، ودُوِّنـت السـنة؛ فأصبـح العالـم الإسـلامي شـعلة متقـدة، وسـاحة تفيـض بالمعـارف والعلـوم، ودارت حـوارات كثـيرة بـين الفقهـاء والعلمـاء، وبينهـم وبـين الحكام،كمـا دارت حـوارات بين الجماعـات الإسلاميـة، وبين علمـاء الدي وعلمـاء الفنون الأخرى [خاصـة الفلاسـفة] نختـار منهـا نمـاذج متفرقـة بحسـب مـا يسـمح بـه البحـث :

- في عهـد بنـي أميـة؛ جـرت حـوارات كثيرة بـين الـولاة والخارجـين عليهـم، وبينهم وبـين العلمـاء الذيـن يخالفونهـم الـرأي، وقصـة مناظـرة الحجـاج لسـعيد بـن جبـير مـن أشـهر القصـص، لكنـي أذكـر هنـا مناظـرة دارت بـين عمـر بـن عبـد العزيـز وبعـض الخـوارج، كمـا وردت في موسـوعة مناظـرات الأذكيـاء لسـيد

(1)) أحمد أمين، موسوعة الحضارة الإسلامية، الجزء / 8 ص (752 ـ 753) سابق.

صديق عبدالفتاح : (بعث عمر بن عبد العزيز محمد بن الزبير الحنظلي إلى (شوذب الحروري) وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة، قال : فكتب معنا إليهم كتاباً، فأتيناهم فأبلغناهم رسالته وكتابه، فبعثوا معنا رجلين منهم، أحدهما من بني (شيبان) والآخر في (حبشية) وهو أسد الرجلين حجة ولساناً، فقدمنا بهما إلى (عمر بن عبد العزيز) وهو بخناصرة، فصعدنا إليه في غرفة فيها ابنه (عبد الملك) وكاتبه مزاحم، فأعلمناه مكانهما، فقال : ابحثوهما أن لا يكون معهما حديدة، ثم أدخلوهما ففعلنا، فلما دخلا .. قالا : السلام عليكم ثم (جلسا) فقال لهما عمر : أخبراني.. ما أخرجكما مخرجكما هذا؟ وأي شئ نقمتم علينا؟ فقال الذي في حبشية: والله ما نقمنا عليك في سيرتك، فإنك لتجري العدل والإحسان، ولكن بيننا وبينك أمر. إن أعطيتناه، فأنت منا، ونحن منك. وإن منعتناه، فلست منا ولسنا منك، قال: عمر وما هو؟ قال: رأيتك خالفت أعمال أهل بيتك، وسلكت غير طريقهم، وسميتها مظالم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال. فابرأ منهم والعنهم، فهو الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق، قال: فتكلم (عمر) عند ذلك فقال: إني قد عرفت أو ظننت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا، ولكنكم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها. وأنا سائلكم عن أمر، فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما. قالا: نفعل.

قال: أرأيتم (أبا بكر) و (عمر) أليسا من أسلافكم، وممن تولون، وتشهدون لهما بالنجاة؟

قالا: بلى.

فقال: هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم فقاتلهم (أبو بكر) فسفك الدماء، وسبى الذراري، وأخذ الأموال؟

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل تعلمان أن (عمر) لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائرهم؟

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل برئ (أبو بكر) من (عمر) أو (عمر) من (أبي بكر)؟

قالا: لا.

قال: فهل تبرأون من واحد منهما؟ .

قالا: لا.

قال: أخبراني عن أهل النهروان، أليسوا من أسلافكم؟ وممن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة؟

قالا: بلى.

قال: فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم، كفوا أيديهم، فلم يخيفوا آمناً، ولم يسفكوا دماً، ولم يأخذوا مالاً؟

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع (عبد الله بن وهب الراسبي) استعرضوا الناس، فقتلوهم، وعرضوا (لعبد الله بن خباب) صاحب (النبي) صلى الله عليه وسلم، فقتلوه وقتلوا جاريته، ثم صبحوا حياً من العرب يقال لهم (بنو قطيعة). فاستعرضوهم، فقتلوا الرجال والنساء والولدان، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط وهي تفوربهم.

قالا: قد كان ذلك.

قال: فهل برئ أهل الكوفة من أهل البصرة، وأهل البصرة من أهل الكوفة؟

قالا: لا.

قال: فهل تبرأون من طائفة منهما؟

قالا: لا.

قال عمر: أخبراني أرأيتم الدين واحداً أم إثنين؟

قالا: بل واحد.

قال: فهل يسعكم فيه شئ يعجز عني؟

قالا: لا.

قال: فكيف وسعكم أن توليتم (أبا بكر) و (عمر) وتولى كل واحد منهما صاحبه، وقد اختلفت سيرتهما؟ أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة، وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا؟ وكيف وسعكم أن توليتموهم جميعاً وقد اختلفوا في أعظم الأشياء: في الدماء والفروج والأموال. ولا يسعني بزعمكما إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم، فإن كان لعن الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن أهل فرعون؟ ويقال بلعن هامان.

قال: ما أذكر متى لعنته!

قال: ويحك، فيسعك ترك لعن فرعون، ولا يسعني بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم؟ وَيْحَكُمْ إنكم قوم جهال، أردتم أمراً فأخطأتموه، فأنتم تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتردون عليهم ما قبل منهم، ويأمن عندكم من خاف عنده، ويخاف عندكم من أمن عنده.

قالا: ما نحن كذلك.

قال: بل تقرون بذلك الآن، هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان، وأن يشهدوا أن: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن فعل ذلك حقن دمه، وأمن عنده، وكان أسوة المسلمين، ومن أبى ذلك جاهده؟ قالا: بلى.

قال: أفلستم أنتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان، وممن يشهد أن: لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتلعنونه وتقتلونه، وتستحلون دمه، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى فتحرمون دمه ويأمن عندكم؟

فقال الذي في حبشية: ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك، أما أنا فأشهد أنك على الحق، وإنني بريئ ممن خالفك.

وقال للشيباني: فأنت ما تقول؟

قال: ما أحسن ما قلت وأحسن ما وصفت. ولكن أكره أن أَفْتَاتَ على المسلمين بأمر لا أدري ما حجتهم فيه حتى أرجع إليهم، فلعل عندهم حجة لا أعرفها.

قال: فأنت أعلم.

قال: فأمر للحبشي بعطائه، وأقام عنده خمس عشرة ليلة ثم مات.

ولحق الشيبانى بقومه. فقتل معهم) [1]. هذا الحوار أوضح من أن يعلق عليه.

- أورد أهل العلم أن (أبا حنيفة) كان جالساً في المسجد ذات يوم فدخل عليه طائفة من مقدمي الخوارج، شاهرين سيوفهم فقالوا له: يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين، فإذا أجبت نجوت، وإلا قتلناك! قال: أغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبي. قالوا كيف نغمدها، ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها في رقبتك ؟! فقال: سلو إذن، قالوا: جنازتان على الباب: إحداهما: رجل شرب الخمر فغمض فمات سكران. والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت في ولادتها قبل التوبة. أهما كافران أم مؤمنان؟ فقال: من أي فرقة كانا، من اليهود؟ قالوا : لا . قال : من النصارى ؟ قالوا : لا. قال : من عبدة الأوثان ؟ قالوا : لا. قال: ممن كانا ؟ قالوا من المسلمين . قال قد أجبتم قالوا وكيف ؟ قال قد اعترفتم أنهما كانا من المسلمين، ومن كان من المسلمين كيف تجعلونهما من الكافرين ؟ قالوا : هما في الجنة أم في النار ؟ قال : أقول فيهما ما قال إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ صلى الله عليه وسلم في حق من هو شر منهما : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[ابراهيم:36] وأقول ما قال عيسى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيمن هو شر منهما: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن**

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص(222) سابق

تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[المائدة:118] فتابوا واعتذروا}[1] وصدق الله القائل ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾[البقرة:269] فالخيط رفيع بين السلم والحرب، وبين الحوار والعنف، فهؤلاء قد تملكهم الغضب وسيوفهم مشهرة لقطع الرؤس، وهو أمر متوقف على إجابة غير حكيمة، ولكن أبا حنيفة رضي الله عنه عرف كيف يستدرجهم ليقولوا بأنفسهم ما يعتقده، إنه موقف يفسر لنا لماذا انتشر العنف في عصرنا الحاضر، إنه ببساطة يرجع إلى قلة الحكماء الذين يستطيعون أن ينقلوا أصحاب المفاهيم الخاطئة لمواقف صحيحة.

- كانت فرقة المعتزلة من أكثر الفرق الإسلامية استخداماً للعقل، وقد قام مذهبهم على أسس تجعل العقل حاكماً في كل شئ تقريباً، غير أن فرقاً منهم اشتطت كما فعلت الجهمية التي كان ينتمي إليها: أحمد بن أبي دؤاد، الذي وُلِّيَ القضاء للمعتصم ثم الواثق في فترة ارتباط مذهبهم بالدولة، وقد أدخلوا المسلمين في فتنة القول بأن القرآن مخلوق، والتي تصدى لها الإمام أحمد بن حنبل حتى أنه فقد حياته نتيجة للتعذيب الذي تعرض له، والشاهد أن ابن أبي دؤاد تعرض لموقف أفحم فيه وبطلت حجته؛ عن محمد بن المهدي بن الواثق أن شيخاً دخل يوماً على الواثق فسلم فلم يرد عليه الواثق؛ بل قال : لا سلم الله عليك، فقال : يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك به معلمك، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**..﴾[النساء:86] فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها، فقال ابن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم، فقال : ناظره، فقال ابن أبي دؤاد: ما تقول يا شيخ في القرآن أمخلوق هو ؟ فقال الشيخ: لم تنصفني، المسألة لي، فقال: قل، فقال: هذا الذي تقوله علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو ماعلموه؟ فقال: ابن أبي دؤاد: لم يعلموه. قال: فأنت علمت ما لم يعلموا؟ فخجل وسكت، ثم قال أقلني بل علموه، قال: فلم لم يدعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت

(1) أحمد أمين، موسوعة الحضارة الإسلامية، الجزء الثامن ص (177 ـ 178) سابق.

أمـا يسـعك مـا وسـعهم؟ فخجـل وسـكت. قـال المهـدي: فدخـل أبـي المنـزل فاسـتلقى عـلى ظهـره وجعـل يكـرر قـول الشـيخ عـلى نفسـه ويقـول: أمـا وسـعك مـا وسـعهم؟ ثـم أطلـق الشـيخ وأعطـاه أربعمائـة دينـار ورده إلى بلاده، وسـقط مـن عينيـه ابـن أبـي دؤاد ولـم يمتحـن بعـده أحـد} [1] سـبحان اللـه أرواح تُزهـق وأبريـاء يُحبسـون، والحرمـات الإنسـانية تُنتهـك مـن أجـل نهـج تبنتـه الدولـة عـبر ثـلاث حقـب، ثـم يبطـل هـذا النهـج بموقـف لـم يسـتغرق إلا بضـع دقائـق!

خامساً: ثمرات الحوار في العصر الحديث:

القرية الكونية التي تشكلت في عصرنا هذا بفضل التطور التقني والإعلامي؛ أتاحت للإنسان الإطلاع على معلومات كثيرة حول الأديان والأفكار والآراء، كذلك الوعي العالمي بأهمية حقوق الإنسان، والمحافظة على البيئة، وضرورة إحلال السلام محل الحروب؛ دفع المجتمع الدولي لوضع مواثيق ومعاهدات، وإنشاء منظمات متخصصة لهذه الأغراض، هذه الطفرة في العلاقات الإنسانية، تتيح لنا فرصة إيصال الصورة الحقيقية للإسلام، والتي تعرضت لتشويه ساهم في نشره الغلاة والغزاة والطغاة، هذا الفريق الثلاثي هو ما ينبغي أن يطلق عليه محور الشر؛ لأن التغذية متبادلة بين أطرافه الثلاثة، فالطغاة بممارساتهم القمعية وانتهاكهم لحقوق الإنسان، يدفعون الغلاة نحو العنف الذي لا يميز بين مخطئ وبريئ، ولا بين محـارب ومستأمن ، ثم يأتي الغزاة بحجة مكافحة الإرهاب، فيجد الغلاة الحجة للمقاومة، وهكذا ندخل في دوامة الدور والتسلسل كما يقول علماء الكلام، وتقع الإنسانية ضحية لحماقات محور الشر، إن البديل يتمثل في طريق ثالث: يُسْقِطُ العنف من قاموسه في علاقته بالآخر، والدعوة الإسلامية يلائمها مناخ السلام والإعتدال، وبنهج الحوار تستطيع تحقيق فوائد كثرة أهما الآتي :

(1) الحوار يتيح فرصة للمقارنة بين الأديان، ومما لا شك فيه أنَّ ما يقدمه الإسلام للإنسانية في مجال العقيدة والعبادة ورؤيته للإنسان، سيجد القبول من المنصفين عند المقارنة بينه وبين ما تقدمه الأديان الأخرى، كما حدث لكثير من المفكرين والعلماء؛ أمثال: موريس بوكاي، ورجاء جارودي، ومراد هوفمان؛ وغيرهم كثير. فالعقيدة الإسلامية

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء العاشر ص (335) سابق.

-كما سبق -خالية من الغموض والإضطراب، والعبادة صلة بين الإنسان والله، وسكينة للنفس، وهي في نفس الوقت ذات أبعاد إجتماعية، والإنسان ليس محتقراً ولا مؤلهاً؛ بل هو بشر فيه قبضة من الطين وقبس من روح الله، ومكرم لمجرد إنسانيته.

(2) التطرف والعنف والتعصب، ممارسات أدت إلى تشويه صورة الإسلام، وغطت على قيمه وتعاليمه المتسامحة، فأصبح الحكم على الإسلام يتم من خلال المظاهر السلبية التي يقوم بها الغلاة، فالحوار يزيل الغشاوة عن أبصار أولئك الذين يبحثون عن الحقيقة والتي حجبتها عنهم تلك الممارسات.

(3) الحوار مع الغلاة إذا أدير بصورة منهجية وحكيمة، يمكن أن يصحح مفاهيمهم المنحرفة كما رأينا ذلك في حـوار ابن عباس وعمر بن عبد العزيز مع الخوارج، ولا شك أن تصحيح مفاهيم هؤلاء وتحويلهم إلى شريحة صالحة في المجتمع، فيه أكبر الثمرات: فإضافة إلى إيقاف حمامات الدم، فإن فيه إنقاذاً لهم من هاوية الإنحراف وأخذاً بأيديهم من طريق الضلال.

(4) المجتمع الغربي مجتمع حر، تنتهي حرية المرء فيه حيث تبدأ حرية الآخرين، فهو يوفر بيئة صالحة للحوار يمكن استغلالها لتوضيح تعاليم الإسلام ومبادئه عبر الحوار، وسيكون العائد كبيراً للدعوة الإسلامية.

(5) لقد عاش العالم الإسلامي في دوامة العنف والعنف المضاد منذ زمن بعيد، والنتيجة لا تحتاج إلى بيان، ومعظم مظاهر العنف تركزت حول السلطة بين الحكومة والمعارضة: إذ ما سُلَّ سَيْفٌ في الإسلام مثل ما سُلَّ في الإمامة العظمى كما قال الشهرستاني! فهل نطمع في تغيير هذا المناخ، بأن يسعى الطرفان لتجربة أسلوب جديد، يتمثل في الحوار لفض النزاعات، واعتماد الشورى سبيلاً للوصول إلى الحكم وممارسته؟ لا شك أنه إذا حدث ذلك فَسَتُحَقِّقُ الدعوة الإسلامية مكاسب كثيرة منها؛ بسط الحريات، وكفالة حقوق الإنسان، وحرية البحث العلمي، وتوظيف الطاقات المهدرة في الصراع لخدمة الدعوة، فضلاً عن حقن الدماء ومسح الدموع.

المبحث الثاني

ثمرات الحوار في التربية

المرحلة المكية كانت من المراحل المهمة في مسيرة الدعوة ، ففيها تم تكوين الطليعة الإيمانية التي ستحمل هدي الإسلام قدوة وسلوكاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فقد كُرِّست تلك المرحلة لغرس مبادئ الدعوة في أذهان أفراد الطليعة الإيمانية، عن طريق التعليم والممارسة والقدوة، وقد شهدت تلك الفترة حوارات كثيرة جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين كما سلفت الإشارة، ورأي الصحابة كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل جاهداً لنقل المجتمع للنهج السلمي، وسور القرآن وآياته المكية ركزت على توضيح أسس العقيدة والمبادئ المغايرة لما عليه المجتمع الجاهلي، والأساليب القرآنية جاءت منشطة للعقل، ومحفزة للذهن، لما اشتملت عليه من مقارنات وإشارات لمجالات لم يلتفت إليها العقل الجاهلي المحبوس في قيود الخرافة والوثنية، وقد اعترض المشركون على المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام، ووصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون واتباع أساطير الأولين وغيرها من الأوصاف المنقصة من قدر الإنسان، وكان القرآن يجيب عن كل تساؤل ويرد كل تهمة بأبلغ حجة وأوضح بيان، وهذا الأسلوب في الواقع كان أسلوباً تربوياً يلفت نظر المسلمين إلى ما ينبغي أن يسلكوه في مواجهة الخصوم، وهو منهج مقارعة الحجة بالحجة، ودحض الشبهات بالدليل المقنع، وهذا المشهد الذي تناولته سورة الطور يبين جانباً من ردود القرآن على الشبهات المثارة من قبل المشركين. قال تعالى : ﴿ **فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ * أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم**

بِسُلْطَـــانٍ مُّبِـــينٍ ۞ أَمْ لَـــهُ الْبَنَـــاتُ وَلَكُـــمُ الْبَنُـــونَ ۞ أَمْ تَسْـــأَلُهُمْ أَجْـــرًا فَهُـــم مِّـــن مَّغْـــرَمٍ مُّثْقَلُـــونَ ۞ أَمْ عِندَهُـــمُ الْغَيْـــبُ فَهُـــمْ يَكْتُبُـــونَ ۞ أَمْ يُرِيـــدُونَ كَيْـــدًا فَالَّذِيـــنَ كَفَـــرُوا هُـــمُ الْمَكِيـــدُونَ ۞ أَمْ لَهُـــمْ إِلَـــهٌ غَيْرُ اللَّـــهِ سُبْحَـــانَ اللَّهِ عَمَّـــا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:29-43]

مـن هـذا علـم المسـلمون أدوات التعامـل مـع مـا يثـيره المشركـون مـن شـبهات، فالكلمـة تواجـه بالكلمـة، والشـبهة تُسْـتَجْلَى والحجـة تُدْحَـضُ، والسـيرة العمليـة لرسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم اهتمـت بتربيـة الصحابـة عـلى الحـوار في تلـك المرحلـة المبكـرة، وقصـة إسـلام عمـر تؤكـد أن الحـوار كان في حيـاة الصحابـة سـلوكاً مشـاعاً في مقابـل العنـف الـذي سـلكه المشركـون، ذكـر ابـن هشـام عـن ابـن إسـحاق (أن نعيـم بـن عبـد اللـه لقـي عمـر بـن الخطـاب متوشـحاً سـيفه فسـأله أيـن تريـد؟ فقـال: أريـد محمـداً هـذا الصابـئ، الـذي فـرق أمـر قريـش، وسـفَّه أحلامهـا، وعـاب دينهـا، وسـب آلهتهـا، فأقتلـه. فقـال لـه نعيـم: واللـه لقـد غرتـك نفسـك مـن نفسـك يـا عمـر! أتـرى بنـي عبـد منـاف تاركيـك تمـشي عـلى الأرض وقـد قتلـت محمـداً ؟! أفـلا ترجـع إلى أهـل بيتـك فتقيـم أمرهـم؟ قـال: وأي أهـل بيتـي؟ قـال: ختنـك وابـن عمـك سـعيد بـن زيـد بـن عمـرو، وأختـك فاطمـة بنـت الخطـاب، فقـد واللـه أسـلما وتابعـا محمـداً عـلى دينـه، فعليـك بهمـا، قـال: فرجـع عمـر عامـداً إلى أختـه وَخَتَنِـهِ، وعندهمـا خبـاب بـن الأرت معـه صحيفـة فيهـا﴿ **طـه** ﴾يُقْرِئُهُمَـا إياهـا، فلمـا سـمعوا حـس عمـر، تغيـب خبـاب في مخـدع لهـم أو في بعـض البيـت، وأخـذت فاطمـة بنـت الخطـاب الصحيفـة فجعلتهـا تحـت فخذهـا، وقـد سـمع عمـر حـين دنـا إلى البيـت قـراءة خبـاب عليهمـا. فلمـا دخـل عمـر قـال: مـاهذه الهينمـة التـي سـمعت؟ قـالا لـه: مـا سـمعت شـيئاً قـال: بـلى واللـه لقـد أُخْـبِرْتُ أنكمـا تابعتمـا محمـداً عـلى دينـه، وبطـش بختنـه سـعيد بـن زيـد، فقامـت إليـه أختـه فاطمـة بنـت الخطـاب لتكفـه عـن زوجهـا، فضربهـا فشـجها، فلمـا فعـل ذلـك قالـت لـه أختـه وختنـه: نعـم قـد أسـلمنا وآمنـا باللـه ورسـوله فاصنـع مـا بـدا لـك. فلمـا رأى عمـر مـا بأختـه مـن الـدم نـدم عـلى مـا صنـع، فارعـوى وقـال لأختـه أعطينـي هـذه الصحيفـة التـي سـمعتكم تقـرءون آنفـاً أنظـر مـا هـذا الـذي جـاء بـه محمـد. فخشـيت عليهـا منـه ولكنـه أقسـم ليردنهـا، فأمرتـه بالإغتسـال

فلما فعل وقرأ الصحيفة من سورة طه قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عمر عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فدله فأتاه فدخل الإسلام) [1] الشاهد أن ابن الخطاب جاء مشحوناً بالغضب الذي تفجر إلى عنف ضد زوج أخته وأخته، ولكنهما استطاعا بموقفها الجريئ -وهو اعترافهما بإسلامها في وجه عمر الذي كان مهاباً -أن يُحَوِّلَا الْمُناخ إلى مناخ حواري كانت نتيجته إسلام رجل كان له أثر كبير في مسيرة الدعوة الإسلامية.

ونجد القرآن الكريم - المرجع الأول للتشريع في الإسلام - قد تضمن نماذج تربوية كان الحوار وسيلتها، ومع معايشة القرآن الكريم تطبعت حياة المسلمين بأحكامه وتوجيهاته، فإبراهيم عليه السلام تحاور مع ابنه إسماعيل بشأن تنفيذ حكم الله القاضي بذبحه، وهو أمر يصعب على النفس تقبله، ولكن النبوة شأنها مختلف. قال تعالى:﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾[الصافات:102] ورؤيا الأنبياء وحي. ولقمان الحكيم غرس القيم التربوية عن طريق الحوار مع إبنه :﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان:13] وقوله تعالى : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾[لقمان:16-19]..

وكانت توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم تأخذ منحًى حوارياً في الغالب؛ لأنها أبلغ في شرح الأحكام وترسيخها؛ عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال:

(1)) ابن هشام، السيرة النبوية، الجزء الأول ص (212 – 213) بتصرف. سابق.

مـرَّ رجـل عـلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال لرجـل عنـده جالـس: (مـا رأيـك في هـذا؟) فقـال: رجـل مـن أشراف النـاس، هـذا واللـه حَـرِيٌّ إن خطـب أن يُنْكَـحَ وإن شَـفَّعَ أن يُشَـفَّعَ، قـال: فسـكت رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ثـم مـرَّ رجـل فقـال لـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: (مـا رأيـك في هـذا؟) فقال: يـا رسـول اللـه هـذا رجـل مـن فقـراء المسـلمين، هـذا حـري إن خطـب ألَّا يُنكَـحَ، وإن شَـفَّعَ ألَّا يُشَـفَّعَ، وإن قـال أن لَّا يُسْمَـعَ لقولـه، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: (هـذا خـير مـن مـلء الأرض مـن مثـل هـذا)[1]. ففـي هـذا الحديـث بَـيَّن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أن التفاضـل عنـد اللـه ليـس بالحسـب ولا بالمـال؛ وإنمـا بالتقـوى. والشـاهد أنَّ بيـان الحكـم الشرعـي كانـت وسـيلته الحـوار. وهـذا مـن شـأنه أن يُجَسِّـدَ الحـوار عمليـاً في حيـاة المسـلمين، ومشـهد آخـر يوضـح فيـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم أهميـة العلاقـات الإجتماعيـة القائمـة عـلى حسـن المعاملـه في الإسـلام، والتنفـير مـن سـوء المعاملـة: عـن أبـي هريـرة رضي اللـه عنـه: أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: (أتـدرون مـن المفلـس؟) قلنـا: المفلـس فينـا مـن لا درهـم لـه ولا متـاع، قـال: (إن الْمُفْلِـسَ مـن أمتـي مـن يأتـي يـوم القيامـة بصـلاة وصيـام وزكاة، ويأتـي قـد شـتم هـذا، وقـذف هـذا، وأكل مـال هـذا، وسـفك دم هـذا، وضرب هـذا، فيعطـى هـذا مـن حسـناته، وهـذا مـن حسـناته، فـإن فنيـت حسـناته قبـل أن يقـضي مـا عليـه أُخِـذَ مـن خطاياهـم فطرحـت عليـه ثـم طـرح في النـار) [2].

هـذه الأسـاليب النبويـة وتلـك الطـرق القرآنيـة، جعلـت أسـلوب الحـوار جِبِلَّـةً في طِبَـاعِ الصحابـة كمـا شـهدنا ذلـك في مواقـف جعفـر بـن أبـي طالـب، ومصعـب بـن عمـير، والمغـيرة بـن شـعبة، وربعـي بـن عامـر، وحاطـب بـن أبـي بلتعـة، وغيرهـم مـن الذيـن أُشْرِبـوا الحـوار في قلوبهـم، وعندمـا تجنـح بهـم نزعـات الغضـب نحـو العنـف، كان رسـول اللـه يردهـم إلى الرفـق واللـين، ويبـين لهـم ثمـرة الحـوار والسـماحة. فقصـة اليهـودي الـذي جـاء إلى رسـول اللـه يطلـب دينـه فمـا لبـث أن أسـلم بفضـل حلـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، تُؤَكِّـدُ مـا ذهبنـا إليـه. عـن عـلي: أن يهوديـاً كان يقـال لـه جريجـرة، وكان لـه عـلى النبـي صـلى اللـه عليـه

(1)) رواه البخارى في صحيحه (6447)

(2)) رواه مسلم في صحيحه (2581) في كتاب البر والصلة والآداب

وسلم دنانير، فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: (يا يهودي ما عندي ما أعطيك) قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذاً أجلس معك) فجلس معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ما الذي تصنعون به؟) فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (منعني ربي أن أظلم معاهداً ولا غيره) فلما ترجل النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله! ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق، ولا مُتَزَيِّي بالفُحْشِ، ولا قَوْلَ الخَنَا. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، هذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله وكان اليهودي كثير المال) [1].

لقد أقام الإسلام مجتمعاً جديداً حلّ فيه التسامح محل التعصب، ونتيجة لذلك أصبح الحوار سلوكاً مجتمعياً، وعنصراً من عناصر التربية الإسلامية، وقد ساهمت في ذلك العوامل الآتية:

أولاً: دعوة الإسلام للإنسان لإعمال النظر بالتفكر والتدبر في الكون والحياة والأحياء؛ مما خلق حواراً صامتاً أحياناً، وناطقاً أحياناً أخرى بين الإنسان وبين هذا الفضاء الكوني الفسيح.

ثانياً : إتباع الإسلام أسلوب التفاوض مع الذين يعترضون طريق الدعوة ويثيرون قضايا تخلق تساؤلات في المجتمع تحتاج إلى إجابات شافية، وقد تميز القرآن الكريم بأنه يذكر تلك القضايا ويجيب عليها، قال تعالى:﴿**وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا**

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 622) والبيهقي في دلائل النبوة (6/ 76) المصدر: خديجة النبراوي، موسوعة أصول الفكر السياسي والإجتماعي والإقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين المجلد الثاني ص (1051 -1052) سابق.

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾[الإسراء:90-93].

ثالثاً: إعلاء الإسلام من قيمة الشورى وجعلها صفة ملازمة للمؤمنين، تدخل في معظم علاقاتهم الأسرية والإجتماعية كما أنها جعلت فريضة من فرائض الإسلام السياسية:﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[الشورى:38].

رابعاً: مطالبة الإسلام للمسلمين بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأن تتكون جماعة تتخصص لهذا الأمر، حتى يحافظ المجتمع على الفضيلة ويستنكر الرذيلة؛ لأن ذلك وحده يحافظ على النظام العام للمجتمع الإسلامي، ومن الطبيعي أن يتم ذلك عبر حوار يدعو للمعروف أو ينهى عن المنكر.

خامساً: تأكيد الإسلام على حتمية الواقع الإجتماعي القائم على الإختلاف، واعتباره ضرورة من ضرورات المجتمع البشري : ﴿ **وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ..** ﴾ [هود:118-119] مع توضيح أن هذا الإختلاف لا يعني التفاضل بقدر ما هو سبب للتعارف والتعاون والإعتبار.

واليوم فإن اتباع نهج تربوي يغرس الحوار في حياة المسلمين منذ التنشئة، من شأنه أن يغير من السلوك العدواني في معاملة المخالف، ويؤسس لعلاقات تقوم على التسامح والتواصل والتعاون والتحاور، وينبغي أن نشير إلى الوعي بأهمية العامل التربوي المتسامح على نطاق الأسر، حتى يُنَشِّئُوا أبناءهم تنشئة تغرس فيهم الثقة بالنفس، عن طريق تحاورهم مع والديهم، ومناقشتهم في كل ما يهمهم بكل حرية دون خوف من العقاب أو القمع ، وينبغي أن نغرس فيهم معرفة حقوقهم وواجباتهم حتى لا يظلموا ولا يسكتوا عن ظلم يصيبهم (جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكوا إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد وأَنَّبَهُ على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى . قال فما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر

: أن ينتقي أمه، ويحسن إسمه، ويعلمه [القرآن] قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجيةكانت لمجوسي ، وقد سماني جعلاً [خنفساء] ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : إنك قد عققت ابنك قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك !)[1]. فأنت تلاحظ من هذه القصة وغيرها أن المجتمع في ضحى الإسلام كان متقدماً على عصرنا هذا، فالحوار كان صريحاً على كافة المستويات، ومكفول لكافة الأعمار، ومرجع ذلك إلى البيئة التربوية التي رسخها الإسلام، وحافظ عليها بنهجه المعتدل المتسامح.

(1)) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة، دارالسلام للطباعة والنشر، الطبعة الأربعون (1426ه)، المجلد الأول ص(101).

المبحث الثالث

ثمرات الحوار في الثقافة والإعلام

أولاً: الثقافة:

ثقافة المسلم تنبع من العقيدة الإسلامية، والأصول الشرعية، والقواعد الكلية، والأخلاق الحميدة، وهي تتميز بخصائص تتمثل في أنها تعتبر أن وحدة الأمة هي الأصل:﴿ **إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[الأنبياء:92] وهي تعبر عن هوية الأمة وتقاليدها في المأكل والمشرب والملبس وطريقة المشي، وهي أشياء يشترك فيها كل الناس، غير أن المسلمين يَتَحَرَّوْنَ في هذه العادات الأحكام الشرعية، ويمارسونها مقرونة بأهداف سامية:﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ..** ﴾[الأعراف:157] ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ..**﴾[لقمان:19] ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾[الملك:15] وفي ظروف معينة يؤثر المسلم غيره على نفسه، تطلعاً لهدف أسمى : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا** ﴾[الانسان:8-9] ومن خصائص الثقافة الإسلامية، أنها ربانية المصدر والغاية : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى** ﴾[النجم:39-42].

ومن خصائصها أنها ثقافة عربية إسلامية؛ وهما فرعان متصلان في جذورهما، وملتقيان في غصونهما وفي ثمرهما، وهي ثقافة عربية؛ لأنها باللسان العربي بدأت، وبه استمرت، وعلى أساسه ستدوم إلى يوم القيامة، والعروبة في الإسلام تتجاوز المفهوم العرقي الضيق، إلى المفهوم الثقافي العام، وهي كما يقول الشاعرمحمد غنيم:

سَلِ الْمَعَانِي عَنَّا إِنَّنَا عَرَبٌ ... شِعَارُنَا الْمَجْدُ يَهْوَانَا وَنَهْوَاهُ
هِيَ الْعُرُوبَةَ لَفْظٌ إِنْ نَطَقْتَ بِهِ ... فَالشَّرْقُ والضَّدُ والإِسْلَامُ مَعْنَاهُ [1]

(1) محمود غنيم، ديوان رجع الصدى، القاهرة، دار الشعب، طبعة (1399هـ -1979م)

والثقافة الإسلامية ثقافة أخلاقية يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منِّي مجلِسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضَكم إليَّ، وأبعدَكم منِّي مجلِسًا يومَ القيامةِ الثَّرْثارون والمُتشَدِّقون والمُتفَيْهِقون قالوا: يارسولَ اللهِ قد علِمنا الثَّرثارين والمُتشَدِّقين فما المُتفَيْهِقون؟ قال: المُتكبِّرون) [1].

ومن خصائص الثقافة الإسلامية أنها عالمية تخاطب الكون كله، يقول العلامة محمد مهدي شمس الدين: إن سورة الكافرون من أعقد السور في القرآن الكريم؛ لأنها جمعت بين منتهي التشدد:﴿ **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾[الكافرون:2-3] ثم منتهى اليسر:﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾[سورة الكافرون:6] فلكم أيها المشركون من آل مكة عبدة الأوثان دين، وسماه ديناً وجعل الإسلام بإزائه ديناً لمحمد صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه، فهي إذن ثقافة إنسانية} [2] .

هذه الخصائص نتيجتها الطبيعية إيجاد ثقافة تسامحية تتعايش مع الثقافات المختلفة، ومرنة تواكب التطور في المجتمع الإنساني، ومنفتحة تتجاوب مع المفيد من العطاء الإنساني وتقتبس منه وتستصحبه. خصائص الثقافة الإسلامية ونتائجها رسخت ثقافة الحوار في كثير من المجتمعات الإسلامية تتبدى في المظاهر الآتية:

- النصوص الشرعية في القرآن والسنة الداعية للشورى والبر والتعاون والمجادلة بالتي هي أحسن والعفو وكظم الغيظ وكبح جماح الأنفس الميالة للانتقام والعنف، ونشرثقافة الرفق واللين وفض النزاعات عن طريق التفاوض، بل حتى عندما يتجاوز بعض الناس الحدود لضعف يعتريهم فإن رسول الإسلام يترفق بهم ليعلم أمته أن الدين مع الدعوة للالتزام الصارم بأحكامه إلا أن الطبيعة البشرية لا تهمل، عن سلمة بن صخر البياضي : أنه جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضي رمضان، فسمنت وتربعت فوقع عليها في النصف من رمضان، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه

(1) أخرجه الترمذي (2018)، وابن المقرئ في (معجمه) (419)، وأبو علي القالي في (الأمالي) (2/ 295) جميعا بلفظه، والطبراني في (مكارم الأخلاق) (6)، والخرائطي في (مكارم الأخلاق) (24) عن جابر بن عبدالله.

(2) خصائص الثقافة العربية والإسلامية، ص (56 ـ 68) سابق.

يعظم ذلك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أتستطيع أن تعتق رقبة) فقال : لا ، قال : (أو تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين) فقال : لا ، قال : (أفتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً) فقال : لا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يافروة بن عمرو أعطه ذلك الفرق - وهو مكتل يأخذ خمسة عشر صاعاً أو ستة عشر صاعاً - فليطعمه ستين مسكيناً) فقال : على أفقر مني فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : (اذهب به إلى أهلك)[1].

- السيرة العملية التي جسدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه في معاملتهم مع أصحاب الديانات الأخرى من إحترام العقائد وكفالة الحقوق والحريات وصيانة أماكن العبادة وحماية الأنفس والممتلكات، كان لها أثر كبير في تحقيق ثقافة التسامح على أرض الواقع، ومن الطبيعي أن يسود الحوار في العلاقات الإنسانية لأنه عنصر من عناصر التسامح.

- كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج كثيراً من القضايا بأسلوب الحوار، وينقل أصحابه من الإنفعال الغاضب إلى الحوار الهادي، وقد اشتمل البحث على نماذج كثيرة من هذا الأسلوب، وأشير هنا إلى واحد من هذه النماذج، جاء شاب إلى رسول الله وقال له: أريد منك أن تأذن لي في الزنا! فغضب الصحابة وكادوا أن يفتكوا به، فقال لهم رسول الله: (على رسلكم، أدن مني) فلما دنا الشاب قال له رسول الله: (أتحبه لأمك؟) قال لا، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) (أتحبه لابنتك؟) قال: لا، قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) ثم أخذ يعدد عليه: أفتحبه لأختك، لعمتك، لخالتك ... والشاب يقول: « لا والله جعلني الله فداك "فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه) (2).

نهج الحوار أثمر ثقافة التسامح وقبول الآخر بصورة كبيرة في الماضي، ولم يخل الحاضر من فوائد وثمرات، إن مجرد الوعي بخطورة التعصب والإقصاء والعنف وغيرها من مظاهر التطرف، يعتبر ثمرة معتبرة، لأن إدراك خطورة الشئ خطوة في

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى (4 / 117) سابق.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند (5/ 256) بإسناد صحيح.

طريـق التخلـص منه، ويلاحـظ أن القامـوس الثقافي تنتـشر فيه مصطلحات - التسـامح والتعايـش والـرأي الآخـر والتحـاور والإعتـدال- بصـورة كبـيرة ممـا يشـير إلى إهتمام المجتمـع بهـذه الأمـور حتى أصبحـت ثقافة راسـخة فيـه، ولم تتوقـف الثقافـة عند حد التنظـير؛ بـل خطت خطـوات عملية في بعـض البلـدان بقيام برامج مشـتركة تسـاهم في تنفيذهـا جماعـات تنتمـي إلى ديانـات مختلفـة وثقافـات مختلفـة، ففي بعـض المناطق ترسـخت ثقافـة التسـامح لتتعـدى التعايش إلى قيام مؤسسـات مشـتركة تضـم منتمين إلى الإسـلام والمسـيحية يعملـون سـوياً لتنفيـذ برامج مشـتركة (ففـي أندونيسـا توجد هيئـة تدعـى : التعـاون المشـترك دينيـاً من أجـل تنظيـم الجماعـة ، وهي هيئـة يديرها مسـلمون ومسـيحيون دافعهـا المواجهـة المبـاشرة للحاجـات الإنسـانية . تعمـل في المدن الكـبرى مثـل جاكرتا، وسـورابايا، وسـمارانغ، ومن الحاجـات التي تحـاول تلبيتها نجد: تنظيـم الأسرة والمشـاكل السـكنية، والصحـة وتعليم المهـارات المختلفة لسـائقي العربات العاطلـين عن العمل بسـبب وسـائل النقل العصرية التـي عمت المدينـة، وفي ماليزيا هناك منظمـة تسـمى -المنظمة الماليزيـة المتعـددة الديانات – أهدافهـا: العمل لأجل السـلام في ماليزيـا خاصـة وفي العالـم عامة. وممارسـة إحـترام القيمة الإنسـانية والأخـوة ونشرها بـين الشـعوب، في تجـاوز الإختلافـات عـلى صعيـد العـرق والقوميـات والجنـس واللغة والمعتقـد. وممارسـة التفاهـم والتعـاون ونشرهما بـين جميـع الديانات. وفي سـنغافورة توجد منظمات مشـتركة مثـل: المنظمة المشـتركة السـنغافورية، والجمعية السـنغافورية للثقافـة الروحيـة) [1]. وفي السـودان يوجـد مجلس التعايـش الديني الذي يضم مسـلمين ومسـيحيين كمـا أسـلفنا، ولكنـه محتاج إلى إعادة تأسـيس يسـتصحب المسـتجدات. هذا التطـور في العلاقـات لا شـك أنه جـاء نتيجة لحـوارات متكـررة ومسـتفيضة، أدت لهذه الثمـار ولـولا أن ثقافـة المجتمـع تتقبل مثـل هذا النشـاط لتعـذر قيامه.

ثانياً: في مجال الإعلام:

مـع التطـورات الكبـيرة التـي حدثـت في حيـاة البشرية صـار العالـم يوصـف بأنـه أشـبه بالقريـة الكونيـة الواحـدة، بسـبب علاقاتـه المتشـابكة ومصالحـه المتداخلـة وأنشـطته المشـتركة، ونتيجـة لذلـك أصبحـت المعلومـة تلعـب دوراً كبـيراً في العلاقـات الإنسـانية؛ لأن معظـم القـرارات والمواقـف تتخـذ بنـاء عـلى

(1) البيانات المسيحية المشتركة ،صفحة(81-82) سابق.

المعلومات المتوفرة، في هذا المناخ الكوني الجديد وجد الإعلام اهتماماً كبيراً فعبره تروج السلع، وعن طريقه تنشر الأخبار، وعنده تتوفر المعلومات، وتفنن الناس في تطوير وسائل الإعلام وتنوع برامجها لاستقطاب المشاهد والقارئ والسامع، متعلماً أو باحثاً أو مستفتياً أو مستمتعاً؛ فالكل يجد ضالته في وسائط الإعلام .

وفيما يتعلق بموضوع البحث فإن الحوار وجد مساحة مقدرة في أجهزة الإعلام ووسائطه؛ بل هنالك قنوات فضائية ومواقع على الشبكة العنكبوتية متخصصة في الحوار، مما أتاح لكل مهتم التعرف على الأفكار المتباينة والعقائد المختلفة والثقافات المتعددة، وتحققت عبر الحوار فوائد كثيرة في مجال الإعلام منها:

أولاً: التعرف على مختلف الآراء وعناصر تماسكها ونقاط قوتها وضعفها، بفضل إتاحة الفرصة لكافة الأطراف للتعبير عن رأيها بكل حرية مع دعمه بالأدلة التي يعتقد أنها تسندها، وفي نفس الوقت نقد الرأي المخالف ودحضه بحجج يتصور صاحبها أنها تهدم الفكرة التي هو ضدها، مع توفر الفرصة لصاحب الرأي المُنْتَقَد أن يرد على ناقده، وبهذا تعطي وسائط الإعلام رؤية متكاملة للمهتمين عن كل الأفكار والآراء ليحكموا لها أو عليها بناء على ما توفره لهم من معلومات تتعلق بالموضوع.

ثانياً: إمتصاص النزعة العصبية القائمة على تضخيم الذات وتمييزها على الآخر بسبب الجهل المتبادل، هذا الجهل ساهمت أجهزة الإعلام في إزالته، بإتاحة الفرصة للمعرفة المتبادلة عن طريق الحوار المباشر بين المتناقضين أو من يعتقدون أنهم كذلك مما ساهم في تقليل حدة التعصب والتفاضل بين الناس.

ثالثاً: إيجاد مساحة في المجتمع لقيم التسامح والإعتدال والتعاون المشترك، مع محاصرة تيارات الغلو والتطرف أنى كان موقعها، فأصبحت شبه منبوذة في كثير من أنحاء العالم، مما يبشر بمستقبل أفضل للبشرية

وللعوالـــم الأخـــرى إذا ســـارت الأوضـــاع عـــلى هـــذا النحـــو.

رابعـــاً: نـــشر مبـــادئ الشـــفافية وحقـــوق الإنســـان، وأهميـــة الحريـــات العامـــة التـــي كانـــت مغيبـــة في كثـــير مـــن المجتمعـــات، وتســـليط الضـــوء عـــلى أي حـــدث فيـــه تجـــاوز لهـــذه القيـــم في أي نقطـــة في أركان المعمـــورة، وذلـــك بتوفـــير منـــاخ يســـمح بتبـــادل الآراء بـــين كافـــة الأطـــراف في هـــذا الخصـــوص.

خامســـاً: تغطيـــة المؤتمـــرات والمنتديـــات والملتقيـــات المتعلقـــة بالحـــوار ونـــشر الأوراق والوثائـــق المقدمـــة، ممـــا ســـاهم في نـــشر الثقافـــة بأقـــل تكاليـــف وبـــأسرع وقـــت ممكن، بصـــورة لـــم تكـــن متوفـــرة مـــن قبـــل.

سادســـاً: إن إنشـــاء قنـــوات فضائيـــة متخصصـــة في الحـــوار، أو معطيـــة مســـاحة كبيرة للحـــوار في برامجهـــا يعتـــبر مـــن أكـــبر الثمـــرات في مجـــال الإعـــلام، فهنالـــك قنـــوات يرجـــع لهـــا الفضـــل في ولـــوج هـــذا البـــاب بصـــورة لـــم تكـــن معهـــودة في إعلامنـــا العربـــي، حيـــث اســـتطاعت أن تطـــرق مواضيـــع كانـــت محرمـــة، وابتكـــرت أســـاليب الجمـــع بـــين النقيضـــين والمتقابلـــين والمتعاكســـين في لقـــاء مفتـــوح، فأزالـــت الحواجـــز وشـــجعت عـــلى الإقتـــداء.

يتضـــح ممـــا ســـبق أن الحـــوار حقـــق ويحقـــق ثمـــاراً كثـــيرة في مجـــالات الدعـــوة والتربيـــة والثقافـــة والإعـــلام.

خـــاتمـــة

نخلـص ممـا تقـدم إلى أن الإسـلام هـو ديـن التسـامح والإعتـدال واحـترام الآخـر، كمـا ثبـت ذلـك في ثنايـا هـذا البحـث، وأن الحـوار يعتـبر منهجـاً إسـلامياً أصيـلاً، وأسـلوباً مـن أسـاليب الدعـوة الإسـلامية في إدارة العلاقـات الإنسـانية عـلى كافـة مسـتوياتها الداخليـة والخارجيـة، وأن حملـة الدعـوة الإسـلامية مطالبـون بالآتـي:

أولاً: الإتفـاق عـلى منهـج يركـز عـلى القواسـم المشـتركة بـين الجماعـات والمذاهـب الإسـلامية، وبـين الأديـان السـماوية، وبـين الشـعوبعلى مسـتوى الإنسـانية، لأن هـذا هـو مـا يصلـح لتحقيـق عالميـة الإسـلام في هـذا العـصر.

ثانيـاً: ترسـيخ فقـه الأولويـات والقواعـد الكليـة والمبـادئ المقاصديـة؛ لتنشـيط ملكـة النظـر الشـاملة التـي تتكامـل فيهـا النصـوص والمقاصـد، مـع مراعـات الواقـع بـكل تعقيداته وتشـابكه.

ثالثـاً: تحديـد الأسـس والمبـادئ التـي يقـوم عليهـا الخطـاب الإسـلامي للآخـر المختلـف داخـل الإسـلام، والخطـاب الإسـلامى للآخـر المـلي والآخـر الحضـاري، لإزالـة التناقضـات في التعامـل الإسـلامي مـع الآخـر مـن جماعـة إلى أخـرى.

رابعـاً: العمـل عـلى بسـط ثقافـة الحـوار في المجتمـع، وذلـك بالتركيـز عـلى سـيرة الرسـول القـدوة صـلى اللـه عليـه وسـلم، فهـي تتضمـن منهجـاً مفصـلاً عـن طبيعة التعامـل الإسـلامي مـع المجتمـع الإنسـاني بـكل تناقضاتـه.

خامسـاً: الإمتنـاع عـن كل مـا مـن شـأنه أن يسـتدعي النزعـة العصبيـة الإقصائيـة، مـن أفـكار ومواقـف وتصريحـات لا تراعـي النظـام الكونـي القائـم عـلى الإختـلاف.

لا شـك أن دعـاة الإسـلام إذا اتبعـوا الوسـائل السـابقة وغيرهـا مـن الوسـائل المشـابهة والمكملـة؛ لحققـوا للإسـلام بعثاً جديـداً ،خاصـة وأن التقـدم المـادي والتقنـي والتفوق الإقتصـادي والعسـكري الـذي وصلتـه البشريـة؛ قـد لفـت نظرهـا إلى ضرورة تقييـد القـوة بالعـدل، وضبـط التفـوق بالأخـلاق، حتـى لا يـؤدي ذلـك إلى كـوارث شـوهدت بعـض مظاهرهـا أثنـاء سـير الإنسـانية الراكـض نحـو مسـتقبل متسـامح يعيـش في

سلام وسعادة، فالإسلام فيه ما يحقق هذا المأمول، ولكن أدوات الدعوة تحتاج إلى مراجعة قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[ابراهيم:24-25] .

المصادر والمراجع

(1) إبراهيم محمد قاسم، شاعر الحب والحرب عنترة بن شداد، الزقازيق – مصر-مطابع الإشعاع.

(2) ابن أبي شيبة، أبوبكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، (ت235هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، لبنان – دار التاج – الرياض – مكتبة الرشد – المدينة المنورة – مكتبة العلوم والحكم: الطبعة الأولى (1409هـ-1989م).

(3) ابن العربي القاضي محمد بن عبد الله أبوبكر بن العربي المعاقري الإشبيلي، المالكي: (ت543هـ)، قانون التأويل، بيروت-دار القبلة للثقافة الإسلامية-جدة-مؤسسة علوم القرآن. الطبعة الأولى: 1406هـ -1986م).

(4) ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (-691 751هـ)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشير محمد عيون، دمشق – الجمهورية العربية السورية-مكتبة دار البيان. الطائف -المملكة العربية السعودية-مكتبة المؤيد، الطبعة الأولى: (1410هـ -1989م).

(5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ن751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت-دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1411هـ-1991م).

(6) ابن المقفع، أبو محمد عبد الله بن المقفع، (ت142هـ)، الأدب الصغير والأدب الكبير، بيروت – دار صادر، الطبعة الرابعة: (2019م).

(7) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي (ت795هـ)، الفرق بين النصيحة والتعبير، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، عمان الأردن – دار عمان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: (1409هـ -1988م).

(8) ابـن سـعد، محمـد بـن سـعد بـن منيـع الهاشـمي البـصري المعـروف بابـن سـعد، الطبقـات الكـبرى، تحقيـق: محمـد عبـد القـادر عطـا، بـيروت – دار الكتـب العلميـة، الطبعـة الأولى: (1410هـ -1990م).

(9) ابـن عبـد الـبر، أبـو عمـر يوسـف النمـري القرطبـي (ت 463هـ)، الانتقـاء في فضائـل الأئمـة الفقهـاء (مالـك والشـافعي وأبـي حنيفـة رضي اللـه عنهـم) وذكـر عيـون مـن أخبارهـم وأخبـار أصحابهـم للتعريـف بجلالـة أقدارهـم. القاهـرة – مكتبـة القدسي-عـام النشر(1350هـ).

(10) ابـن عبـد الـبر، أبـو عمـر يوسـف بـن عبـد اللـه بـن محمـد بـن عبـد الـبر بـن عاصـم النمـري القرطبـي (ت463هـ) بهجـة المجالـس وأنـس المجالس، دار الكتـب العلميـة، سـنة الطبـع: (2008م).

(11) ابـن عبـد الحكـم، عبـد الرحمـن بـن عبـد اللـه بـن عبـد الحكـم، أبو القاسـم المـصري (ت ٢٥٧هـ)، فتوح مـصر والمغـرب، القاهرة-مكتبـة الثقافـة الدينية للنشر والتوزيـع، (١٤١٥ هـ).

(12) ابـن عبـد ربـه، أبـو عمـر شـهاب الديـن أحمـد بـن محمـد بـن عبـد ربـه الأندلـسي، (ت328هـ) العقـد الفريـد، بـيروت – دار الكتـب العلميـة الطبعـة الأولى: (1404هـ).

(13) ابـن فـارس، أحمـد بـن فـارس بـن زكريـاء القزوينـي الـرازي، أبـو الحسـين (ت395هـ)؛ معجـم مقاييـس اللغـة، تحقيـق: عبـد السـلام هـارون، بـيروت – دار الفكـر، طبعة (1399هـ -1979م).

(14) ابـن كثـير، عمـاد الديـن أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر القـرشي الدمشـقي المعـروف ب (ابـن كثـير)، (ت774هـ)، البدايـة والنهايـة، القاهـرة – مطبعـة السـعادة، الطبعـة الأولى: (1348 -1358هـ).

(15) ابـن قتيبـة أبـو محمد عبـد اللـه بن مسـلم بـن قتيبـة الدينـوري (ت276هـ)، الشـعر والشـعراء، القاهرة-دار الحديث طبعـة: (1423هـ)

(16) ابـن قتيبـة، أبـو محمـد عبـد اللـه بـن مسـلم بـن قتيبـة الدينـوري، عيـون الأخبـار، بـيروت -دار الكتـب العلميـة: سـنة النـشر (1418هـ).

(17) ابـن مفلـح، شـمس الديـن محمـد بـن مفلـح المقـدسي الحنبـلي، (712 -763هـ)، أصـول الفقـه، تحقيـق وتعليـق وتقديـم: د. فهـد بـن محمـد السَّـدحان،السـعودية-مكتبةالعبيـكان،الطبعـةالأولى:(1420هـ-1999م).

(18) ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم بـن عـلي، أبـو الفضـل، جمـال الديـن ابـن منظـور الأنصـاري الرويفعـي الإفريقـي (ت711هـ)، لسـان العـرب -بيروت- دار صـادر: الطبعـة الثالثـة (1414هـ).

(19) ابـن هشـام، عبـد الملـك بـن هشـام بـن أيـوب الحمـيري المعاقـري، أبـو محمـد جمـال الديـن (ت213هـ)، السـيرة النبويـة، تحقيـق: مصطفى السـقا وآخريـن، القاهـرة- مـصر – مكتبـة ومطبعـة مصطفـى البابـي الحلبـي وأولاده، الطبعـة الثانيـة: (1375هـ -1955م).

(20) أبـو الحسـن عـلي بـن محمـد بـن محمـد بـن حبيـب البـصري البغـدادي، الشـهير بالماوردي(450-374هـ)، الأحـكام السـلطانية، تحقيـق: أحمـد جـاد -القاهـرة، دار الحديـث: سـنة الطبـع: (1427هـ -2006م).

(21) أبـو الحسـنات محمـد عبـد الحـي بـن محمـد بـن عبـد الحليـم الأنصـاري اللكنـوي الهنـد. (ت1304هـ)، التعليـق الممجـد عـلى موطـأ محمـد (شرح لموطـأ مالـك بروايـة محمـد بـن الحسـن)، تعليـق وتحقيـق: تقـي الديـن النـدوي، دمشـق – دار القلـم، الطبعـة الرابعـة (1426هـ -2005م).

(22) أبـو الحسـين مسـلم بـن الحجـاج القشـيري النيسـابوري، (ت261هـ) تحقيـق: محمـد فـؤاد عبـد الباقـي (ت1388هـ) القاهرة-مطبعـة عيـسى البابـي الحلبـي وشركاه، تصويـر دار إحيـاء الـتراث العربـي – بيروت-عـام النـشر (1374هـ -1955م).

(23) أبـو عبـد اللـه، محمـد بـن إسـماعيل بـن إبراهيـم بـن المغـيرة ابـن بردزبـه البخـاري الجعفـي، صحيـح البخـاري، رقـم الحديـث: (2493) تحقيـق:

جماعة من العلماء، مصر، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر (1311 هـ) بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى: (1422 هـ) لدى دار طوق النجاة – بيروت.

(24) أحمد أمين إبراهيم الطباخ (ت1373هـ)، موسوعة الحضارة الإسلامية، بيروت – لبنان-دار نوبليس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى(2006م).

(25) الأبشيهي شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت -لبنان -دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1423ه 2002م).

(26) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، -مصر-مطبعة السعادة، عام النشر (1394هـ -1974م).

(27) الإمام الصادق المهدي: نداءات العصر ـ دار الشماسة للطباعة والنشر 2002م.

(28) الإمام الصادق المهدي: العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الإسلامي ـ القاهرة منشورات الأمة ـ (1987م).

(29) الإمام الصادق المهدي؛ العلمانية جذورها وأبعادها؛ محاضرة قدمها في دار جامعة أم درمان الإسلامية سنة 1979م.

(30) الإمام الصادق المهدى: نحو ثورة ثقافية، القاهرة -مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى 2006م.

(31) الإمام مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت لبنان، دار إحياء التراث العربي عام النشر (1406 هـ -1985 م).

(32) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت816هـ)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت – لبنان – دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: (1403ه، -1983م).

(33) الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري أبو البقاء، كمال الدين الشافعي المتوفى(808هـ)، حياة الحيوان الكبرى، بيروت – لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (1425هـ).

(34) الرازي، زين الدين أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت666هـ) مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – المكتبة العصرية – الدار النموذجية الطبعة الخامسة (1420هـ -1999م).

(35) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق-دار القلم-طبعة (1412هـ -1992م).

(36) السيوطي، عبد الرحمن بن أبوبكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت – دار الفكر: طبعة (-1432 1433هـ -2011م)

(37) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت790هـ) الموافقات، تعليقات الشيخ عبد الله دراز، القاهرة-دار ابن عفان، الطبعة الأولى (1417هـ -1979).

(38) الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسين الرضي العلوي الحسيني الموسوي، ديوان الشريف الرضي، شرح د. يوسف شكري فرحات: بيروت-دار الجيل الطبعة الأولى (1995م).

(39) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت548هـ) الملل والنحل، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاه: سنة النشر (1387هـ -1968م).

(40) الغـزالي، أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطوسي(ت505هـ)، إحيـاء علـوم الديـن، بـيروت – دار المعرفة-طبعـة: (1402هـ -1982م).

(41) الغـزالي، أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطـوسي، مجموعـة رسـائل الإمـام الغـزالي، بـيروت –دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع طبعـة: (2006م).

(42) الغـزالي، أبـو حامـد محمـد بـن محمـد الغـزالي الطوسي(ت505هـ)، ميـزان العمـل، حققـه: الدكتـور سـليمان دنيـا، مـصر-دار المعـارف: الطبعـة الأولى(1964م).

(43) القـرافي، أبـو العبـاس أحمـد بـن إدريـس بـن عبـد الرحمـن الصنهاجـي القـرافي المالكـي، الفروق-أنـوار الـبروق في أنـواء الفـروق، تحقيـق: محمـد أحمـد سراج وعـلي جمعـة، القاهـرة – دار السـلام للطباعـة والنـشر والتوزيـع والترجمـة، الطبعـة الثانيـة (2007م).

(44) النـووي، أبـو كريـاء محيـي الديـن يحيـى بـن شرف النـووي (ت676هـ)، الأذكار، تحقيـق: عبـد القـادر الأرنـاؤوط (ت1425هـ)، بـيروت – لبنـان-دار الفكـر للطباعـة والنـشر والتوزيـع، طبعـة: (1414هـ -1994م).

(45) النـووي، أبـو زكريـا محيـي الديـن يحيـى بـن شرف الديـن النـووي (ت 676هـ)، المنهـاج شرح صحيـح مسـلم بـن الحجـاج، بـيروت – دار إحيـاء الـتراث العربـي: (الطبعـة الثانية(1392هـ).

(46) النـووي، أبـو زكريـا محيـي الديـن يحيـى بـن شرف النـووي ت(676هـ) تهذيـب الأسـماء واللغـات، بـيروت–لبنـان دار الكتـب العلميـة، بـدون تاريـخ.

(47) السـيد الهاشـمي، جواهـر الأدب في أدبيـات وإنشـاء لغـة العـرب، بـيروت – لبنـان-دار المعرفـة: الطبعـة الأولى:(1426ه 2005م).

(48) السـيوطي، عبـد الرحمـن بـن أبـي بكـر، جـلال الديـن (ت911هـ)، الـدر المنثـور، بـيروت-دار الفكـر.

(49) الكواكبي، عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة، تحقيق: الدكتور محمد عمارة، القاهرة-دار الشروق، سنة النشر (2007م).

(50) الهيثمي، أبو الحسن نورالدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة-مكتبة القدسي عام النشر (1414هـ -1994م).

(51) جوليت حداد، البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، إشراف الأب أوغسطين دوبرة لاتور، والدكتور هشام نشابة-بيروت-جامعة القديس يوسف: إصدار معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، دار المشرق: الطبعة الأولى:(1995).

(52) حمد بن إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، بيروت – لبنان- دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: (1425هـ -2004م).

(53) خديجة النبراوي، موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، القاهرة-دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، سنة الطبع: (2008م).

(54) راتب الإمام المهدي عليه السلام: كتاب أدعية مأثورة وتضرع ومناجاة؛ أُلْهِمَهُ الإمام المهدى، فجعله وردا له ولأصحابه، يُقرأ بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى مغيب الشمس، مع حزب من القرآن صباحا ومساء، بحيث يقرأ القرآن كله كل شهر.

(55) سفر العدد: الإصحاح (31).

(56) سفر التثنية. الإصحاح: (6:7/ 7: 14/ 7: 16).

(57) سمير مثنى علي الأبارة، تعريف الخلاف والاختلاف، مقال منشور في شبكة الألوكة بتاريخ: 4/2/2017م.

(58) سيد صديق عبد الفتاح، موسوعة مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء، مصر -مكتبة الدار العربية للكتاب، طبعة (1999م) ـ

(59) صفي الرحمن المباركفوري [ت ١٤٢٧ هـ]، الرحيق المختوم -بيروت -دار الفكر (طبعة خاصة بدار ومكتبة الهلال) -عام النشر:(٢٠٠٢ م).

(60) صموئيل بي. هانتنجتون، الإسلام والغرب – آفاق الصدام: ترجمة مجدي شرشر، القاهرة-مكتبة مدبولي الطبعة الأولى (141ه–1995م).

(61) طه جابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام، فرجينيا –الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، تاريخ النشر 1987م

(62) طه جابر العلواني: إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، مصر-مكتبة المنار، الطبعة الثانية (1412هـ ـ 1992م).

(63) عبد الله بن بيه رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، ورئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة؛ ووزير العدل الموريتاني الأسبق، صحيفة الشرق الأوسط 30 مارس 2006م

(64) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأربعون (1426ه)، المجلد الأول ص(101).

(65) علي جمعة، خصائص الثقافة العربية والإسلامية، إعداد نادية مصطفى، القاهرة -دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى: (2006).

(66) فيصل بن عبده قائد الحاشري، فن الحوار – أصوله آدابه صفات المحاور، الإسكندرية-جمهورية مصر العربية: دار الإيمان للنشر والتوزيع، طبعة (2003م).

(67) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، الشاعر؛ معدود من الصحابة (ت41هـ)؛ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمَّس، القاهرة – دار المعرفة: الطبعة الأولى: (1425هـ -2004م).

(68) محمد إبراهيم أبو سليم: الآثار الكاملة للإمام المهدي، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى (1990).

(69) محمد أبو زهرة تاريخ الجدل، القاهرة – مصر -دار الفكر العربي، طبعة (2010م).

(70) محمد السماك، مقدمة الى الحوار الإسلامي المسيحي، بيروت – لبنان، دار النفائس، طبعة: (1988م)

(71) محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (ت1424هـ) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت-دار النفائس، الطبعة السادسة: (1407هـ).

(72) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، القاهرة، دار الشروق، طبعة(2008م).

(73) محمد عوامة، أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، بيروت – دار البشائر، الطبعة الثانية (1418هـ -1998م).

(74) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، بيروت – دار الجيل الجديد، الطبعة العاشرة (1413ه،).

(75) محمود غنيم، ديوان رجع الصدى، القاهرة، دار الشعب، طبعة (1399هـ -1979م)

(76) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد-مفتي الجمهورية اللبنانية الأسبق-المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: (1411هـ 1990م).

(77) نبيل خليفة؛ مفهوم الحوار بين الزعامات القبلية وفقه اللغة العربية؛ صحيفة نداء الوطن اللبنانية، بتاريخ (14/9/2023م).

(78) نداء المهتدين، إصدار هيئة شئون الأنصار 2000م

(79) وائل حافظ خلف، كتاب المنتخب من وصايا الآباء للأبناء، الإسكندرية، طبع بدار جنا-ودار الدعوة بمحرم بك-ودار ابن القيم بالإسكندرية، بدون تاريخ

(80) يحيى بن محمد حسن بن أحمد زمزمي، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مكة المكرمة – دار التربية والتراث الدمام – رمادي للنشر، الطبعة الأولى: (1414هـ -1994م).

الصحف:

(81) جريدة الشرق الأوسط العدد (9507) بتاريخ 8 ديسمبر2004م

(82) جريدة الشرق الأوسط العدد (9510) بتاريخ: 11ديسمبر2004م

(83) جريدة الشرق الأوسط (9468) بتاريخ: 30 أكتوبر2004م سابق.

(84) جريدة الشرق الأوسط: 26 مايو 2006م

(85) صحيفة الأهرام بتاريخ 28 ابريل 2006م

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان
جوال: 00249122094856 - 121566207
البريد إلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

عبد المحمود أبّو إبراهيم عبد المحمود

الميلاد: غبيش، غرب كردفان، السودان: 1964م

دكتوراة في الفقه المقارن (فقه التنوع – تأصيل التعايش)
ماجستير في الفقه المقارن – التنوع في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ودور الشورى في إدارته
الأمين العام لهيئة شؤون الأنصار ورئيس المنتدى العالمي للوسطية – فرع السودان ورئيس مجلس إدارة مركز المقاصد للتأهيل.
شارك في مؤتمرات دولية في مصر والسعودية، والأردن، وتركيا، وإيران، والجزائر، ولبنان، وبريطانيا، وقطر، والبحرين، وسلطنة عمان، والعراق، وكينيا، وجيبوتي، ونيجيريا، وموريتانيا، وجنوب السودان، والمغرب.
عضو مجمع الفقه الإسلامي – السودان

صدر له عدد من الكتب منها:

الأنصارية عقيدة ومنهجا وفكرا (يسألونك عن الأنصارية)
الحوار في الإسلام حقائق ونتائج) هذا الكتاب)
الوسطية في فكر الإمام الصادق المهدي.
قراءات وخواطر في الفكر الإسلامي
رؤى ودراسات في الفكر الإسلامي والتواصل الحضاري
الإسلام والدولة المدنية – جدل الدين والدولة.
المنهج الإسلامي وإدارة التنوع
فقه إدارة التنوع في الشريعة الإسلامية – التأصيل والتطبيق.

وله عدد من البحوث منها:

الوحدة الإسلامية التحديات والفرص.
مقاومة الظلم المشروعية والوسائل.
تأملات فكرية لتجفيف منابع الغلو والتطرف.
الخطاب الإسلامي بين الأصول الجامعة والتنوع الاجتهادي.
امتلاك أسلحة الدمار الشامل للأفراد والجماعات في ميزان السياسة الشرعية.
الحرية الدينية وتعزيز مبدأي السلم والحوار.

APD
دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation